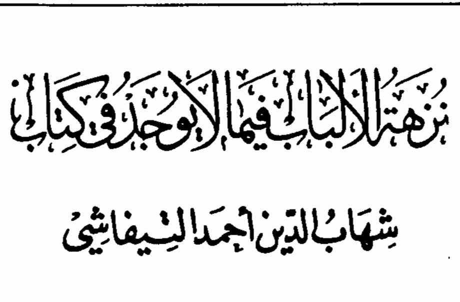
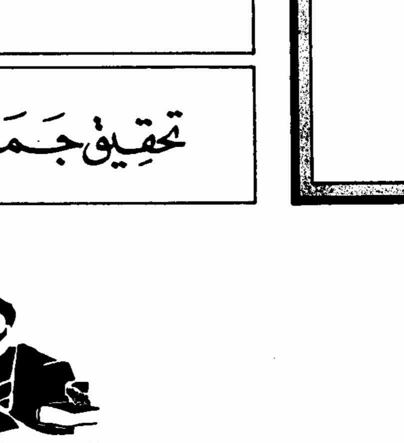
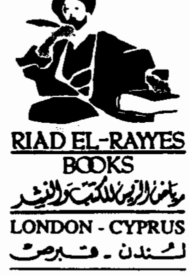


نزهة الألباب فيما لا يوجد في كتاب

شهاب الدين أحمد التيفاشي



تحقيق جمال جمعة



NOZHAT AL-ALBAB FIMA LA YOUJAD FI KITAB

by

SHEHAB EDDINE AHMAD AL-TIFASHI

Compiled and edited by:
JAMAL JUMA'A

First Published in the United Kingdom in 1992

56 Knighstbridge London SW1X 7NJ

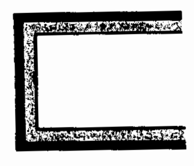
U.K.

CYPRUS: P.O. Box: 7038 - Limassol

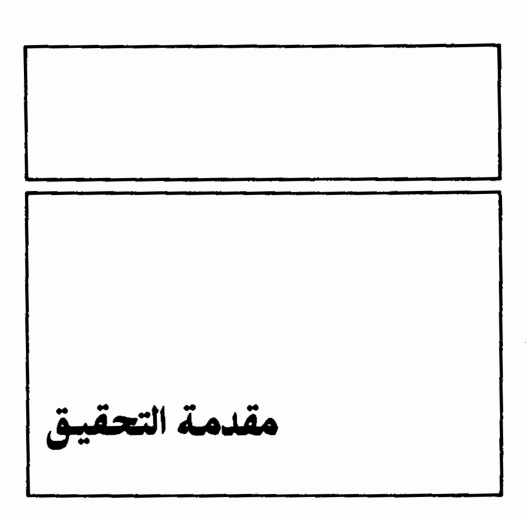
British Library Cataloguing in Publication Data
Al-Tifashi, Shehab Eddine Ahmad
Nozhat Al-Albab fima la youjad fi kitab
I - Title
II. Juma'a, Jamal
953.8

ISBN 1855131706

الطبعة الاولى: حزيران / يونيو ١٩٩٢



محتويات الكتاب

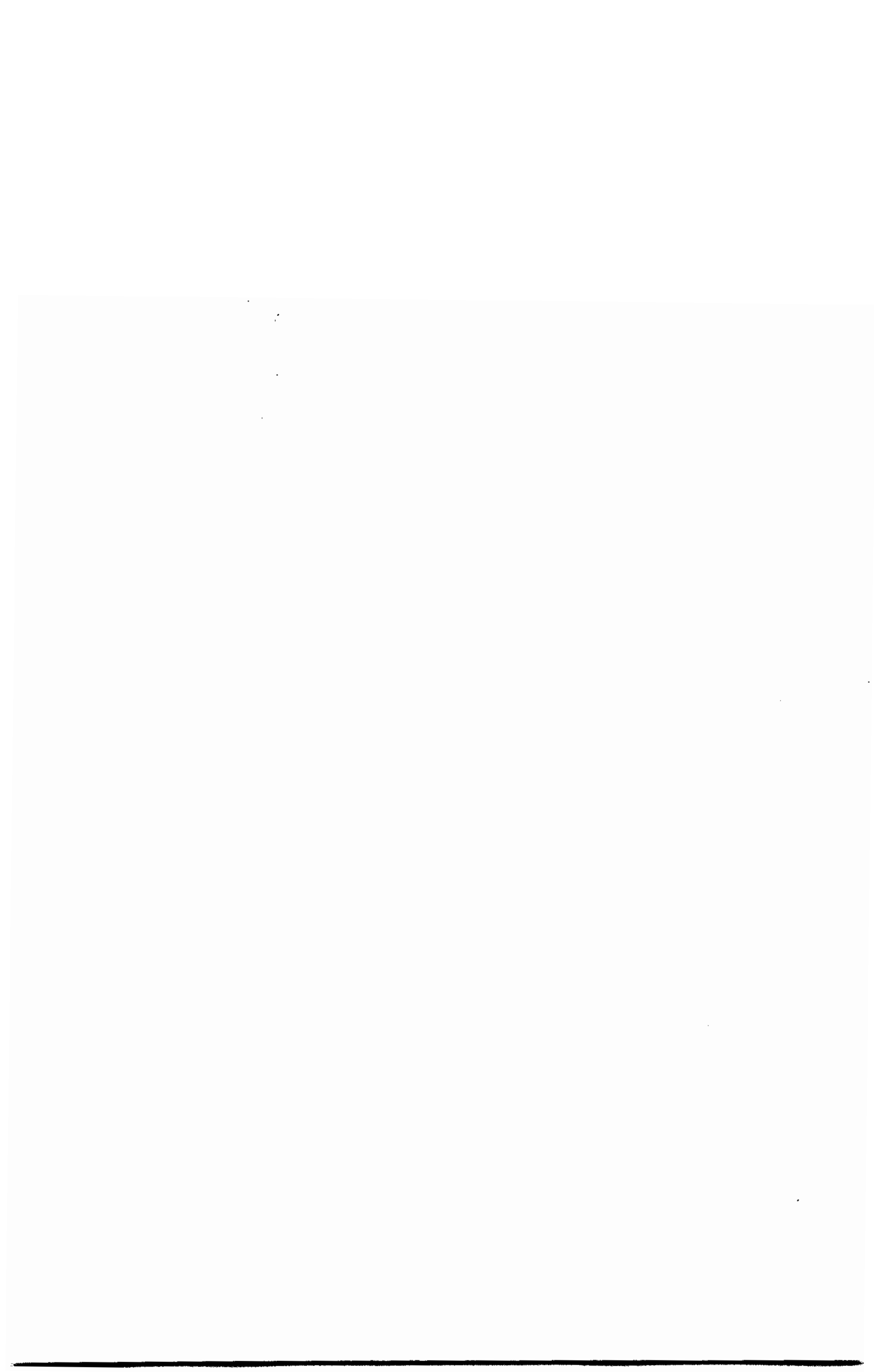


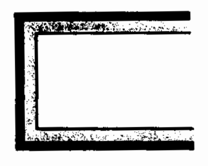
مقدمة التحقيق



(زُيّن للناس حبّ الشهوات من النساء والبنين)

قرآن كريم





الايروتيكية العربية
السطح والقاع

الأنكحة المهدومة

تقول عائشة: إن النكاح في الجاهلية كان على اربعة انحاء (انواع)، فنكاح منها: نكاح الناس اليوم، يخطب الرجل الى الرجل وليّته او إبنته فيصدقها ثم ينكحها.

ونكاح آخر: كان الرجل يقول لامراته إذا طهرتْ من طمثها: «ارسلي إلى فلان فاستبضعي منه»، ويعتزلها زوجها ولا يمسها ابداً حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه، فإذا تبين حملها اصابها زوجها إذا احب، وانما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد، فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع.

ونكاح آخر: يجتمع الرهط، ما دون العشرة، فيدخلون على المراة كلّهم يصيبها، فإذا حملت ووضعت، ومر عليها ليال بعد ان تضع حملها، ارسلت اليهم فلم يستطع رجل منهم ان يمتنع حتى يجتمعوا، عندها تقول لهم: «قد عرفتم الذي كان من امركم، وقد ولدتُ، فهو ابنك يا فلان» تسمّي مَن احبّت باسمه، فيلحق به ولدها لا يستطيع ان يمتنع منه الرجل.

ونكاح رابع: يجتمع الناس الكثير، فيدخلون على المراة لا تمنع من جاءها، وهنّ البغايا، كنّ ينصبن على ابوابهن رايات، تكون علماً لمن ارادهنّ دخل عليهن. فإذا حملت احداهن ووضعت حملها جمعوا لها ودعوا لهم القافة (الشبيه) ثم الحقوا ولدها بالذي يرون، فالتاط (التحق) به ودُعي إبنه، لا يمتنع من ذلك، فلما بُعث محمد بالحقّ هدمَ نكاح الجاهلية كلّه إلا نكاح الناس اليوم[1].

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج ٩، ص ١٥٠.

وفي الواقع فإن الرسول لم يهدم هذه الأنكحة فقط، بل انكحة اخرى فات عائشة ان تذكرها، عائداً، وكما في مجمل تشريعاته الدنيوية لتنظيم الحياة الجنسية، الى تلك القوانين اليهودية التي سنّها موسى في التوراة قبل آلاف السنين، لحصر النشاط الجنسي الاسلامي بانظمة رسمية صارمة قد تؤدي، وقد ادّت، بمن يتجاوزها الى قصاص مريع، توراتيّ ايضاً: الموت رجماً.

ويمكن، عموماً، إجمال الأنشطة الجنسية التي كانت سائدة في العصر الجاهلي وحرمها الإسلام، فيما بعد، بما يلي:

نكاح الاستبضاع

نكاح انتقائي مؤقت كان الرجل يدفع زوجته اليه، بعد ان يكون قد حسم اختياره للرجل ـ العيّنة الذي ستتصل زوجته به جنسياً، بعد انقطاع دورتها الشهرية مباشرة. وغالباً ما يكون هذا النموذج شاعراً او فارساً رغبة منه في تحسين النسل او «نجابة الولد» على حد تعبير عائشة. ومعنى البُضع في اللغة: النكاح او فرج المراة، والمباضعة: المجامعة. ومنه قولها: «وله حصّنني ربي من كل بضع» تعني النبي[٢].

وفي حديث خديجة، حين تزوجها النبي، ان عمرو بن اسيد، لما رآه قال: «هذا البُضع لا يُقرع انفه»، يريد: هذا الكفء الذي لا يُردّ نكاحه. واصل ذلك في الابل انّ الفحل الهجين إذا اراد ان يضرب كرائم الابل قرعوا انفه بعصاً او غيرها ليرتدّ عنها ويتركها[٣].

ويروي ابن منظور نقلاً عن ابن الأثير، ان الاستبضاع نوع من نكاح الجاهلية، وهو استفعال من البضع (الجماع)، وذلك ان تطلب المراة جماع الرجل لتنال منه الولد فقط. كان الرجل منهم يقول لأمته او امراته: «ارسلي الى فلان فاستبضعي منه»، ويعتزلها فلا يمسها حتى يتبين حملها، وانما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد[٤]. وتورد بعض كتب التاريخ ان عبدالله بن عبدالمطلب، والد الرسول، قد تعرض لمثل هذه التجربة قبل ان يتزوج آمنة، إذ ان امراة من بني اسد، وهي رقيّة اخت ورقة بن نوفل، قد مرّت به، وهي عند الكعبة، فقالت له حين نظرت الى وجهه: «أين تذهب يا عبدالله؟»، قال: «مع أبي»، قالت: «لك

---

(٢) لسان العرب، إبن منظور، ج ٨، ص ١٤.
(٣) المصدر نفسه، ج ٨، ص ١٤ ـ ١٥.
(٤) المصدر نفسه، ج ٨، ص ١٤.

مثل الابل التي نُحرت عنك وقَعْ عليّ الآن!!»، قال: «انا مع ابي، ولا استطيع خلافه ولا فراقه»[5]. ثم تركها ومضى مع ابيه ليزوجه آمنة بنت وهب، ويُروى ايضاً انه حين التقاها ثانية، بعد زواجه، قال لها: «مالك لا تعرضين عليّ اليوم ما كنتِ عرضتِ عليّ بالأمس؟»، فقالت له: «فارقك النور الذي كان معك بالأمس، فليس لي بك اليوم حاجة»[6].

ويقال ان عادة الاستبضاع، والتي تُسمّى ايضاً بالاستفحال، قد انتقلت من العرب الى اهل افغانستان الذين كانوا إذا راوا فارساً من العرب «خلّوا بينه وبين نسائهم رجاء ان يولد لهم مثله»[7]، والأرجح ان هذه العادة قد انتقلت اليهم بعد استيلاء المسلمين على افغانستان.

ومن المؤكد ان هذا النكاح ذو اصول بدائية ـ نسلية وليست إشباعية، شهوانية، تضرب بعيداً في التاريخ الماقبل الاسلامي، الاسطوري. فمن المأثور الأسطوري العربي ان اخت لقمان بن عاد، وكانت امراة ضعيفة النسل، قد قالت لاحدى نساء لقمان: «هذه ليلة طهري وهي ليلتك، فدعيني انم في مضجعك، فإن لقمان رجل منجب، فعسى ان يقع عليّ فانجب». فوقع على اخته فحملت بلُقيم، وفي ذلك يقول النمر بن تولب[8]:

لقيمُ بن لقمان من اختـه ... فكان ابن اخت لـه وابنما
ليالي حمّق فاستحصنتْ ... عليه فغرّ بها مظلما
فاحبلها رجل مُحكِمٌ ... فجاءت بـه رجلاً محكما

ويمكنني، بما يشبه الجزم، التاكيد على أن هذا النمط من النكاح يوغل في التاريخ الماقبل إسلامي بآلاف السنين. فمن جملة التحريمات الجنسية في التوراة ورد في الاصحاح الثامن عشر من سفر اللاويين ما نصه: «لا تجعل مع امراة صاحبك مضجعك لزرعٍ فتتنجس بها. ولا تعط من زرعك للإجازة لمولاك لئلا تدنس اسم الهك»، والزرع هنا بمعنى النطفة للنسل، والنص كما يبدو يشير بشكل واضح الى نكاح الاستبضاع وإن لم يسمّه.

نكاح المخادنة

المخادنة: الصداقة، والخدين: الصاحب او الصديق، وفي القرآن: (محصنات

(٥) سيرة النبي، إبن هشام، ج ١، ص ١٦٨ ـ ١٦٩.
(٦) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٦٩.
(٧) لسان العرب، إبن منظور، ج ١١، ص ٥١٦.
(٨) الحيوان، الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، ج ١، ص ٢١ ـ ٢٢.

غير مسافحات ولا متخذات اخدان)[9]، فقد كانت المراة، قبل الإسلام، تمتلك حق الصداقة مع رجل آخر، غير زوجها، يكون لها بمثابة العشيق او الصديق بالمفهوم الاجتماعي المعاصر، لا يمتلك الزوج حق الاعتراض عليه او منعها عنه. واغلب الظن ان هذا العرف استمرّ حتى بعد الاسلام، وان بشكل سرّي، رغم النهي القرآني الصريح عنه، فقد سال الأصمعي، ذات مرّة، امراةً من بني عذرة قائلاً: «ما هو العشق؟»، فقالت: «الغمزة والقبلة والضمّة، فما هو عندكم يا حضري؟»، فقال: «ان يرفع رجليها ويدفع بجهده بين شفريها»[10]. لكن ذلك لا يمنع وجود حالات من المخادنة الخالية من الاتصالات الجنسية المباشرة إذ كان من المتفق عليه بين العشيقين المتحابين «ان يكون له نصفها الاعلى، من سرتها الى قمة راسها، يصنع فيه ما يشاء. ولبعلها من سرتها الى اخمصها»[11]. إلا ان ذلك باعتقادي لا ينسحب على أهل المدن والحواضر بل ربما اختص به اهل البادية الذين يتصفون بصفات روحية اشد من اهل المدن، فقد قيل لأعرابي: «اتعرف الزنا؟»، قال: «وكيف لا؟»، قيل: «وما هو؟»، قال: «مصّ الريقة ولثم العشيقة والأخذ من الحديث بنصيب»، قيل: «ما هكذا نعده فينا»، قال: «فما تعدونه؟»، قيل: «النقّ الشديد وان تجمع بين الركبة والوريد، وصوت يوقظ النوّام، وفعل يوجب كثيراً من الآثام»[12].

ومن معاني المخادنة: الرفقة في كلّ أمر، الظاهر منه والباطن، وخدن الجارية (المراة): محدثها. وعموماً فقد كانت العرب تتغاضى عنه طالما كان منستراً وتقول: «ما استتر فلا باس به، وما ظهر فهو لؤم»[13].

نكاح البدل

وفيه يتم تبادل الزوجات، بشكل مؤقت، بين الرجلين لغرض المتعة والتغيير فقط، دون الحاجة الى إعلان طلاق أو عقد، وقد اخرج الدارقطني من حديث ابي هريرة قوله: «انّ البدل في الجاهلية أن يقول الرجل للرجل: انزل لي عن امراتك وانزل لك عن امراتي وازيدك»[14].

---

(٩) القرآن الكريم، سورة النساء، آية ٢٥.

(١٠) جمال المراة عند العرب، صلاح الدين المنجد، ص ٧٥.

(١١) اخبار النساء، إبن قيم الجوزية، ص ٤٦.

(١٢) المصدر نفسه، ص ٥٤.

(١٣) فقه السنّة، السيد سابق، المجلد ٢، ص ٦.

(١٤) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج ٩، ص ١٥٠ ـ ١٥١.

نكاح المضامدة

وهـو ان تتخـذ المراة زوجاً إضافياً او خليلين، زيادة على زوجها، لاسباب اغلبهـا اقتصادية، فعن الفرّاء: «الضماد ان تصادق المراة اثنين او ثلاثة، في القحط، لتاكل عند هذا وهذا لتشبع»[15].

والضمد في اللغة: ان يُخالّ الرجلُ المراة ومعها زوج. او ان يخالّها خليلان، وقد قال ابو ذؤيب الهذلي في امراة خانته مع ابن عمه خالد بن زهير:

تريدين كيما تضمديني وخالداً   وهل يُجمع السيفان، ويحكِ، في غمدِ؟

وحكايته ترد في هذا الكتاب بصياغة شعرية ثانية.

ومثله الضماد: ان تخالّ المراة ذات الزوج رجلاً غير زوجها او رجلين. قال مدرك الشاعر:

لا يخـلص، الدهـر، خليـلٌ عشرا
ذات الضـمـاد او يزور القـبـرا
إنـي رايـتُ الضـمـد شيئـاً نكـرا

(اي: لا يدوم رجل على امراته ولا امراة على زوجها إلا قدر عشر ليال، للعذر في الناس هذا العام)، ومن شعره ايضاً[16]:

اردتِ لكيما تضمديني وصاحبي   الا لا، احبّي صاحبي ودعيني

وهناك من يضامد، إذا كان سيداً او من الاشراف، بان ينتقي امراة من قومه لنفسـه مانعاً غيره عنها، فمما يروى ان معاوية، اخا الخنساء، وافى عكاظ في موسم من مواسم العـرب، فبينما هو يمشي بسوق عكاظ إذ لقي اسماء المريّة وكانت جميلة، وزعم انها كانت بغيّاً، فدعاها الى نفسه فامتنعت عليه وقالت: «اما علمت اني عند سيد العرب هاشم بن حرمله؟»، فقال: «اما والله لاقارعنه عنك»، قالت: «شانك وشانه»، فرجعت الى هاشم فاخبرته بما قال معاوية وما قالت له، فقال هاشم: «فلعمري لا يريم ابياتنا حتى ننظر ما يكون من جهده» وخرجوا اليهم فاقتتلوا ساعة ولم يتركوا قتاله حتى قتلوه[17].

نكاح الرهط

وهو من انماط تعدد الازواج الذي مارسته المراة قبل الاسلام، شرط الا يزيد

---

(١٥) لسان العرب، إبن منظور، ج ٣، ص ٢٦٦.

(١٦) المصدر نفسه.

(١٧) الاغاني، ابو فرج الاصفهاني، ج ١٥، ص ٨٧ ـ ٩٠.

عدد ازواجها على العشرة رجال، ولذا سمي بالرهط. والرهط في اللغة: عدد يجمع من ثلاثة الى عشرة، وبعض يقول من سبعة الى عشرة[18]. وفيه كانت المراة تنصب لها خيمة، فإذا اتصل بها احد أزواجها وضعت عصاه على باب الخيمة إشعاراً لغيره بذلك. وفيما يبدو فإن المراة هي التي كانت تنظم عملية الجماع معهم، فإذا حدث وان حبلت المراة ووضعت مولوداً استدعت رجالها كلهم اليها واعلنتهم بذلك ثم اختارت بنفسها أبا المولود ودفعته اليه، دون أن يحقّ لأحد منهم الاعتراض على ذلك الاختيار بل ينزل الجميع عند حكمها. فإذا كان المولود غلاماً نُسبَ الى ابيه وأُلحق به[19]، اما إذا كان انثى فإنها كانت تخفي امرها عن الشركاء[20].

نكاح السرّ

وهو اقتران سرّي، يعقده احد، من الأشراف عادة، مع من هي دونه في المنزلة الطبقية او الاجتماعية (فإذا حبلت منه اظهر ذلك والحقها به)[21]، وقد نهى القرآن صراحة عنه في سورة البقرة (ولكن لا تواعدوهن سراً)[22]، والسرّ هنا بمعنى الزنا، وقد تشدد فيه الخليفة عمر بن الخطاب بالقوة نفسها التي تشدد فيها الرسول «لا نكاح إلا بولي وشاهدَي عدل»، فقد اتي عمر بن الخطاب بنكاح لم يشهد عليه إلا رجل وامراة، فقال: «هذا نكاح السر ولا اجيزه، ولو كنت تقدمت فيه لرجمت»[23]، اما الشيعة فقد تساهلوا فيه كثيراً واعتبروا أن وجود الشاهدين العدلين إنما هو لحفظ حق الوراثة والانتساب، ففي رواية متصلة للكليني، عن جعفر الصادق، انه قال، حينما سُئل عن الرجل الذي يتزوج المراة بغير شهود: «لا باس بتزويج البيّنة فيما بينه وبين الله. إنما جُعل الشهود في تزويج البيّنة من اجل الولد»، وفي رواية اخرى «إنما جُعلت البيّنات للنسب والمواريث»[24].

والسرّ في اللغة معناه: الزنا أو الجماع، ومنه جاءت كلمة: السريّة، وهي الجارية المتخذة للمُلك والجماع، حيث يقال للحرّة إذا نُكحت سراً، أو كانت

---

(18) لسان العرب، إبن منظور، ج ٧، ص ٣٠٥.

(19) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج ٩، ص ١٥٢.

(20) تاريخ الفقه الجعفري، السيد هاشم معروف، ص ٥٩.

(21) تفسير القرآن العظيم، إبن كثير، ج ١، ص ٢٨٧.

(22) سورة البقرة، آية ٢٣٥.

(23) الموطا، مالك بن أنس، ج ٢، ص ٥٣٥.

(24) الفروع من الكافي، الكليني، ج ٥، ص ٣٨٧.

فاجرة: سريّة، وهي منسوبة الى السرّ: الجماع والإخفاء (لأنّ الانسان كثيراً ما يسرّها ويسترها عن حرّته)[٢٥].

ويبدو انّ هذا النمط من النكاح قد تزايد مع ازدياد طبقة الأشراف وتعاظم قوة الدولة الاسلامية، بعد وفاة الخلفاء الراشدين، ففي رواية مسندة لأبي الفرج الأصفهاني ان محمداً بن عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان عندما ارسل الى خُليدة المكيّة، وهي قينة (جارية مغنية)، ليخطبها قالت لرسوله: «أنا من تعلم، فان اراد صاحبك نكاحاً مباحاً او زناً صراحاً فهلمّ الينا فنحن له»، فقال: «انه لا يدخل في الحرام»، فقالت: «ولا ينبغَي ان يستحي من الحلال، فاما نكاح السرّ فلا، والله لا فعلته ولا كنتُ عاراً على القيان»[٢٦]. ويبدو ان المجتمع الاسلامي قد تسامح فيه وادخله الفقهاء في عداد الحلال الجائز للارستقراطية العربية.

نكاح الشغار

هو استنكاح تبادلي كانت تلجا اليه العرب في الجاهلية بان تتزاوج من خلال تبادل امراتين من بنات الرجلين، العازمين على الزواج، او اختيهما على ان تكون المراة المعطاة بمثابة المهر المقدم للمراة التي سيتزوج منها. ولفظة الشغار جاءت من الشغر، اي الرفع، والشغار: رفع رجْلَي المراة للنكاح، وهي مستمدة من شغر الكلب: إذا رفع إحدى رجليه ليبول. ثم استعمله الفقهاء، فيما بعد، كناية عن رفع المهر من عقد النكاح[٢٧]. ورغم ان النبي قد نهى عنه نهياً صريحاً: «لا جلبَ ولا جنبَ ولا شغار في الاسلام»[٢٨]، فقد ظل تاويل الصداق مثار اجتهادات مختلفة من الفقهاء إضافة الى تاويل النهي ذاته وفيما كان يقتضي إبطال النكاح ام لا؟

فالأحناف يرون بانه يصح بمهر المثل، اي إذا اوجب مهر المثل ودفعه الزوج؛ لأنه في هذه الحالة لا يعد شغاراً. وقد عللوا رايهم بأن الأصل في التحريم، في زواج الشغار، مبني على خلو نكاح الشغار من المهر، مع كون البضع صداقاً، ولذا فانهم شان الجمهور، يبطلون النكاح في هذه الحالة ولا يثبتونه، إلا انهم يقولون: إنه في هذه الحالة يبقى نكاحاً مسمّى فيه ما لا يعد مهراً، كان يُسمّى في المهر الخمر والخنزير.

---

(٢٥) لسان العرب، إبن منظور، ج ٤، ص ٣٥٨.

(٢٦) القيان، ابو الفرج الاصفهاني، تحقيق جليل العطية، ص ٦٠.

(٢٧) الزواج واحكامه في مذهب اهل السّنة، د. احمد فرج، ص ٢٥.

(٢٨) صحيح سنن الترمذي، الألباني، ج ١، ص ٣٢٧.

اما المالكية فقد اجمعوا على انه اذا شرط تزوج إحداهما بالاخرى، فهو شغار صريح واضح، لخلوه من الصداق، ولذا فالنكاح باطل، وقالوا: يفسخ، قبل البناء، بطلاق لانه نكاح مختلف فيه. اما بعد البناء فيثبت، بالاكثر، من المهر المسمّى وبصداق المثل، هذا إذا وقع على الشرط. اما إذا لم يقع على الشرط، اي شرط الخلو من الصداق، بل وقع على وجه المكافاة، كما لو زوّجه اخته فكافاه الآخر بمثل ذلك، من غير ان يفهم توقف نكاح احداهما على الاخرى، جاز النكاح وان لم يُسمّ المهر.

اما الشافعي فقد بنى حكمه على نهي النبي وراى أن النهي هنا نهي مطلق، وان الشغار لا يقتصر على ان يكون بدلاً بين اختين، وإنما باية انثى تقع تحت إمرة القائمين بالبدل، وعليه فقد حرمه مستدلاً بحديث الرسول، قاطعاً بإبطاله: «النساء محرّمات إلا ما احلّ الله، فإذا ورد النهي عن النكاح تاكد التحريم»[٢٩]، وهو راي الشيعة ايضاً، فمما ورد عن الامام محمد الباقر انه قال: «نهي عن نكاح المراتين، ليس لواحدة منهما صداق إلا بُضع صاحبتها»، وقال: «لا يحل ان ينكح واحدة منهما إلا بصداق ونكاح المسلمين»[٣٠].

وعلى اية حال، ورغم التحريم الظاهري لهذا النمط من النكاح، فمن الواضح انه يسود بين اوساط الفئات الفقيرة التي تعجز عن إيفاء المهور. ولقد شهدت في صباي، هذا النوع من الاستنكاح، مرتين، ومن الجائز انه ما زال جارياً، وإن بشكل قليل، في الأوساط الريفية وضواحي المدن العراقية الفقيرة.

نكاح المساهاة

وهو نكاح ملحق بنكاح الشغار، تفرد بذكره ابو حيان التوحيدي في (الامتاع والمؤانسة) بان للعرب نكاحاً يسمّى: المساهاة، بمعنى المسامحة وترك الاستقصاء في المعاشرة، وهو ان يفك الرجل اسر الشخص، ويجعل فك ذلك الاسير صداقاً لاخت صاحب الاسر او ابنته او قريبته منه، فيتزوج المعتق من غير صداق.

والارجح ان هذا النوع من النكاح الافتدائي منتشر بين القبائل الضعيفة، الفقيرة التي تتعرض للغزو واسر رجالها، بين حين وآخر، دون أن تكون لها القدرة على إفتدائهم. فقد روي أن ربيعة بن عامر اسر قومه يزيد بن الأطنابة، فطلب من اخيه عمرو بن الأطنابة ان يفديه، فاعتذر عمرو بانه لا يجد ما يفدي

---

(٢٩) الزواج واحكامه في مذهب اهل السّنة، د. أحمد فرج، ص ٢٧ ـ ٢٨.

(٣٠) الفروع من الكافي، الكليني، ج ٥ ص ٣٦٠ ـ ٣٦١.

به اخاه، فطلب ربيعة ان يزوجه بدل الفداء باخته، وهي فاتنة حسناء، فرضي عمرو. فزوج ربيعة باخته عصام، وصداقها فكاك يزيد، اخيها، من الأسر، وقد ذكر الشعراء هذه الواقعة. فمما قيل فيها:

وساهي بها عمرو، وراعى الافال   فزبد وتمر، بعد ذاك، كثير

(الأفال: صغار الابل).

ولما لامه الناس قال: «فُقِدَ حزمي الذي هديتُ له، وعزمي الذي أُرشدتُ اليه»[31].

نكاح الضيزن (المقت)

او وراثة النكاح الذي ينص على وراثة المراة، زوجة الأب او الابن، بعد موت بعلها، لتصير ضمن نساء الموروث، والعرب تقول انها عادة فارسية نص القرآن بوضوح لا لبس فيه على تحريمها: (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء، إلا ما قد سلف، إنــه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلا)[32]. ولذلك سماه العرب بنكاح الضيزن او المقت. والضيزن في الأصل: النخاس او الشريك في المراة، ثم صار يطلق على الذي يشارك اباه في إمراته. يقول اوس بن حجر:

والفارسيّة فيهم غيـر منكَـرةٍ   فكلّهم لابيهِ ضيـزن سَلِفُ

(اي: هم مثل المجوس يتزوج الرجل منهم امراة ابيه وامراة ابنه»[33].

ومن اسمائه: المقت. إذ انه، كما يقال، كان ممقوتاً حتى عند اهل الجاهلية، وفي الحديث: «لم يصبنا عيب من عيوب الجاهلية في نكاحها ومقتها»، والمقت في الأصل: اشدّ البغض، ونكاح المقت: ان يتزوج الرجلُ امراة ابيه إذا طلقها او مات عنها. اما ابن سيده فعنده ان المقتي: هو الذي يتزوج امراة ابيه[34].

ورغم ان القرآن حرّم وراثة النكاح تحريماً قطعياً في سورة النساء: (يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرهاً ولا تعضلوهن)[35] فقد اختلف المحـدّثون في تاويل اسباب نزول هذه الآية، فمنهم من قال ان اهل الجاهلية كانوا إذا مات الرجل صار اولياؤه احقّ بامراته، إن شاء بعضهم تزوجها وإن

---

(٣١) نفحات الإقتران، محمد صالح الموسوي، ص ١١٦.
(٣٢) سورة النساء، آية ٢٢.
(٣٣) لسان العرب، إبن منظور، ج ١٣، ص ٢٤٥.
(٣٤) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٩٠.
(٣٥) سورة النساء، آية ١٩.

شاءوا زوّجوها وإن شاءوا لم يزوجوها، فهم احق بها من اهلها. او ان الرجل كان يرث امراة ذي قرابته فيعضلها (يمنعها من نكاح غيره) حتى تموت او ترد اليه صداقها، فنزلت هذه الآية. اما ابن عباس فقد قال في تفسيرها: إن الرجل إذا مات وترك جارية، القى عليها حميمه (قريبه) ثوبه، فمنعها من الناس. فإن كانت جميلة تزوجها، وإن كانت دميمة حبسها حتى تموت فيرثها. ونقل السديّ عن ابن مالك: ان المراة في الجاهلية كانت إذا مات زوجها جاء وليها فالقى عليها ثوباً، فإن كان له ابن صغير او اخ، حبسها حتى يشب او تموت فيرثها، فإن هي انفلتت فاتت اهلها، ولم يلق عليها ثوباً، نجت[٣٦].

لكن الحادثة الأساسية التي اوجدت آية التحريم هي انه لما توفي ابو قيس بن الأسلت، وهو رجل من الانصار، خطب ابنه قيس امراته، فقالت: «إنما [كنت] اعدك ولداً [لي] وانت من صالحي قومك، ولكني آتي رسول الله»، فقالت [للرسول]: «إن ابا قيس توفي»، فقال: «خيراً!»، ثم قالت: «إن ابنه، قيساً، خطبني وهو من صالحي قومه، وإنما كنت اعده ولداً، فما ترى؟»، فقال لها: «ارجعي الى بيتك»، فنزلت هذه الآية في تحريمه[٣٧].

لم يكن هذا النكاح، كما يبدو، مطلقاً عند اهل الجاهلية، فقد وضع العرب شروطاً لشرعيتـه، منها: ان تكون المراة اصغر سناً ممن يريد ان يخلف اباه عليها، وان لا تكون قد ولدت للأب شيئاً، وان لا تكون اختاً لأم الولد الذي يريد زواجها. فاذا اجتمعت هذه الشروط، واحبّ الخلفُ أن يتزوجها فالقى ثوبه عليها، كان احق بها. فإن شاء تزوجها وراثة من غير صداق، وإن شاء زوّجها غيره واخذ صداقها، وإن شاء عضلها لتفتدي نفسها منه[٣٨].

وذكر السهيلي ان هذا النمط من النكاح قد وقع في نسب النبي، فإن كنانة تزوج امراة ابيه خزيمة، وهي برة بنت مرة، فولدت له النضر، وان هاشماً تزوج واقدة امراة ابيه عبد مناف، فولدت له المطلب. كما تزوج منظور بن سيّار زوجة ابيه سيّار، وهي مليكة بنت خارجة، فاولدها هاشماً وجباراً وخولة، التي تزوجها الحسن بن علي بن ابي طالب، فولدت له الحسن المثنّى، فلما اسلم منظور أُلزم بفراق مليكة واعتُبر اولاده منها اولاداً شرعيين[٣٩].

---

(٣٦) تفسير القرآن العظيم، إبن كثير، ج ١، ص ٤٦٥.
(٣٧) المصدر نفسه، ص ٤٦٨.
(٣٨) نفحات الإقتران، محمد صالح الموسوي، ص ١٠٥.
(٣٩) المصدر نفسه، ص ١٠٥ ـ ١٠٦.

وعموماً فان موقف الطوائف الاسلامية من هذا النكاح هو التحريم المطلق، وقد بالغ بعضهم في ذلك، فالأحناف يرون ان حتى من لمس امراة او قبلها او نظر الى فرجها بشهوة، فقد حُرّمت عليه اصولها وفروعها، وتحرم على اصوله وفروعه[٤٠]. ويكاد فقهاء الشيعة ان يطابقوا هذا الموقف إلا انني وجدتُ نصاً منسوباً، بثلاث روايات، الى الامام جعفر الصادق يرد ما فيه: «ان الفرج يحل بثلاثة: نكاح بميراث، ونكاح بلا ميراث، ونكاح بملك اليمين»[٤١]، ولا ادري إن كان يعني بهذا وراثة النكاح ام غيره؟

واغلب الظن ان نكاح نساء الآباء تقليد لأسامي ففي الكتاب المقدس، العهد القديم، يرد ما مفاده انه «إذا اضطجع رجل مع امراة ابيه فقد كشف عورة ابيه، إنهما يُقتلان كلاهما. دمهما عليهما»[٤٢]. وربما كان هذا العقاب الصارم يشمل الزنا بزوجة الأب، اثناء حياته.

نكاح المحارم

وهو تحريم تقليدي موروث منذ العصر الموسوي القديم يُلزم بمنع الاتصال الجنسي بين اعضاء العائلة الواحدة، اختزله القرآن في آية خاصة به وردت بسورة النساء، (نرتبها هنا بشكل آخر لتسهيل مقارنتها بالنص التوراتي فيما بعد)، تقول:

(حرّمت عليكم امهاتكم،
وبناتكم،
واخواتكم،
وعماتكم،
وخالاتكم،
وبنات الأخ،
وبنات الأخت،
وامهاتكم «اللاتي ارضعنكم»،
واخواتكم «من الرضاعة»،
وامهات نسائكم،
وربائبكم اللاتي في حجوركم «من نسائكم اللاتي دخلتم بهن، فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم»،

---

(٤٠) فقه السّنة، السيد سابق، المجلد ٢، ص ٦٥.

(٤١) الفروع من الكافي، الكليني، ج ٥، ص ٣٦٤.

(٤٢) الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر اللاويين، إصحاح ٢٠، سطر ١١.

وحلائل ابنائكم «الذين من اصلابكم»،
وان تجمعوا بين الاختين «إلا ما قد سلف»،
إن الله كان غفوراً رحيما)[٤٣]

(الربـائب: جمـع ربيبـة، وهي ابنـة امراة الرجل من غيره، والدخول هنا بمعنى: الوطء). ويجمع الفقهاء على ان القرآن، في هذه الآية، قد حرّم سبعاً من النسب، وستاً من الرضاع والصهر. ثم الحقت السنن المتواترة تحريم الجمع بين المراة وعمتها، وبين المراة وخالتها.

فالسبع المحرّمات من النسب: الأمهات، البنات، الأخوات، العمات، الخالات، بنات الأخ، وبنات الأخت.

والمحرمات بالصهر والرضاع: الأمهات من الرضاعة، الأخوات من الرضاعة وامهـات النسـاء، الربـائب، حلائـل الأبناء، الجمع بين الأختين، (السابعة) منكوحات الأباء، و(الثامنة) الجمع بين المراة وعمتها[٤٤].

ويمكننـا هنـا بإدراج التحريمات التوراتية التي وردت في سفر اللاويين، إصحاح ١٨ و٢٠ (مع التقديم والتاخير)، معرفة مدى تطابق النص القرآني مع الاصحاحين. تقول التوراة:

«لا يقترب إنسان إلى قريب جسده ليكشف العورة ١٨/٦

عورة ابيك وعورة امك لا تكشف، إنها امك لا تكشف عورتها ١٨/٧

وإذا اضطجع رجل مع امراة ابيه فقد كشف عورة ابيه، انهما يقتلان كلاهما ٢٠/١١

عورة اختك بنت ابيك أو بنت أمك، المولودة في البيت او المولودة خارجاً، لا تكشف عورتها ١٨/٩

عورة بنت امراة ابيك، المولودة من ابيك، لا تكشف عورتها، إنها اختك ١٨/١١

وإذا اخذ رجل اخته بنت ابيه او بنت امه وراى عورتها ورات هي عورته، فذلك عار. يقطعان امام اعين بني شعبهما. قد كشف عورة اخته يحمل ذنبه ٢٠/١٧

عورة امراة اخيك لا تكشف، إنها عورة اخيك ١٨/٢٦

---

(٤٣) سورة النساء، آية ٢٣.

(٤٤) حسن الأسوة بما ثبت عن الله ورسوله في النسوة، صديق حسن خان، تحقيق محمد عبد الرزاق الرعود، ص ٥٨.

وإذا اخذ رجل امراة اخيه فذلك نجاسة، قد كشف عورة اخيه ٢١/٢٠

عورة كنّتك لا تكشف، إنها امراة ابنك، لا تكشف عورتها ١٥/١٨

وإذا اضطجع رجل مع كنّته فانهما يقتلان ١٢/٢٠

عورة اخت ابيك لا تكشف. إنها قريبة ابيك ١٢/١٨

عورة اخت امك لا تكشف، إنها قريبة امك ١٣/١٨

عورة اخت امك او اخت ابيك لا تكشف ١٩/٢٠

عورة اخي ابيك لا تكشف. إلى امراته لا تقترب. إنها عمتك ١٤/١٨

وإذا اضطجع رجل مع امراة عمه، فقد كشف عورة عمه، يحملان ذنبهما ٢٠/٢٢

عورة ابنة ابنك او ابنة بنتك، لا تكشف عورتها. إنها عورتك ١٠/١٨

عورة امراة وبنتها لا تكشف. ولا تاخذ إبنة ابنها او ابنة بنتها لتكشف عورتها، إنهما قريبتاها. إنه رذيلة ١٧/١٨

وإذا اتخذ رجل امراة وامها فذلك رذيلة، بالنار يحرقونه واياها ١٤/٢٠

ولا تاخذ امراة على اختها للضرّ، لتكشف عورتها معها في حياتها ١٨/١٨

من هنا يمكن القول بان التحريم الاسلامي لم يخرج على التشريعات التوراتية او يتجاوزها، بل بالعكس فقد زاد فيها فيما يتعلق بالرضاعة، فمن احاديث الرسول: «ان الرضاعة تحرم ما تحرّم الولادة»[٤٥]، او «إن الله حرّم من الرضاع ما حرّم من النسب»[٤٦]. وسوف يمكن تقدير خطورة الأمر إذا عرفنا الدور الذي يلعبه الرضاع واستئجار المرضعات في بيئة صحراوية تكاد تكون المجاعات، التي تصيب قاطنيها سنوياً، امراً طبيعياً لا حياد عنه، وما يستتبعه ذلك من تشابك لانساب ربما لن يعلمها حتى الرضيع نفسه.

ويفصّل الامام الخميني، في كتابه (تحرير الوسيلة)، النسبَ تفصيلاً دقيقاً، فهو يراه سبعة اصناف من النساء، وسبعة من الرجال:

الأم، بما شملت الجدات، عاليات وسافلات، لأب كنّ او لأم. فتحرم المراة على ابنها، وعلى ابن ابنها، وابن ابن ابنها، وعلى ابن بنتها، وابن بنت ابنها، وهكذا. والبنت، بما شملت الحفيدة. فتحرم على الرجل بنته، وبنت ابنه، وبنت ابن ابنه، وبنت بنته، وبنت بنت بنته.

والأخت، لأبٍ كانت او لأمّ، او لهما معاً.

---

(٤٥) مختصر صحيح مسلم، للنيسابوري، تحقيق الالباني، ص ٢٣٠.

(٤٦) صحيح سنن الترمذي، تحقيق الالباني، ج ١، ص ٣٣٥.

وبنت الاخ، سواء كان لأب او لأم او لهما معاً، فتحرم عليه بنت اخيه، وبنت ابنه، وبنت ابن ابنه، وبنت بنته، وبنت بنت بنته، وبنت ابن بنته، وهكذا.

وبنت الاخت، وهي كل انثى تنتمي الى اخته بالولادة على النحو الذي ذكر في بنت الاخ.

والعمة، وهي كل انثى تكون اختاً لذكر ينتمي اليه بالولادة من طرف الاب او الام.

والخالة، وهي كالعمة، إلا انها اخت احدى الامهات ولو من طرف الاب[٤٧].

اي باختصار «جميع اقارب الرجل حرام عليه، إلا بنات اعمامه واخواله وعماته وخالاته»[٤٨].

واضاف بعض الفقهاء المولودة من العلاقة غير الشرعية، اي: الزنا بالمصطلح الاسلامي، الى جملة المحرمات من النسب، مستدلين على ذلك بكلمة «وبناتكم» الواردة في الآية المذكورة، وهو مذهب ابي حنيفة ومالك وابن حنبل. وقد حكي عن الشافعي إباحتها لانها ليست بنتاً شرعية ولا تورث[٤٩].

وتشير بعض كتب التاريخ الى الإشكال والبلبلة اللذين وقعا في صفوف المسلمين إبان تزوج الرسول من زوجة ابنه بالتبني، زيد بن حارثة، الأمر الذي ادّى الى ورود مثل هذه الآية لتفصيل التدرج العائلي للتحريم، وبشكل قانوني، فانزلت: (وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم)[٥٠] وانزلت (وما جعل ادعياءكم ابناءكم)[٥١] وكذلك (ما كان محمد ابا احد من رجالكم[٥٢])[٥٣].

نكاح الزنا

وهو كل علاقة، بين رجل وامراة لا يرتبطان بعقد زواج، يتم فيها الاتصال الجنسي الكامل. وقد حرمه القرآن تحريماً صارماً في مواضع عدة:

(ولا يقتلون النفس التي حرم الله ولا يزنون) (الفرقان ٦٨).

(يبايعنك على أن لايشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين) (الممتحنة ١٢).

---

(٤٧) تحرير الوسيلة، الإمام الخميني، المجلد ٢، ص ٢٣٨.

(٤٨) فتاوى الزواج وعشرة النساء، إبن تيمية، تحقيق فريد الهنداوي، ص ٤٥.

(٤٩) تفسير القرآن العظيم، إبن كثير، ج ١، ص ٤٦٩.

(٥٠) سورة النساء، آية ٢٣.

(٥١) سورة الأحزاب، آية ٤.

(٥٢) سورة الاحزاب، آية ٤٠.

(٥٣) تفسير القرآن العظيم، إبن كثير، ج ١، ص ٤٧٢.

(ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا) (الإسراء ٣٢).
(الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) (النور ٢).
(الزاني لا ينكح إلا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين) (النور ٣).

وقد تدرج القرآن في تقرير عقوبة الزنا، إسوة بالخمر. فكانت عقوبة الزنا أول الأمر الايذاء بالتوبيخ والتعنيف: (واللذان ياتيانها منكم فاذوهما، فإن تابا واصلحا فاعرضوا عنهما)[٥٤]، ثم تدرج الحكم من ذلك الى الحبس في البيوت: (واللاتي ياتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن اربعة منكم، فان شهدوا فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت او يجعل الله لهن سبيلا)[٥٥]، لينتهي الأمر الى الرجم استناداً الى احاديث منسوبة الى النبي وإلى آية منسوخة مشكوك فيها تقول: «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة بما قضيا من اللذة»[٥٦]. ومع ذلك فقد حدّد النبي، الذي عانى من اتهام احب زوجاته اليه، عائشة وماريا القبطية، بالزنا، شروطاً يستحيل تحقيقها لاثبات التهمة، فمن ذلك وجوب وجود أربعة شهود (من الرجال) يكونون قد راوا الفعل الجنسي بحذافيره، اي دخول ذَكَر الرجل في فَرْجِ المراة «كالمرود في المكحلة، او الرشا (الحبل) في البئر»[٥٧]. وهذا شرط مستحيل تحقيقه إذا أخذنا بنظر الاعتبار السرية التامة التي تحيط بالفعل الجنسي، خصوصاً إذا كان غير مشروع. وعلى حد تعبير احد الأعراب الذين استشهدوا على رؤية ذلك، فقال: «والله ما كنت أرى هذا ولو كنت في جلدة إستها».

ويذهب الامام الخميني الى ان «التقبيل والمضاجعة والمعانقة وغير ذلك من الاستمتاعات دون الفرج، ليست بزنا، بل تستحق التعزير فقط، المنوط بنظر الحاكم»[٥٨]. وعموماً فقد تساهل النبي في ذلك تساهلاً كبيراً، فيروى ان رجلاً اشتكى الى الرسول قائلاً: «إن امراتي لا تردّ يد لامس»، فقال له: «طلقها»، فقال: «إني أحبها»، قال: «فاستمتع بها»[٥٩]. ويقال أن الرسول، بعد اتهام زوجته

---

(٥٤) سورة النساء، آية ١٦.
(٥٥) سورة النساء، آية ١٥.
(٥٦) **فقه السّنة**، السيد سابق، المجلد ٢، ص ٣٤٢ ـ ٣٤٧.
(٥٧) المصدر نفسه، ص ٣٤٢.
(٥٨) **تحرير الوسيلة**، الإمام الخميني، المجلد ٢، ص ٤١٤ ـ ٤١٥.
(٥٩) **فتاوي الزواج وعشرة النساء**، إبن تيمية، ص ٦٧.

عائشة بالزنا، انه اتاها وقال لها: «اما بعد يا عائشة، فانه قد بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت الممت بذنب فاستغفري الله وتوبي اليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه وتاب تاب الله عليه»[60]، ولست اعلم رجلاً من العرب وقف هذا الموقف، بمثل هذا القدر من التسامح وكبر القلب، منه.

نكاح البغايا

منع الاسلام، من جملة ما منع، البغاء، معتبراً إياه من الزنا. ويبدو ان البغاء في الجاهلية كان منظماً تنظيماً جيداً، حيث كانت البغايا يقطنّ في خيم خاصة بهن ترفع اعلاماً لمن ارادهن، كما ورد في حديث عائشة، ويقال ان الرايات هذه كانت حمراء. وكنّ، لتنظيم دخول الوافدين اليهن طلباً للمتعة، قد جعلن التنحنح او السعال علامة استعدادهن لاستقبال القادم، ومنه سميت البغي بالقحبة «لأنها كانت في الجاهلية تؤذن طلابها بقحابها، وهو سعالها»[61].

ويستنتج مما ورد في سورة النور: (ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء) ان هنالك الكثير من العوائل التي كانت تدفع بجواريها وبناتها إلى البغاء طلباً لسعة العيش او حتى لسد الرمق، فلما جاء الاسلام منع ذلك. ويقال ان سبب نزول هذه الآية هو ان اهل الجاهلية كانوا إذا كان لأحدهم امَة (مملوكة) ارسلها تزني وجعل عليها ضريبة ياخذها منها كل وقت[62]. وتتحدث المصادر عن بغايا شهيرات في ذلك العصر، فمنهن: عناق، بغي مكة، ومنهن: ظلمة الهذلية، التي يفرد لها التيفاشي بضع صفحات في كتابه هذا.

منع الاسلام ايضاً الزواج من البغي، فمما يروى ان رجلاً من المسلمين استاذن النبي في الزواج من بغيّ يقال لها: ام َمهزول، وكانت تسافح وتشترط له ان تنفق عليه، فقرا له الرسول: (الزاني لا ينكح إلا زانية او مشركة، والزانية لا ينكحها إلا زان او مشرك وحرّم ذلك على المؤمنين)[63]. ملقياً بالبغاء خارج المجتمع الاسلامي الذي شيده.

اللواط

يقسم الفقه الرسمي اللواط الى قسمين، اللواط الأكبر واللواط الأصغر.

فاللواط الأكبر هو جماع الرجل مع الرجل، تشدد الاسلام في عقوبته، فعن

(٦٠) تفسير القرآن العظيم، إبن كثير، ج ٣، ص ٢٧٠.

(٦١) لسان العرب، إبن منظور، ج ١، ص ٦٦١ ـ ٦٦٢.

(٦٢) تفسير القرآن العظيم، إبن كثير، ج ٣، ص ٢٨٨.

(٦٣) سورة النور، آية ٣. يراجع كذلك تفسير القرآن لإبن كثير، ج ٣، ص ٢٦٢ ـ ٢٦٣.

الرسـول انه قال: «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به»[٦٤]، ويمكننـا في هذا تلمس اصـداء القـوانين التوراتية ايضاً، ففي سفر اللاويـين يرد ما نصه: «إذا اضطجع رجل مع ذكر اضطجاع امراة، فقد فعلا كلاهما رجساً، إنهما يُقتلان، دمهما عليهما»[٦٥]. ومع ذلك فإنني اعتقد ان هذا الحـديث «منسوب» الى النبي لأمرين، اولهما: طبيعة الصياغة اللغوية التي تبدو وكان فقيهاً نحوياً قد صاغها وليس الرسول، ثانياً: ما ورد في سورة النساء الآية ١٦، ضمن الحديث عن الفاحشة: (واللذان ياتيانها منكم فاذوهما، فإن تابا واصلحا فاعرضوا عنهما إن الله كان تواباً رحيماً) الذي يكاد يجمع الفقهاء على انها نزلت في اللواطيين، حيث ترد عقوبة اللواط، والتي لا تتعدى الايذاء بالضرب او بالكلام، او العفو عنهما في حالة إعلانهما التوبة عن ممارسته لاحقاً.

يبدو أن هذا النمط الجنسي البدائي كان معروفاً في الجزيرة العربية، قبل الاسلام، رغم خلو الشعر الجاهلي من الاشارة اليه، فقد اتهم العديد من سادات قريش، ومنهم ابـو جهـل، بذلك، رغم اننـا نعتقـد ان هذا الاتهـام الصق به لاعتبـارات سيـاسيـة ـ دينيـة، إلا ان الاتهـام نفسه يؤكد تفشي اللواط بين الأرستقراطية القرشية آنذاك إضافة إلى شيوع التخنث والتشبه بالنساء.

امـا اللواط الأصغـر فهو وطء المراة من الدبر، وقد اثار بدوره عاصفة من الخلافات بين المذاهب الفقهية. واصل المسالة هو ان احد الصحابة (عمر بن الخطاب) قال للنبي ذات يوم: «يا رسول الله، هلكتُ»، فقال له: «وما اهلكك؟»، قال: «حوّلت رَحْلي الليلة»، فلم يرد الرسول عليه بشيء، ثم انزلت: (نساؤكم حرث لكم فاتـوا حرثكم انى شئتم)[٦٦]. وقـد اثـارت هذه الآيـة الكثير من التقولات والتـآويل، ففقهاء السنة يجمعون عموماً على انه يقصد بتحويل الرحْل وطء المـراة من الخلف، لكن في الفـرج، بخـلاف فقهاء المذاهب الأخرى، خصوصاً الشيعة، الذين يرون انها تعني نكاح المراة من الخلف، لكن في الدبر. كما يرى السنة ان المعنى بـ «الحرث» هو الفرج الذي هو موضع الزرع وافتوا بتحريم نكاح المراة في الدبر باستثناء الامام مالك الذي اباحه في كتاب منسوب اليه يدعى (كتاب السر)[٦٧]، مطابقاً في هذا التفسير فقهاء الشيعة الذين يرون جواز وطء

---

(٦٤) صحيح سنن ابن ماجه، تاليف الالباني، مجلد ٢، ص ٨٣.

(٦٥) الكتاب المقدس، سفر اللاويين، إصحاح ٢٠، سطر ١٣.

(٦٦) سورة البقرة، آية ٢٢٣.

(٦٧) تفسـير القـرآن العـظيم، إبن كثير، ج ١، ص ٢٦٢. كذلك راجع: فتاوي الزواج وعشرة النساء، لإبن تيمية، ص ١٩٣.

المراة في الدبر، لكن بموافقتها، فعن الامام الرضا انه جاءه رجل يدعى صفوان بن يحيى وقال: «إن رجلاً من مواليك امرني ان اسالك عن مسالة هابك واستحيى منك ان يسالك»، فقال له: «وما هي؟»، قال: «الرجل ياتي امراته في دبرها؟»، قال: «ذلك له»، فقال له الرجل: «فانت تفعل؟»، قال: «إنّا لا نفعل ذلك»[٦٨]. كما روي عن جعفر الصادق أن أحداً ساله: «عن الرجل ياتي المراة في دبرها؟»، فقال: «لا باس، إذا رضيتْ»، فقال له الرجل: «فاين قول الله عز وجل: فاتوهن من حيث أمركم الله؟»، قال: «هذا في طلب الولد»[٦٩].

السحاق

منـع الاسلام السحاق ايضاً ووضع له حدوداً مخففة للعقوبة لا تتجاوز الحبس في البيـوت شرط توفر اربعة شهود كما في الزنا، باعتباره نكاحاً دون إيـلاج، ففي القرآن: (واللاتي ياتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم، فإن شهدوا فامسكوهنّ في البيوت حتى يتوفاهنّ الموت او يجعل الله لهنّ سبيلا)[٧٠]، وهذا يشير الى ان السحاق كان معروفاً، عند الأرستقراطية العربية على الاقل، قبل ان يستفحل امره ويشيع الى درجة إشهاره في العصور الاسلامية التالية. ويقال ان هند ابنة النعمان بن المنذر كانت قد احبت زرقاء اليمامة وساحقتها في قصور المناذرة قبل الاسلام محرزة قصب السبق في هذا المضمار.

إتيان البهائم

حرم الإسلام إتيان البهائم تحريماً شديداً، فمن حديث للرسول انه قال: «من وقع على بهيمة فاقتلوه واقتلوا البهيمة»[٧١]، وهذا الحديث يطابق تماماً وصايا العهد القديم: «إذ جعل رجل مضجعه مع بهيمة فإنه يُقتل، والبهيمة تميتونها. وإذا اقتربت امراة إلى بهيمة لنزائها تُميت المراة والبهيمة»[٧٢].

وإتيان العرب للبهائم مشهور، فقد كانت قبيلة فزارة تُعَيَّر بذلك، وقد قيل فيها:

---

(٦٨) الفروع من الكافي، الكليني، ج ٥، ص ٥٤٠.

(٦٩) تهذيب الأحكام، الطوسي، ج ٧، ص ٤١٤. ايضاً في: الإستبصار فيما اختلف من الأخبار للطوسي، ج ٣، ص ٢٤٢ ـ ٢٤٣.

(٧٠) سورة النساء، آية ١٥.

(٧١) صحيح سنن ابن ماجه، الألباني، مجلد ٢، ص ٨٢.

(٧٢) الكتاب المقدس، سفر اللاويين، إصحاح ٢٠، السطران ١٥ ـ ١٦.

لا تامننَّ فزارياً خلوتَ بـه   على قلوصك، واكتبها باسيار

(القلوص: الناقة الطويلة القوائم).

كما ورد في الأمثال «اشبقُ من جمّالة»، في حق رجل من بني قيس كان ينكح ناقته[٧٣].

قدسية الجنس والنظام الأمومي

ويمكننا ان نضيف إلى هذه الأنماط الجنسية المقموعة، والتي لا نزعم اننا حصرناها كلها، ما يمكن تسميته بالنكاح المقدس او «تقديس الجنس» عند العرب. فقد ذكر المسعودي أن هناك جماعة من العرب تقدس الإناث وتزعم انها بنات الله، فكانوا يعبدونها لتشفع لهم عنده[٧٤]، وقد ورد ذكرهم في القرآن: (ويجعلون لله البنات، سبحانه، ولهم ما يشتهون)[٧٥]، كما وردت الإشارة إلى معبوداتهم الانثوية (افرايتم اللات والعزى، ومناة الثالثة الأخرى، الكم الذَّكَر وله الأنثى، تلك إذاً قسمة ضيزى)[٧٦]. ويقول ابن جرير ان العرب قد اشتقوا إسم «اللات» من «الله»، يعنون مؤنثة منه[٧٧]. كما ان «الضيزن»، وهو نكاح سبق ذكره، كان في الأصل إسماً لصنم ومنه «الضيزنان» صنما المنذر الأكبر اللذان وضعهما بباب الحيرة ليسجد لهما من دخلها امتحاناً للطاعة[٧٨]، و «اساف ونائلة» صنما قريش اللذان كان يُذبح عليهما تجاه الكعبة، وكانا من قبل رجلاً وامراة دخلا الكعبة ووجدا خلوة فتضاجعا فيها «فمسخهما الله حجرين»[٧٩] وعبدتهما العرب بعد ذلك. وإذا اضفنا إلى ذلك الطقوس الجاهلية للطواف حول الكعبة، التي كانت تحتم على النساء الطواف شبه عاريات جنباً إلى جنب مع الرجال، يمكننا ان نتلمس إشارات غير منسقة، لكنها قوية، لتقديس الجنس قبل مجيء الإسلام[٨٠]، فلما جاء بترها كلها وابقى فقط الزواج المعلن

(٧٣) الحياة الجنسية عند العرب، صلاح الدين المنجد، ص ٢١.

(٧٤) مروج الذهب ومعادن الجوهر، المسعودي، مجلد ٢، ص ١٢٦ ـ ١٢٧.

(٧٥) سورة النحل، آية ٥٧.

(٧٦) سورة النجم، الآيات ١٩ ـ ٢٢.

(٧٧) تفسير القرآن العظيم، إبن كثير، ج ٤، ص ٢٥٣.

(٧٨) لسان العرب، إبن منظور، ج ١٣، ص ٢٥٤.

(٧٩) مروج الذهب ومعادن الجوهر، المسعودي، ج ٢، ص ٥٠. كذلك راجع: لسان العرب، لإبن منظور، ج ٩، ص ٦.

(٨٠) المزيد من التفصيلات حول مسالة «النكاح المقدس» راجع الدراسة الفريدة التي كتبها =

عنـه، بـ «الدفّ والمـزمـار» محـولاً حق تعـدد الزيجات من المرأة إلى الرجل، محصورة بأربع مُعلنات وبعدد لا حصر له (مما ملكت ايمانكم) اي الجاريات، لتؤوّل فيما بعد إلى الجاريات والغلمان معاً، إضافة إلى نكاح «المتعة» المؤقت الذي حرم بعد تحليله بوقت قصير.

ويتضح من التشريعات الاسلامية حول النكاح ان هدف الإسلام الرئيسي كان في تحويل النظام الاجتماعي من النظام الأمومي إلى النظام الأبوي إضافة إلى تنظيم عملية التناسل التي يفصلها الإسلام، في تشريع عقوباته بشأنها، عن العملية الجنسية التي لا تستهدف النسل. ومع ذلك فقد ظلت «صلة الرحم» هي الرابطة الأشد بين ابنائها، الرابطة التي لم يوفق الإسلام في محوها بين العرب أو حتى استبدالها بالصلة اليقينية التي اوجدها.

وفي الواقع لم يكن النظام الأمومي قبل الإسلام ترفاً ولا بطراً، بل كان حاجة اجتمـاعيـة أوجـدتها كثرة عدد الرجال نتيجة العادة البربرية، التي حرّمها الإسلام فيما بعد، واعني عادة «واد البنات» التي يشترك فيها العرب مع العديد من القبائل المتوحشة الأخرى، والتي يظهر جراءها، في كل قبيلة بمفردها، فيض من الرجال تكون عاقبته الأولى، بصورة لا بد منها، تشارك بضعة رجال في امتلاك زوجة واحدة، اي شكل تعدد الأزواج، مما ينجم عنه ان أم الولد تكون معروفة بينما ابوه يكون غير معروف. ولهذا فإن حساب القرابة لم يكن يسير إلاّ حسب الخط النسائي لا الرجالي، وهذا هو الحق الأمومي. اما العاقبة الثانية لنقص النساء داخل القبيلة فهي خطف نساء القبائل الأخرى بالقوة، وباستمرار[٨١].
وبمجيء الإسلام، الذي حرّم الواد، واتساع الفتوحات التي حولت الغزو من داخل القبائل العربية إلى الخارج، حدث فيض كبير في النساء المختطفات بالقوة (السبـايا) اللواتي كن يجلبن من اصقاع المعمورة إلى مركز الدولة الإسلامية المنتصرة واسيـادها، مما اوجد خلخلة من نوع مغاير داخل تركيبة المجتمع الجـديـد. فمن جهة كان الأشراف وافراد الأسر الحاكمة غارقين في طوفان من النسـاء والغلمان، بينما كانت الفئات الفقيرة، خصوصاً الجنود، لا يتاح لهم حتى امرأة مؤقتة واحدة من بين آلاف النساء اللواتي كن يغمرن الامبراطورية الإسـلامية، خصوصاً بعد ان حرّم عمر بن الخطاب زواج المتعة الذي اباحه الرسول، والذي كان نوعاً من الحل ما زالت تبيحه الشيعة الإمامية إلى الآن.

= سيد محمود القمني (القمر الاب، أو الضلع الاكبر في الثالوث)، مجلة الكرمل، العدد ١٩٨٧/٢٦.

(٨١) اصل العائلة والملكية الخاصة والدولة، فردريك انجلز، المختارات، ج ٢، ص ١٦٥.

ادت هذه الخلخلة الجديدة إلى شيوع علاقات جنسية غير مسموح بها شرعاً، بين نساء غير مشبعات جنسياً ورجال محرومين، إضافة إلى شيوع انماط جنسية جديدة بين افراد الأرستقراطية الإسلامية كنوع من الترف الجنسي الذي كانوا يعيشونه (يكون ابطاله حريمهم او غلمانهم، او كليهما معاً)، وبين افراد الطبقات الفقيرة التي كانت تجد ضالتها في دور البغاء والقوادين او في الحمامات وزوايا المساجد (مع الغلمان والمؤاجرين)، حيث يقوم التيفاشي، في كتابه هذا، بمهمة الموثق الدقيق لهذه الفئات التي كانت تخوض في الحرام، منقباً عنها في جيولوجيا القاع، قاع الأيروتيكية العربية المحظور.

نزهة الألباب فيما لا يوجد في كتاب

يجهد هذا الكتاب في تناول موضوع نادر في تاريخ الأدب الايروتيكي العربي، إذ يقدم مسحاً شاملاً للظواهر الجنسية المتخفية منها والظاهرة، في المجتمع الإسلامي، حتى نهاية منتصف القرن السابع الهجري، اي قبل وفاة المؤلف ببضع سنين، متناولاً طبقات القوادين والزناة واللوطيين والمساحقات واساليب عملهم واتصالهم بتركيز دؤوب قل ان يوجد مثله حتى في كتب التاريخ التقليدية الأخرى، جامعاً قدر الإمكان اهم النصوص الشعرية والفكاهية السائدة آنذاك، والتي مازالت تحتفظ برونقها إلى الآن، سابكاً إياها بلغة فخمة واسلوب رصين تفتقده الكتب الأخرى المصنّفة حول الموضوع عينه.

قسّم التيفاشي هذا الكتاب الفريد إلى اثني عشر باباً اضاف إليها مجموعة من الفصول والنوادر والأشعار اسبغت على رصانته مناخاً من المرح والفكاهة ينقله من كتاب جاد ورصين مدون باسلوب اكاديمي بحت إلى كتاب متعة وتفكّه، وبالعكس. الأمر الذي يجعل منه موسوعة جنسية متكاملة بمادتها العلمية - الواقعية، المبنية على المشاهدة والتدقيق، وبطرائفها واشعارها اللذين بذل المؤرخ والأديب والعالم والجغرافي احمد بن يوسف التيفاشي جهداً مضنياً في جمعهما، سواء من افواه الناس وبطون الكتب او من المشاهدة العيانية والتجربة الشخصية، ليخرج هذا الكتاب الذي لا مثيل له، كتاب ما لا يوجد في اي كتاب.

تقسم ابواب الكتاب إلى ما يلي:

«مقدمة الكتاب»: يمهد فيها التيفاشي لأسباب كتابته هذا الكتاب من خلال إيراد بضعة احاديث عن الرسول والصحابة تتناول إباحتهم للمزح والفكاهة وتحبيذهم لها في الأوقات المناسبة. ثم يورد اخباراً ونوادر واشعاراً لشخصيات

تاريخية معروفة تدور حول الشان نفسه، ليضع بعدها ابواب الكتاب ويبين سبب تسميته بهذا الاسم.

الباب الأول: «في الصفع وما فيه من الفوائد والنفع»، تناول فيه تلك الطبقة الطفيلية التي ظهرت في العصور الإسلامية المتأخرة، وهي طبقة (المنصَفعة) المدرجة ضمن حاشية السلاطين واصحاب النفوذ، وتكون وظيفتها تَلقي الصفعات من أسيادهم الذين يودون التنفيس عن غضبهم أو «التعبير عن مودتهم» بهذا الأسلوب السادي. وفي الحقيقة فإن هذا الباب هو الباب الشاذ الوحيد الذي لا علاقة مباشرة له بالجنس، محور الكتاب. يقوم فيه الكاتب بتبيان فضائل الصفع والامتيازات التي يحصل عليها المنصفع ويبين اقسام الصفاع مفنداً الحجج التي قامت ضده بأسلوب لا يمتلكه إلّا عالم طبيب يمسك زمام اللغة. ورغم ان المؤلف امتدح كثيراً (المنصفعة) وعدد فضائلهم فيجب الاّ يؤخذ ذلك منه ماخذ الجد، فهو وإن فعل ذلك فانه جمعهم مع القوادين والقحاب والمؤاجرين في كتاب واحد. ويمكن اعتبار هذا الباب توثيقاً للنزعات «السادو ـ مازوشية» المتحكمة في ذوي السلطان وحاشيتهم من المنصفعة، وما اكثرهم في عصرنا الحاضر.

الباب الثاني: «في أصناف القوادين والقوادات، وما جاء فيهم من نوادر واشعار»، وفيه يتكلم المؤلف عن انماط القوادة السائدة في ذلك العصر وحيل القوادين في الإيقاع بالزبائن، مقسماً إياهم إلى اثنين وعشرين صنفاً من القوادين والقوادات، سواء من قاد منهم على البغايا او على الغلمان، ثم يورد فصلاً طويلاً يتناول فيه «ما جاء فيهم من الأخبار والنوادر»، إضافة إلى الأشعار التي لها صلة بهم وبمهنتهم.

الباب الثالث: «في شروط الزناة وعلامات القحاب»، وفيه يصف مستلزمات الزاني الضرورية التي لا بد منها لإصطياد المراة التي يريد، مقدماً دليل عمل له، مستعيناً بالنوادر والأشعار. ثم يختم الباب بتبيان علامات المراة الزانية وانماط سلوكها لتسهيل الإيقاع بها وكذلك إدراج العلامات التي يستدل بها على محبتها له.

الباب الرابع: «في القحاب المتبذلات، ونوادر أخبارهن وملح اشعارهن»، فيه يقسم المصنف القحاب إلى سبعة اصناف، كل صنف بحسب الطريقة التي يتبعنها للإتصال بالزبائن او اصطيادهم، وبين الحيل التي يلجان إليها لنيل غايتهن من كل واحد أحد منهم.

ثم يليه فصل جمع فيه التيفاشي من النوادر والأخبار ما استطاع، يليه فصل آخر يتضمن ملح الاشعار لهذا الباب.

الباب الخامس: «في نوادر اخبار الزناة وملح اشعارهم وحكاياتهم»، ضم فيه التيفاشي الحكايات والاشعار التي اطلع عليها في بطون الكتب او سمعها اثناء تجـواله الطويـل في بلدان المشرق والمغـرب أو مرت به عياناً إسوة بالابواب الأخرى التي ستليه.

البـــاب السادس: «في شروط اللاطة وعلامات المؤاجرين»، يذكر فيه صفات اللاطة وشروط عملهم، مقتبساً من الجاحظ، ومن تجربته الشخصية. ثم يذكر صفات الغلام المؤاجر وكيفية الإستدلال بها عليه.

الباب السابع: «في نوادر اخبار المرد المؤاجـرين، وملح اشعارهم»، جمع فيه النوادر التي تخص المرد والأشعار التي قيلت فيهم.

الباب الثامن: «في نوادر اخبار اللاطة، وملح اشعارهم»، وهو باب مستفيض في نوادر اللواطيين، يليه فصل في ملح الأشعار التي تناولتهم، ثم فصل ظريف فيه تقليد مسجوع من قاضي الفسقة إلى نائبه في الاسكندرية يتضمن وصاياه له.

الباب التاسع: «في أدب الدبّ، ونوادر اخباره وملح اشعاره»، والدبّ معناه: إنتهاز حلول الظلام ونوم الناس للزحف إلى غلام نائم، او رجل، ومضاجعته دون ان يدري، ويبدو ان هذه العادة كانت مستفحلة منذ عصر الجاحظ الذي تناولها في بطون كتبه وامتدت إلى ما بعد عصر التيفاشي، الذي يتحدث في الفصل الأول من هذا الباب عن شروط الدابّ والأشياء التي يجب ان يستعين بها للنيل ممن يشتهيه، ثم يليه فصل في النوادر والفكاهات التي جرت حول حوادث الدبّ، وفصل آخر لرواية الأشعار التي تدور حول هذا الموضوع.

الباب العاشر: «في إتيان الإناث كما في الذكور، وما قيل فيه من نوادر وملح الأشعـار»، تناول فيه نكاح المرأة من الدبر، طبياً وفقهياً، مستنداً إلى احاديث الرسول والفقهاء وتعليقاتهم اللغوية والفقهية حول الآية المشهورة: (نساؤكم حرث لكم)، ثم يورد فصلاً جمع فيه نوادر هذا الباب، وفصلاً آخر لأشعاره.

الباب الحادي عشر: «في أدب السحق والمساحقات، ونوادر اخبارهن، وملح الأشعار فيهن»، وهو باب خاص بالسحاق، تناول فيه العوامل الفسيولوجية في تكوين هذا الميل عند النساء ووجهة نظر الأطباء والحكماء، في ذلك العصر، في اسبابه. ثم يتحول إلى الحديث عن شروطهن وصفة عملهن وعن كيفية ممارسة

السحق فيما بينهن، مورداً بعض الحكايات والنوادر حولهن. ثم يخصص فصلين اولهما «في مدح السحق والإحتجاج له»، والثاني «في ذم السحق»، من خلال إيراد النوادر والأشعار التي نظمت في ذلك.

الباب الثاني عشر: «في الخناث والمخنثين، وما جاء فيهم من نوادر واخبار وملح واشعار»، وهذا هو الباب الأخير في الكتاب واكثره تفصيلاً، قسمه المصنف إلى ثمانية فصول، وهي:

١) في معنى الخناث وسببه، على راي الفلاسفة.
٢) في اسماء المخنثين من كفار قريش ومن ضربَ به المثل.
٣) في اخبار مجان المخانثة المتهتكين، في الدولتين الأموية والعباسية.
٤) في طرف اخبار المخنثين العصرية.
٥) في مسائل سالتُ عنها، في هذا الباب، فاجبتُ عنها.
٦) في نوادر المخنثين وملحهم.
٧) في ملح ما جاء من الأشعار، في المخنثين، والإحتجاج بها لهم وعليهم.
٨) في سبب الخناث وعلاجه، على راي محمد بن زكريا الرازي.

المؤلف

هو شهاب الدين ابو العباس احمد بن يوسف التيفاشي القيسي، وفي الاعلام للزركلي «شرف الدين احمد بن يوسف القيسي التيفاشي»[٨٢]. ولد في قرية تيفاش عام ٥٨٠ هـ/ ١١٨٤م، وكانت من قرى قفصة التونسية إلّا انها الآن ضمن قسنطينة بالجزائر. نشا التيفاشي بين تيفاش وقفصة برعاية والده الذي كان قاضياً هناك، حيث تتملذ على يد ابي العباس احمد بن ابي بكر المقدسي ثم دخل تونس العاصمة وهو صغير السن فاخذ من شيوخها. سافر في حداثته إلى القاهرة وقرا فيها على يد العلامة موفق الدين عبداللطيف البغدادي، ثم إلى دمشق مشتغلاً فيها على يد تاج الدين الكندي.

قضى التيفاشي مدة طويلة، غير معروفة، في الشرق ليعود بعدها إلى وطنه متولياً منصب القضاء في ظل الدولة الحفصية، ومن ثم إلى مصر لتولي المنصب عينه فيها، ثم يقوم بجولات طويلة، فيما بعد، إلى ارمينية والعراق وفارس يعتقد

(٨٢) الاعلام، خير الدين الزركلي، ج ١، ص ٢٧٣.

انها كانت لتقصي المعادن والاحجار قبل ان يصنف كتابه الشهير «ازهار الافكار في جواهر الاحجار»[٨٣].

تاخذ مؤلفات التيفاشي، التي سندرجها بعد حين، طابعاً متنوعاً وموسوعياً، غنياً غنى العصر الذي نشا وترعرع فيه، نعني عصر الدولة الموحدية المنتصرة، المنفتحة على المعارف والعلوم في المغرب، وعصر الناصر صلاح الدين الايوبي من جهة المشرق. ويمكننا ان نلمس عمق الانفتاح العقلي عند الموحدين، الذين نشا التيفاشي تحت ظل جناحهم، من خلال الاطلاع على العناوين التي ادرج المؤلف موضوعاتها في هذا الكتاب فقط. فالموحدون لم يكونوا الحماة العسكريين لجسد الامة من الظلام الكاثوليكي القادم من الغرب فقط، بل كانوا حماة عقلها ايضاً باحتضانهم لكل المفكرين والعلماء والادباء الهاربين من جور الاسبان في الاندلس[٨٤] وحرصهم على توفير مناخ عقلي حر يطلق طاقاتهم المبدعة بكل تنوعاتها، هذا المناخ الذي سيفتقده العرب لقرون طويلة قادمة. تثير قائمة مؤلفات التيفاشي الحيرة حول كنه طاقته الابداعية، فالذي اطلع على كتابه الاول «في جواهر الاحجار» سيصاب بالدهشة حينما يرى ان الكاتب قد صنف انواع الزناة والقوادين، في كتابه هذا، بمثل العناية التي صنف بها الاحجار الكريمة في كتابه السابق، والقارىء سيتلمس بلا ريب، من خلال لغة الكاتب، معرفة مدى إطلاعه الجغرافي والتاريخي والطبي زائداً ابّهة لغوية تضاف إلى ثقافته الادبية ومعرفته الحميمة بحياة الناس اليومية في عصره.

تورد موسوعة بروكلمان خمسة مؤلفات فقط للتيفاشي، بينما تضم القائمة التي صنّفها اسماعيل باشا البغدادي (هدية العارفين) حوالي ضعف هذا العدد، ويمكننا هنا إدراج ما امكن تصنيفه له ونسبته إليه في شتى المصادر[٨٥]:

١ ـ ازهار الافكار في جواهر الاحجار: «كتاب في علم المعادن والاحجار الكريمة، صنّف فيه التيفاشي ٢٥ نوعاً منه. طبع الكتاب في مصر عام ١٩٧٧ بتحقيق السيدين محمد يوسف حسن ومحمد بسيوني خفاجي».

---

(٨٣) ازهار الافكار في جواهر الاحجار، احمد التيفاشي، تحقيق د. محمد يوسف حسن/ د. محمد بسيوني خفاجي، ص ٩، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٧٧.

(٨٤) راجع مقدمتنا لكتاب (الروض العاطر في نزهة الخاطر) للنفزاوي، رياض الريّس للكتب والنشر، لندن، ١٩٩٠.

(٨٥) هداية العارفين، إسماعيل باشا البغدادي، استانبول، ١٩٥١، وموسوعة بروكلمان/ ازهار الافكار في جواهر الاحجار للتيفاشي.

٢ ـ المنقذ من التهلكة في دفع مضار السموم المهلكة: «كتاب طبي عن المعادن والأحجار».

٣ ـ الدرة الفائقة في محاسن الأفارقة «وهو كتاب مفقود».

٤ ـ رجوع الشيخ إلى صباه في القوة على الباه «كتاب في الثقافة الجنسية، نُسب خطأً إلى ابن كمال باشا، لكن بروكلمان وجورج سارتون في كتابه (مقدمة لتاريخ العلم) ينسبانه إلى التيفاشي[٨٦]. وقد اطلعتُ مؤخراً على نسخة تجارية منه (بلا محقق أو دار نشر) امكنني خلال مقارنتها توكيد ظني بنسبتها للتيفاشي لا إلى ذلك الباشا التركي».

٥ ـ سجع الهديل في اخبار النيل: «كتاب في جغرافية مصر ووادي النيل، ورد إقتباس منه في (بدائع الزهور في وقائع الدهور) للحنفي الذي ذكره بإسم: سجع الهديل في اوصاف النيل»[٨٧].

٦ ـ سرور النفس بمدارك الحواس الخمس: «يقول القلقشندي ان هذا الكتاب وضع في جغرافية البلدان »[٨٨].

٧ ـ الشفا في الطب عن المصطفى: «كتاب في المعرفة الطبية تبعاً لأحاديث الرسول كما يبدو».

٨ ـ قادمة الجناح في النكاح: «كتاب جنسي في الجماع».

٩ ـ الديباج الخسرواني في شعر إبن هاني: «شرح ديوان محمد بن هانيء التونسي الأندلسي».

١٠ ـ درة الآل في عيون الأخبار ومستحسن الأشعار: «كتاب في التاريخ والشعر كما أعتقد».

١١ ـ نزهة الألباب فيما لا يوجد في كتاب: « وهو كتابنا هذا».

١٢ ـ فصل الخطاب في مدارك الحواس لأولي الألباب: «وهو موسوعة التيفاشي الكبيرة في مختلف انواع العلوم والتاريخ والجغرافية والآداب، قال عنها ابن منظور انها تتالف من أربعين مجلداً. ويعتقد انها تضم جميع مؤلفاته التي ذكرناها إضافة إلى مؤلفات اخرى لم تورَد سابقاً هي:

أ) متعة الاسماع في علم السماع: «وهو كتاب في الرقص والموسيقى عند الشعوب».

ب) كتابان في «تاريخ الأمم»، وهما مفقودان.

---

(٨٦) Introduction to the History of Science, George Sarton, 1931.

(٨٧) بدائع الزهور في وقائع الدهور، محمد بن إياس الحنفي، ج ١، ص ٦٤.

(٨٨) صبح الأعشى في صناعة الإنشا، احمد القلقشندي، ج ٤ ص ٧٧.

ج) طل الأسحار على الجلنار في الهواء والنار وجميع ما يحدث بين السماء والارض من آثار: «وهو كتاب في وصف الفصول الأربعة والانواء وظواهر الطبيعة، يعد اقدم موسوعة في علم الأرصاد الجوية»[٨٩].

ويُعتقد ان هذه الموسوعة التيفاشية قد وقعت للأسف بيد ابن منظور الذي قام باختزالها والعبث بها متلفاً واحدة من اعظم الموسوعات في التراث الحضاري الإنساني التي افنى هذا العالم الكبير سنوات عمره في كتابتها قبل ان يوافيه الأجل في القاهرة عام ٦٥١ هـ/١٢٥٣م[٩٠].

المخطوطات

استغرقت في نفض الغبار عن هذه الدرّة الثمينة قرابة السنتين، مشتغلاً فيها على ثلاث مخطوطات تختلف في مستويات إتقانها النسخي وامانتها للاصل وهي على التوالي:

١ ـ مخطوطة المكتبة الوطنية في باريس رقم [Arabe 5943]وهي أكمل النسخ وادقّها، استعملتها بشكل اساسي لتحقيق الكتاب. يرجع تاريخ نسخها إلى عام ٩٧٢هـ/١٥٦٣م رمزت إليها بالحرف [أ].

٢ ـ مخطوطة المكتبة الوطنية في باريس رقم [Arabe 3055] وهي نسخة مكتوبة بخط واضح لكنها مليئة بالأخطاء اللغوية والإملائية، كما فيها الكثير من المقاطع المحذوفة بتعمد حتى كان رقيباً كان عليها. لم يدون عليها تاريخ النسخ، لكن في اولها بعض تواقيع لمالكيها تحمل اسماءهم وتواريخ تملكهم لها، اقدمها ما دون فيه «من كتب الفقير محمد شاهين الحموي غفر الله له في سنة ١٠٩٩هـ». أي ١٦٨٧، استُعملتْ كنسخة مساعدة ورمزتُ إليها بالحرف [ب].

٣ ـ مخطوطة المكتبة الملكية في كوبنهاكن رقم [COD. Arab CCXII] وهي مخطوطة مكتوبة بخط جيد لكنها تشابه المخطوطة (ب) من حيث الحذف والابتسار كانما هي نقلت عنها. تخلو كذلك من تاريخ التدوين، لكنني ارجح الفترة نفسها التي نُسخت فيها مخطوطة (الروض العاطر) التي حققناها سابقاً، اي عام ١١٣٣هـ/١٧٢٠م، لانها جُلبت في الفترة نفسها التي كان فيها الرحالة

(٨٩) ازهار الافكار في جواهر الاحجار، احمد التيفاشي، ص ١٢ ـ ١٦.

(٩٠) المصدر نفسه، ص ١٠.

الدانمــاركي، المستشرق فون هاون Von Haven يجــوب بلاد العــرب بحثاً عن المخطوطات، ورمزت إليها بالحرف [ج].

حاولت في بادىء الأمر ان ابينّ جميع الفروق بين المخطوطات، لكنني بعد ان قطعت شوطاً طويلاً وجدت ان الهوامش ستزيد من حجم الكتاب إلى الضعفين، فقررت فقط ان اشير إلى ما التبس عليّ، وهو نادر جداً، او إلى الكلمات التي تحتمل عدة قراءات في المخـطوطات الاخـرى، ثم اضفت جميع النصوص الزائدة في النسختـين [ب، ج] إلى هوامش الكتاب واشرت إلى مصدرها، اما باقي الجهد فسيلحـظه القـارىء حينمـا يتصفح هذا السفر الرائع الذي سيلقي اضواء جديـدة على واقـع الحياة اليومية في العصور الإسلامية السابقة، اجتماعياً وسيكلوجياً، بنصه الكامل الذي يمكنني ان أؤكد بانه اقرب إلى الاصل الذي كُتب فيه بشكل كبير. إني لأرى التيفاشي يبتسم في قبره.

جمال جمعة ١٩٩١

بسم الله الرحمن الرحيم

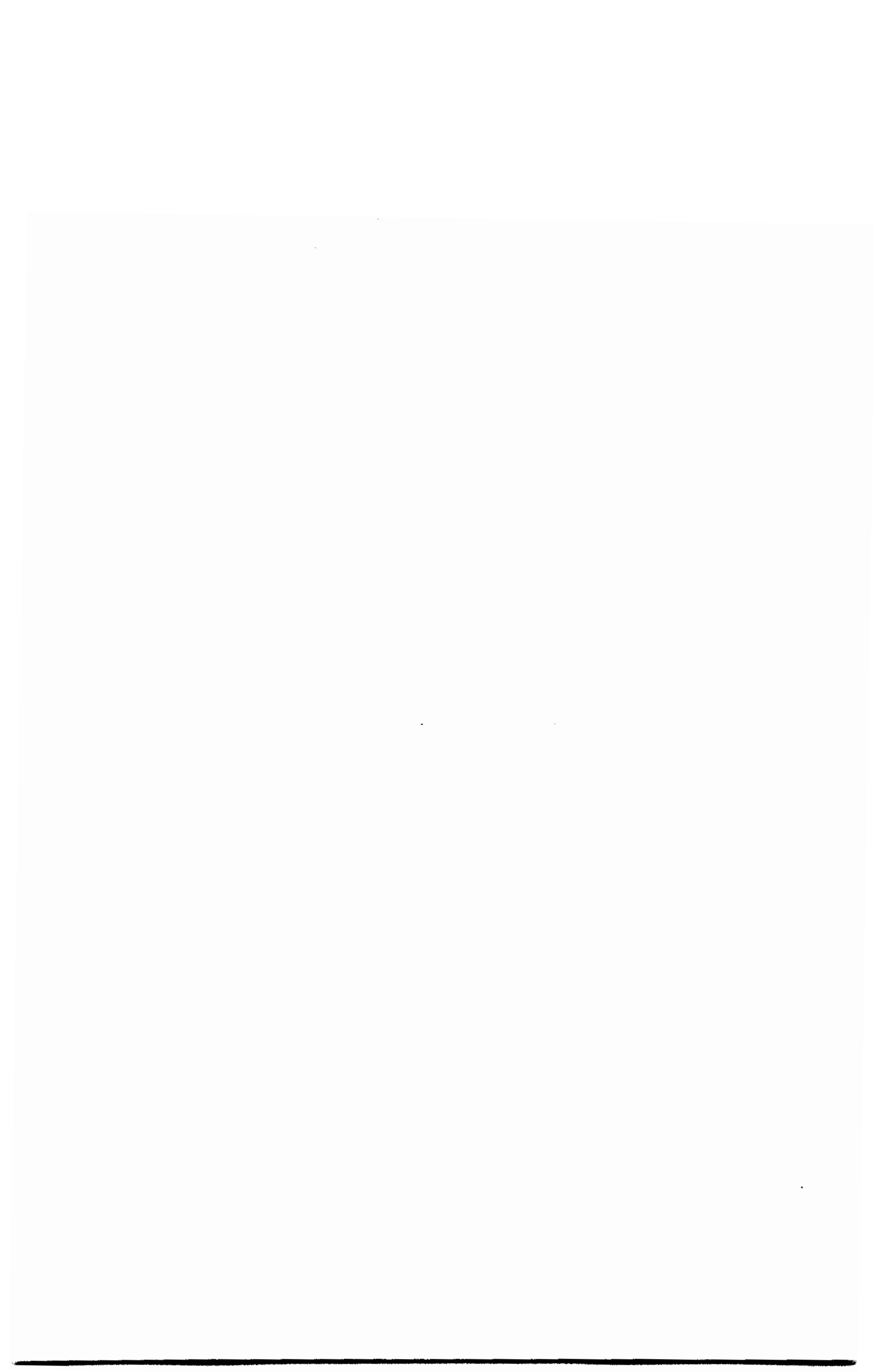
وصلّى الله على سيّدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلّم

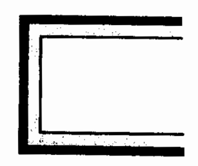
الحمد للّه الذي عَلِمَ طبع الإنسان في المَلال، وعجزه عن تحمّل الاثقال، فاباح له الإحماض(*) في الاقوال والافعال، وجعل لكلّ وقت حالاً من الاحوال، ولكلّ مقام مقالاً يليق به من الاقوال، وجعل مُلَحَ الآداب جلاءً للعقول وصيقلاً لصدا الألباب، وحبّبها لأهل المُروءاتِ في الخلواتِ كما حبّبها لهم في الجلواتِ، وجعلها مع الخَواصّ من الحسناتِ، ومع العوام من السيّئاتِ.

نحمده على نعمه التي لا تحصى ولا تُحدّ، ونصلّي على نبيّه محمّد ازكى مَنْ مَزَحَ وجَدّ، وعلى آله واصحابه صلوات لا تنحصر بعَدّ، ولا تقف عند حَدّ.

وبعد: فهذا كتاب (نُزهة الألباب في ما لا يوجد في كتاب) يشتمل على مقدمةٍ وابواب تُذكر بعد المقدمة.

(*) الأحماض: الانتقال من الجدّ الى الهزل.





مقدمة الكتاب

رُويَ عن ابن عبّاس، رضي اللّه عنه، انّه قال: مَزَحَ رسولُ اللّه، صلى اللّه عليه وسلّم، فصار المزحُ سُنّةً. وكان يمزح فلا يقول إلا حقّاً.

وقال لامراة كانت عنده: (إلحقي بعلك، فإنّ بعينه بياضاً)، فاتته مرعوبة فاخبرته، فقال: (إنّ في عيني بياضاً وسواداً بغير سوء).

واخرج الحافظ ابو نعيم الاصفهاني بسَندٍ مرفوع حذفتُه طلباً للاختصار، انّ صُهيباً قال:

قدمتُ على رسول اللّه، صلى اللّه عليه وسلّم، وبين يديه تمر وخبز فقال: (ادْنُ وكلْ)، فاخذتُ آكل من التمر فقال: (اتاكل تمراً وانتَ رَمِدٌ؟)، فقلتُ: (يا رسول اللّه، امضغهُ من الناحية الاخرى)، وانا امزح مع رسول اللّه، صلى اللّه عليه وسلّم، فضحكَ حتى نظرتُ نواجذه.

وقال يوماً لعجوز كانت عنده: (إنّ العجوزَ لا تدخل الجنّة)، فبكت. فقال: (يتحولن شابّات)[1].

وقيل لسعيد بن عبدالله: (المزحُ مُجْنةٌ)[2]، فقال: (بل سُنّة، ولكنّ الشان فيمن يحسنه ويضعه في مواضعه).

ولذلك قالت الحكماء: (المزحُ في الكلامِ كالملحِ في الطعامِ)، اي خذْ منه وقت الحاجة قدر الكفاية.

---

(١) ا، ب: شبابات.

(٢) ا: محنة.

وعبثَ رجل بين يدي رسول اللّه بكثرة الضحك، فقال: (امّا إنّه يدخل الجنّة وهو يضحك).

وروي إنّ عيسى بن مريم ويحيي بن زكريا، عليهما السلام، التقيا يوماً فقال يحيي لعيسى: (مالَكَ تلقاني ضاحكاً كانّك آمنٌ؟)، فقال له عيسى: (ومالَكَ تلقاني عابساً كانّك آيسٌ؟). فاوحى اللّه، تعالى، إليهما: إنّ احَبَّكما إليّ احسنكما بي ظنّاً.

وكان في امير المؤمنين علي بن ابي طالب، رضي اللّه عنه، دُعابةٌ. وكان يقول: (مَنْ طال ايرُ ابيه تمنطقَ بهِ)، اي مَنْ كثرَ اهلُ بيته استظهر بهم.

وقالت له امراة: (قد زوّجتُ بنتي وهي اربعة اشبار، فطلبها بعلُها)، فقال: (اربعةُ اشبارٍ تُدخلُ شبراً).

ومن احسن ما قيل في المزح قول العتبيّ: «الإفراطُ في المزح مجون، والإقتصاد فيه ظَرْف، والتقصير عنه ندامة».

وروي عن ابن عمر، رضي اللّه عنه، انّه كان يقول لأصحابه: (احمضوا، رحمكم اللّه)، اي خذوا في الفكاهات.

وقال ابو الدرداء: (إني لأجمّ نفسي بشيء من الهزل لاقوى به على الجدّ).

ومن كلام الحكماء: «روّحوا النفوس تارةً بتارة، فإنّها تصدا كما يصدا الحديد».

وقال الجاحظ: «القول السّخيف في اماكنهِ كالقول السّديد في مواطنهِ».

وقال ابو فراس الحمدانيّ[٣]:

ـ شعر ـ

اروّح النفس ببعضِ الهزْلِ	تجاهلاً مني بغيرِ جهْلِ
امزحُ فيه مزحَ اهلِ الفضلِ	والهَزْلُ احياناً جَلاً للعقلِ

وقال محمّد بن عبداللّه بن طاهر: «السُّخف في مجالس الأُنسِ ظَرفُ، والتحفّظ في المداعبة سُخف، والكناية في المطايبة تُرف»[٤].

وكان الزهريّ يقول: «خذوا من العلوم نُتفها[٥]، ومن الآداب ظرفها».

وقال الأصمعي: «شهرتُ بالأدب ونلتُ بالمُلَح».

---

(٣) ا: ابو نواس الحمداني (!)

(٤) ا: برد. ب: ترف. وناقصة من ج.

(٥) ب، ج: نبعها.

وقال النّظام: «المُلَح تجمع المحاسنَ وتؤنسُ المُجالسَ والمُعاشر».

وخطب المغيرة بن شعبة امراةً فامتنعتْ عليه، فقال لها: (إنْ تزوّجتني ملأتُ بيتكِ خيراً وبطنَكِ ايراً)، فاجابته.

وقال إبراهيم بن المهدي: «جَدّ الادب جَدّ، وهَزله جَدّ، وفُحشُه رُشْد».

ودخل ابو حنيفة على الاعمش يعوده، فقال له: (يا ابا محمد، لولا انّه يثقل عليك لعدتُكَ في كلّ يوم)، فقال له: (إنّكَ لتُثقل عليّ وانتَ في منزلكَ، فكيف في بيتي؟).

وقال معاوية بن ابي سفيان: (اكلتُ الحلوَ والحامضَ حتى ما اجد لهما طعماً، ونكحتُ حتى ما أبالي امراةً اتيتُ او جذع حائط، فما بقي من لذّتي غير جليس اسقطُ بيني وبينه مؤونَة التحفّظ).

وقال يوماً للمغيرة بن شعبة: (ما الذّ الاشياء؟)، فقال: (ليخرجْ مَنْ ههنا مِن الاحداث). فلما خرجوا قال[6]: (الذّ الاشياء إسقاط المروءة)، اي الحياء.

وقال عبدالملك بن مروان لسويد بن علقمة[7] يوماً: (اخبرْني عن عشرة اشياء في جسدك اوّل اسمائها كاف، ولك بَدْرة)[8]، فقال: (هي الكفّ والكوع والكرسوع والكتف والكاهل والكبد والكلية والكرش والكفل والكعب)، فقال له: (اخطاتَ، ليس للإنسان كرش، فهاتِ تمام العشرة!)، فقال: (ابلغْني ريقي)، فقال: (ابلعتكَ الفراتَ وأنْ تاتي بها). فقام سويد إلى الخلاء يريقُ الماءَ، فلمّا حلّ سراويله نظر إلى ذكَره فجعل يعدو وهو محلول السراويل ويقول: (الكمرة، الكمرة!، وهي تمام العشرة)، فضحك عبدالملك وامر له ببَدْرة.

وقال الاصمعي:

قال لي يوماً الرشيد: (انشدْني اشعر ما تعرف في المجون)، فانشدته:

ـ شعر ـ

الـمْ ترني وعمّـار بـن بشرٍ ... نشاوى ما نفيقُ من الخمورِ؟
وكنّا نشرب الإسفنطَ[9] صرْفـاً ... ونسفعُ[10] بالصغيـر وبالكبيـرِ

---

(٦) أ: فقال.

(٧) في (الكشكول) للبحراني: سويد بن غفلة. وترد الحكاية بتفصيل اوسع. (راجع الكتاب ج ١، ص ٦٣ ـ طبعة دار ومكتبة الهلال ـ بيروت ١٩٨٦).

(٨) البدرة: عشرة آلاف درهم.

(٩) الأسفنط: اسم للخمر.

(١٠) نسفع: نضرب ونلطم. وفي ب. ج: نشفع.

إذا ما قحبة رُفعتْ لنيكٍ حملناها هنالك بالأيورَ
بكلّ مدوّرٍ صلبٍ متينٍ شديدِ الرّهزِ ليس بذي فتورَ

قال الأصمعي: وانشدتُ محمد بن عمران قاضي المدينة، وكان اعقلَ مَنْ رأيتُ من القُرَشيّين:

ـ شعر ـ

يا أيّها السائلُ عن منزلي نزلتُ في الحال على نفسي
يغدو عليّ الخيرِ من جائرٍ لا يقبلُ الرهْنَ ولا يُنسي[١١]
آكلُ من كسْي ومن كسوتيْ حتى لقد أوجعَني ضرسي

فقال: (اكتبْها لي)، فقلتُ له: (أصلحَكَ اللّهُ، إنّما تُروى هذه الأحاديث)، فقال: (ويحك! الأشراف تعجبهم الملاحة).

(فقال) وانشدتهُ يوماً لرجل في امرأته:

ـ شعر ـ

ليس لها حسْنٌ ولا بهجةٌ من المهازيلِ الطوالِ السّماجْ
سوداء في عارضها صهْبةٌ كانّ ثدييهِ ضروعُ النعاجْ

فضحك وقال لي: (يا أبا سعيد، ما تعجب المُلَحُ إلاّ عقلاء الرجالِ).

قال أحمد التيفاشيّ: وانشدني الرشيد القويّ، قال:

انشدني الفقيه الغزالي لبعض ادباء المغرب. وقد ترك الفقه والجدّ ومال إلى الهزل:

ـ شعر ـ

عذلوني عن الحماقة جهْلاً وهي من عقلهم الذّ واحلى
لو لقوا ما لقيتُ من حرقةِ العقـ ـلِ لساروا إلى الحماقة رُسْلا
حَمَقي قائمٌ بقُوتِ عيالي ويموتون إنْ تعاقلتُ، هُـزْلا

ولغيره في المعنى:

ـ شعر ـ

ذمّوا الحماقةَ وازدروا بحقوقها وتهافتوا[١٢] بحديثها في المجلسِ
وهي التي تبقى وفي يدها الغنى وتحدّث الدنيا برغم المفلسِ

---

(١١) ينسي: أي يبيع بالنسيئة، وهي تأخير دفع الثمن وتأجيله.

(١٢) ب، ج: وتهاتفوا.

إنّ الحمـاقةَ للغِنى جذّابةٌ جذب الحديدِ حجارة المغنيْطسِ

قال احمد المؤلف:

الواجب بعد هذا كلّه تجنّب الإنبساطَ مع غير اهل الادب، فإنّ الإنبساطَ مع العوام مَهْلَكةٌ للعِرْض، مَتْلفةٌ للجاهِ والحرمة. وكما انّه عندَ أُولي الادب ظُرف، فكذلك هو عند اجلاف العوام سُخف.

وقد قال الحكيم الفاضل افلاطون: «انبساطك عورة من عوراتك، فلا تبذلْه إلاّ لمامون عليه وحقيق به».

ـ شعر[١٣] ـ

فـيَّ انقباضٌ وحشمـةٌ، فـاذا لاقيتُ اهـلَ الوفاء والكـرَمِ
ارسلـتُ نفسي علـى سجيّتِها فقلتُ مـا قلتُ غيـر محتشمِ

قال المؤلف
قامت جملة هذا الكتاب من إثني عشر باباً

الباب الأول: في الصّفعِ ، وما فيه من الفوائدِ والنفع .
الباب الثاني: في القَوادين والقوادات، وما جاء فيهم من نوادر واشعار.
الباب الثالث: في شروط الزّناة وعلامات القحاب.
الباب الرابع: في القحاب المتبذّلات ونوادر اخبارهن ومُلَح اشعارهنّ[١٤].
الباب الخامس: في نوادر اخبارالزّناة ومُلَح اشعارهم.
الباب السادس: في شروط اللاّطة وعلامات المؤاجرين[١٥].
الباب السابع: في نوادر اخبار المُرْد المؤاجرين ومُلَح اشعارهم.
الباب الثامن: في نوادر اخبار اللاّطة ومُلَح اشعارهم.
الباب التاسع: في ادب الدبّ ونوادر اخباره ومُلَح اشعاره.
الباب العاشر: في إتيان الإناث كما في الذكور، وما قيل فيه من الأخبار والأشعار.

---

(١٣) البيتان منسوبان الى ابن كناسة (ت ٢٠٧ هـ)، راجع كتاب «القيان» تحقيق جليل العطية ـ شركة رياض الريّس للكتب والنشر ١٩٨٩ ـ لندن.

(١٤) ا: اشعارهم.

(١٥) المؤاجر: مَنْ يبيع نفسه بأجر.

الباب الحادي عشر: في ادب السّحق والمساحِقات، ونوادره واخباره واشعاره.

الباب الثاني عشر: في المخنّثين وما جاء فيهم من الاخبار والنوادر والاشعار.

وتَرجَمْتُهُ بـ (نُزهةِ الالبابِ في ما لا يوجدُ في كتابٍ).

وذلك انّي جمعتُ فيه نوادر اخبار، ومُلَح اشعار، وتضمّن نازلةً عجيبة، وحكايةً غريبة، واودعَ مُلحةً ظريفة، او نادرةً لطيفة تُغْني عن احاديث الاسمار، ويختار سماعها على سماع نغمات الأوتار، ويُعتبر[16] منها، على بشاعة لفظها، غاية الاعتبار. إذْ ليس فيها بابٌ إلّا وقد اشتمل على فوائدَ شريفةٍ واخبارٍ منيفة. ومعظم ذلك مما وقع في هذا الزمان وشاهدناه بالمغرب والمشرق او شاهَدَهُ مَنْ اخبرَنا به من ظرفاء الإخوان، ممّا يُسلي سماعُه الأَحزان، ويُضحكُ الثّكلانَ، ويُغني عن مطربات القيان. واسال اللّه التجاوز عن الزلل في اللسان.

(١٦) أ: ويغشى. ب، ج: ويعتبر.

الباب الأول

في الصّفع وما فيه من الفوائد والنّفع



قال أحمد:

فضلُ العاقل على الجاهل وقوفُ العاقلِ على مصالحه والدخول فيها، ومعرفة مضارّه وتوقّيها. وإنّ الجاهل عَمٍ عن رشادهِ، منهمك في فساده، أعاذنا اللّه وإيّاكم من سطوات الحُمْق وعواقب الخُرْق، وقد أوجبَ اللّهُ على العلماء تعليم مَنْ لم يَعْلَمْ، وعلى الفقهاء تفقيه مَنْ لم يَفقه ويفهم. ولو كان كلّ من علمَ علماً كَتَمهِ وسَتَره ولم يفده غيره لانقطعتْ موادُ الآداب، وطمستْ أعلامُ الصّواب. ولكنّ العادات الجارية، من لَدُن آدم، عليه السلام، إلى عصرنا هذا: مَن خوّله اللّه علماً نَشَره وذكره وأذاعه وخَبَره وأودعه الكتب وضمّنه الدواوين وجمعه في الصحفِ ليجده المتأدّبُ به من بعده، ويُشار اليه بالفضل الذي يوجد عنده.

وإنّي امرؤ استنبطتُ العلومَ، وحذقتُ النجومَ، وطالعتُ جميعَ كتب العلوم بأسرها، على اختلاف أجناسها وأصنافها، فلم أجد شيئاً يبقى صلاحه على مرّ الزمان، وتقلّب الأيّام، ومتى استُعمل كان حاضرَ النفعِ، ظاهرَ الحقوق والرفع، لا يؤدي إلى الفساد في دين، ولا يتعقّبه نقص في دنيا، ولا على الأنفس منه ثقلة، ولا على الأجسام منه اذى، يدخل في أبواب الخير ويخرج من أبواب الشرّ، تقوم عليه الأدلّة وتشهد له البراهين، لا يقدر طاعن يطعن فيه، ولا مزدرٍ يزدريه[1]، ولا واقع يقع فيه، إلّا الصّفع.

(١) أ: يزدري به. ب، ج: يزدريه.

وسأصف ما اجتمعتْ فيه من الخصال المحمودة، وانتفتْ عنه الخصال المذمومة.. ألا إنَّ الصَّفْعَ ينقسم قسمين، أحدهما: صفعُ الطَّرب، والآخر: صفعُ الأدب. ولكلّ واحد منهما خواصّ مستخصّة ومعان مُحكَّمَة.

فأمّا صفع الطّرب

فمداعبة الإخوان، وملاعبة الندمان، وممازحة القيان[٢] والفتيان. يؤُنس المستوحش، ويبسط المنقبض، ويُضحك الحزين، ويسرّ النفس، ويسري غموم الكَمِد، ويقوى منه الضعيف، ويؤمن فترة الشّراب، ويبسط قلب الكسلان، ويسكن سَورةَ[٣] الخُمار، ويقوّي أعصاب الرأس، ويصلّب أوداج الرقبة، ويحطّ الرطوبةَ من الدماغ.

وهذه الأشياء جميعها تستحق المدح وتنزّه عن الذمّ. وقد رأيتُ الناس يتلفون الأموال الجليلة ويحلّون العُقَد النفيسة وينفقون الأموال الكثيرة على لذّة يوم يلتذّون فيها، وسرور ليلة يتنعّمون بها. فلا يداخلهم السرور، ولا يظهر عليهم من الإنبساط والإبتهاج عُشْرَ عُشْرِ ما يعرض لهم عند وقوع صفعة في المجلس وما يقع عقبها من الضحك والإستبشار.

وأتمّ ما يجري الأمر إذا قصد كلّ مصفوع إلى مَنْ على يمينه فأخذ حقّه منه، لا يزال ذلك السرور بينهم يدور كما تدور الكأسُ بعذب الشراب. ولن تعرف الناس شيئاً أكمل للفرح وأطرد للترح كهذا الغرض الذي ذكرتُ.

وفي الصفع تواضعٌ للّهِ، عزّ وجلّ، ومجانبةٌ للكِبْر. من هذا أنّ الجليل المهيب لا يزال في صدر من هو دونه محذوراً مقلوّاً مبغضاً، إذا كان في طريق أُشير اليه بالتجبّرَ ونُسِب الى الصَّلَفِ والتكبّر، وهذه أحوالٌ مذمومة عند اللّه وعند الناس. وإذا انبسط مع مَنْ هو دونه في الصورة وصافَعَه

---

(٢) القينة: الجارية المغنيّة.

(٣) سَورة الخمر: حدّتها، الخمار: صداع الخمر.

ولاعبـه سقطتْ تلك السّماتُ، وزالتْ عنه الأوصاف المستقبَحات وقبلتْه الأنفسُ وألِفَتْه الارواحُ وخفّ على القلوب وتمكّنتْ مودّته في الصدور، فكثُرَ صديقه وقَلَّ عدوه وتوفّر عليه أجرهُ وثوابه من حيث لا يناله أذى ولا تصيبه مَسْكنة ولا تلحقه ذلّة، بل يستقبل الفوائد السنيّة[٤]، من طيب العيش ولذّة المداعبة، ويغتنمُ الذِّكرَ الجميلَ.

وفيـه من باب توفـير الأمـوال والبقاء على النِّعَم ، من غير أن يأخذ الانسان نفسه بنقصٍ في مؤونتِهِ ولا إخلال بفرصة لذّتِهِ.

فصل

إعلمْ أنّ الملوك لا يخلو أحدهم من نديم يُصفعُ قدّامه ويلعب بين يديه. يسرّه ويـؤنسـه، لا يقنـع به باليسير من البرّ ولا يستكثر له الكثير من الفضل، مع ما يحظى به ذلك النديم من التنَعّم معه، يأكل ما لمْ يسبق باتخاذه، ويشرب ما لمْ يعن فيه ويشغل قلبه بمعافاته[٥]، وسماع ما لم يخرج فيه درهمه ولا ديناره، واستخدام من لم يتكلّف بشرائه.

فإذا اجتمـع الإخـوان المتـوادون على هذا اللعب ولم يوجسـوا[٦] صدورهم منه، فلقي كلّ واحد منهم من اللّذة أكثر ما يبلغه صاحب النديم الذي وصفتُ، وربحَ ما يخسره ذلك من الصلة له والهبة والخلعة والعطية الجزيلة. حتى لو حُسبَ مقدار ذلك وحُصّل وقُدّر لكان يبلغ الربح فيه، على الإستـظهـار والتلطّف، ألف دينـار في السنة، فقد أغلّه ضيعة تساوي خمسـين ألف دينـار قد أزال اللّه عن صاحبها عسف السلطان وجور العمال وظلم المسّاح. وأسقط عنه مؤونة الأعمال والعمّال وشغل القلب بالبذر حتى يبلغ، وبالزرع حتى يطلع. وأنّى بضيعة هذه صفتها، ومملكة هذه صورتها!

---

(٤) السّنيّة: الرفيعة.

(٥) ب، ج: بمعاناته. (وعاف الشيء: تركه).

(٦) أ: يوحشوا. ب، ج: يوجسوا.

وفي الصَّفـع علاج لأدواء[٧] كثيرة منها: الفالِجُ[٨]، واللَّقْوَة[٩]، والسُّكْتة[١٠]، والصَّدْمةُ من البرد، والزُّكام الشديد، وغلبة البلغم على الدماغ، وعوارض التخم، ويسخن المعدةَ، ويعقل جسمَ المرطوب، ويزيد في حمْي الكبد، فيطبخ الدَّمَ الذي فيه قِوام الجسد، وفيه أمانٌ من البرص والبهق والجذام.

وإذا استعمله آكلُ السَّمك ولحم البقر قام مقام الشقاقل[١١] والزنجبيل[١٢] والأطريفل ومعجون المسك وجوارش[١٣] والبزور والإسقنقور[١٤].

وإذا ألفه ساكن السوداء[١٥] أمِنَ من غوائل الأطعمة المعفنة كالألبان والكَوامِخ[١٦] والسَّمْنِ وما جانسها، واستقام طبعهُ ودامتْ صحَّته.

وفي الصفع تصفية للذهن، وتذكية للقلب، وزيادة في الحفظ، ونفي النسيان، ويزيل البلادةَ، ويلطِّف الفطنة.

ومن علامات ذلك أنَّك لا ترى صفعاناً قطّ إلاّ حادّ المزاج، عذب الخطاب، رقيق الطبع، صحيح الجسم، خفيف الروح، واسع الخُلُق، ظاهر الحِلْم، كريم الإحتمال، قليل السَّقطِ، أصيل الرأي، نافذ التدبير.

وفي الصفع اكتساب الجاه، وذلك أن الانسان إذا عُرفَ بهذا الأمر

---

(٧) أدواء: جمع داء.

(٨) الفالج: داء يشلّ احد شِقّي البدن.

(٩) اللقوة: داء يصيب الوجه، يعوجّ منه الشدق الى أحد جانبي العنق.

(١٠) السكتة: داء يشلّ جميع الأعضاء عن الحركة ما عدا التنفس.

(١١) الشقاقل: عِرْق شجر هندي يُربّى فيلين ويهيّج الباءة.

(١٢) الزنجبيل: نبات عشبي هندي له عروق حريفة الطعم.

(١٣) الجوارش: معرّب (كوارش) بالفارسيّة، ومعناها: الهاضم للطعام. وهو نوع من الادوية يستفة المريض.

(١٤) الأسقنقور: كلمة يونانيّة معناها (التمساح البرّي)، وربما كانت إسماً لنبتة لا نعلمها، كذلك الامر نفسه للأطريفل.

(١٥) سواد البلدة: ما حولها من الريف والقرى.

(١٦) الكوامخ: المخلّلات المشهية، أو ما يؤتدم به.

يحضر دار السلطان ويدخل في جُملة الخاصّة ويخرج من عيار العامة ويصل إلى حيث لا يصل إليه القائد الجليل، لا ولا الكاتب النبيل. ويصل إلى فضل الأدب، ويجري إلى بُعْد النادرة، ويتمكّن من كيد عدوّه، ويبلغ بذات نفسه، ويَحْذَرهُ شانِئه، ويهابه مزدريه، ويعظمُهُ ملاقيه.

فصارت الأعين محدودةً إليه، والآمالُ موقوفةً عليه، والرقابُ منصوبةً نحوه، والأعناقُ خاضعَةً له. وما فوق هذه الحال العالية غاية، ولا وراءها نهاية.

وفي الصفع باب من الظُّرف. الا ترى أنّ الأحباب يتخامشون[١٧] ويتداعبون بالقرص والعضّ واللّطم على الخدّ، والضرّب بالكفّ على بعض جوارح البدن؟. فبعضهم يضرب الكتفَ أو يتعمّد الجَنْبَ، ومنهم من يضرب الرِّدْفَ. وكلّ فنٍّ من هؤلاء فهو نوع من أنواع الصفع، والصفع جنس لها.

فإذا جاز وحَسُنَ أن يُضربَ ظهره؛ لم يقبح أن يرفع يده إلى حدود رقبته. فلو كان لطم القفا قبيحاً لكان لطمُ الخدِّ تعزيراً[١٨]. إذ هو أقرب للناظر مع احتشائه عليه من جنايات كثيرة أدناها: الطَّرْفة[١٩] التي تعقب البياض في المقلة، والدمعةُ، والرّمد، والعَمَشُ. وليس يحدث مِنْ مَدِّ اليدِ إلى القفا سوء، ولا يُحذر من جهته مكروه. وهو أدخل في باب الظَّرف والطف من غيره.

فهذه جملة كافية من أوصافه. ولو أطعتُ مُطّردَ القول وذهبتُ إلى استقصاء ما يجبُ في هذا الباب كلّه لم آمن من ضَجَر القارىء وعَيِّ المستفيد. وقد أجمعتِ العلماء أنّه لا شيءَ أبلغ من الايجاز، ولا أجملَ ولا أحسن من التقريب.

وأنا أحمدُ اللّه على ما وفّقني له.

---

(١٧) خمش الوجه: خدشه ولطمه.

(١٨) التعزير: اشدّ الضرب، وهو ضرب الردع من المعصية دينياً.

(١٩) الطَرفة: نقطة من الدم تحدث في العين.

وأمّا صفع الأدب

فإنّ فيه حكَماً ظاهرة، ونِعَماً غامرة منها: إنّ الأئمّةَ الراشدين والخلفاء المهديّين لمّا تدبّروا ذنوبَ المذنبين وإجرامَ المجرمين وجدوا منازلهم متفاضلة، ودرجاتهم متفاوتة. فلم يكن في الحكمة أن يعاقبوا من صَغُرتْ خطيئتهُ بمثل عقاب مَنْ عَظُمتْ جريرتُه، إذ كان في ذلك مخالفة اللّه عزّ وجلّ.

واتخذوا أيضاً أصنافاً من العقوبات، كلّ صنف منها بإزاء صنف من الذنوب. فجعلوا الصفع لمن ليس له على عقوبةِ جَلَد ولا في غيره له مصلحة، من صغار الغلمان والصبيان والذين لا تمييزَ لهم ولا معرفةَ عندهم، فأمّا مَنْ يملكُ رأيه ويعقلُ أمره، ولا يجري عنده الصفعُ مجرى ما يُعرف منه ويخاف عاقبته، لم يرتدع عن الذنوب به. وله من العقوبات غير ذلك من الجافية[٢٠] من الخشب والعِصِيّ والمقارع.

ولو كان في التأديب شيء هو الطف وأقلّ أذىً[٢١] من الصفع لاستعمله الناسُ في تأديب أولادهم والمماليك من غلمانهم، الذين يرأفون عليهم ويهتمّون بأمورهم.

وقد رأينا الرجل الفاضل الحليم، الواسع العلم، يصفع ولده عند هفوته وعند خطيئته. فيكونون على ذلك مأمونين، وفيه معاقبين.

ولم نَرَ أحداً من الناس يؤدَّب بالصفع، بعد من ذكرنا، إلاّ المعروفون بالفتوّة وأصحاب المعصية. فإنّ الواحد منهم يُضرب ألفَ شِيْب[٢٢] ولا يتحرك، ويرى ذلك فَخْرةً له عند عُشرائه. ويُصفع الصفعة الواحدةَ فيرى أنّ القيامة قد قامت عليه، ويحمله ذلك على الإقرار بالصحيح والإستعفاء، وهو كاره له.

---

(٢٠) الجافية: الغليظة.

(٢١) أ: اذاء.

(٢٢) الشِّيب: السوط.

ويقولون «إنّ الفتى يعيش عزيزاً وإلاّ يُضربُ عنقه فيموتُ كريماً، ولا يعيشُ ذليلاً فيُصفع قفاه»، وهذا خلاف لجميع أهلِ العقل. لأنّ الصّفعَ لو كان يضـع الشّريفَ ويحطّ قَدَرَ النبيل لكان ضرب السّوطِ يُخرجُ عن جملةِ الانسانيّة ويُدخلُ المضروب في عداد[٢٣] الكلاب. ولو أعطوا النظرَ حقّه، والتمييزَ سهمه، لكان ما ينثر اللّحمَ ويكسر العظم، ويُنهك القُوى، ويـرضّ البـدن، ويعقب السّقم الطويـل، ويحوج إلى مقاربة المتطبّبين والمعالجين، ويخاف من كثرة التلَفِ، أولى بأنْ يهاب وقوعه ويحذر نزوله من شيء لا يؤذي ولا يؤلم ولا يؤدي إلى عاقبة مكروهة.

ففي صفعِ الفتوّةِ وأصحاب المعصية بلاغٌ في العقوبة لما قد وضعوا أنفسهم في تعظيمه وتصعيبه[٢٤] وأدرأ ما لم يعنوا به من العذاب الشديد، بجهلهم وقلّة معرفتهم، وثقة بالسلامة في الصّفع. لأنّا لم نشاهد في العالم مصفوعاً تَلِفَ، ولا ماتَ، ولا زَمِنَ[٢٥]، ولا عَرِجَ، ولا أصابته آفةٌ منه، ولا أثّر أثْرةً قطّ أبداً.

وقـد ادّعى قوم، من أهـل العمـاوة والجهل به والخلاف، أنّه يورث العمى. فسُئلوا عن الدليـل في ذلك، ما هو؟ إذْ كان شيئاً لم يُرَ قَطّ ولا شُوهـدَ، فقالوا: (قول القائل: لأصفعنّكَ حتى تعمى)، إنّما أراد توكيداً لوعيد المصفوع بدوام الصفع عليه وإحالةً بانقطاع الصفع على غايةٍ لا تُدرك.

ومثل هذا كثير في مخاطبات الناس. وأفضل الشواهد قول اللّه تعالى لموسى، عليه السلام، حين قال: (ربِّ أرني أنظرْ اليكَ. قال لن تراني ولكنْ انظُرْ إلى الجبلِ فإنِ استقرّ مكانَهُ فسوفَ تراني)[٢٦]، وقد عَلمَ اللّه، تعالى، أنّ الجبل لم يكن ليستقرّ. فأراد عزّ وجلّ «إنّ رؤيتكَ إيّاي غير كائنةٍ».

---

(٢٣) أ، ب، ج: عدد.

(٢٤) أ: وتعصيبه. ب، ج: وتصعيبه.

(٢٥) زَمِنَ: اصابته عاهة.

(٢٦) سورة الأعراف ـ آية ١٤٣.

كذلك أراد الصّافعُ: إنّ الصفعَ ليس منقطعاً عنكَ لأنّكَ لم تعمَ[٢٧] أبداً.

وليس يُرى في الصّفـع شيء هو أظهر من الرُّعاف، فتمسّك قومٌ من المخالفين بالطعن عليه من هذه الجهة ردّاً علينا ودفعاً لما شرحنا فيه من مدحـه وتقـريضه، وعدولاً عن المحجّة، وذهاباً عن طريق الحجّة. ووقع عنـدهم أنّ إجماعَنا معهم على وجود الرُّعاف مع الصّفعِ نقضٌ لقولنا وفسادٌ لأصلنا.

جوابنا في ذلك وبالله التوفيق

إنّ الأطباءَ والفلاسفةَ أجمعوا كلّهم على أنّ الدم إذا تعقّد في الدماغ دَخَنتِ البخاراتُ البلغميّة واشتدّ تمكّنه وتكاثفه في الدماغ، لم يكن له بدٌّ أنْ يتفشّى إلى بعض الأعضاء التي تجاوره. وربّما تفشّى إلى الرّقبة وأصول الآذان فحـدث منـه الخنـازيـر[٢٨] والسرطانـات[٢٩] والسِّلَع[٣٠] والنزلات الغليظة حتى احتاجَ إلى البَطِّ وقطع اللّحم الفاسد ومعاناة الهمّ والقلق والأسف على ما يفوتُ من العافية والتنغيص بالأكل والشّرب، وتوقّع الموت صباحاً ومساءً. إذْ أنّ الانسان ربّما استقلّ قليلَ ذلك فلا يندمل جرحُهُ أبداً. ولا يزال ينتقض عليه في كل مدّة. وربّما انصبّت المادة إلى الفم واللّثة فأورثت الآلام والأوجـاعَ[٣١] والدّاء الذي لا دواء له. حتى ينغصَ على صاحبه الحياةَ ويؤثرَ الموتَ على ذلك.

فإذا وجـدَ الصّفـعُ المعتـدلُ أكسبَ القفا حرارةً لطيفةً مقدارها في الدرجة الثانية من الحرارة الغريزيّة، فحلَّ ذلك الدمَ.

قال أبقراط وجالينوس وجماعة العلماء والمتطبّبين: إنّ الدمَ إذا جمّدتْه البخاراتُ الباردةُ وداخَلَه ما يحرّك الحرارةَ الغريزيّة انحلَّ ذلك الدمُ وجرى

---

(٢٧) ب، ج: لن تعمى.

(٢٨) الخنازير: غدد صلبة تكون غالباً في العنق، ويظهر على سطحها درن شبيه بالعقد.

(٢٩) السرطان: ورم خبيث في الجسم تظهر فيه عروق تشبه أرجل السرطان.

(٣٠) السلع: خراج في البدن أو زيادة فيه كالغدّة بين الجلد واللحم.

(٣١) أ: آلام وأوجاع. ب، ج: الآلام والأوجاع.

من المنخرين فكشف أدواء كثيرة وأعقبَ صحّةً طويلةً، وقامَ للانسان مقامَ فصْدِ الودجين وحجامةِ الرّأس وسائر علاجات أعلى الرأس، وشُرب حَبِّ الأيارَج[٣٢] وحَبِّ القوقيا[٣٣] والتّغرغر بالأيارج الفيقرا[٣٤]، وتضميدِ اليافوخ والأصداغ بالدّهن الخيريّ[٣٥] الخام، وتعاهدِ الحمّام، وصَبِّ الماء الحارّ على الدّماغ.

فالذي قدّر السفهاءُ أنّه يجعلونه طعناً علينا، لما قلناه في الصّفع، صار مدحاً بالبيان الصحيح، والحجّة اللازمة.

وأنا أسألُ اللّهَ، تعالى، أنْ يوفّقنا وإيّاكم لما يرضيه، ويرزقنا المثابرةَ على طلب العلم، ويلهمنا الصبر والشكر على ما أنعم به علينا من العمل بفضائله والقيام بفرضه ونقله.

إنّه مستحقّ الحمد ووليّه.

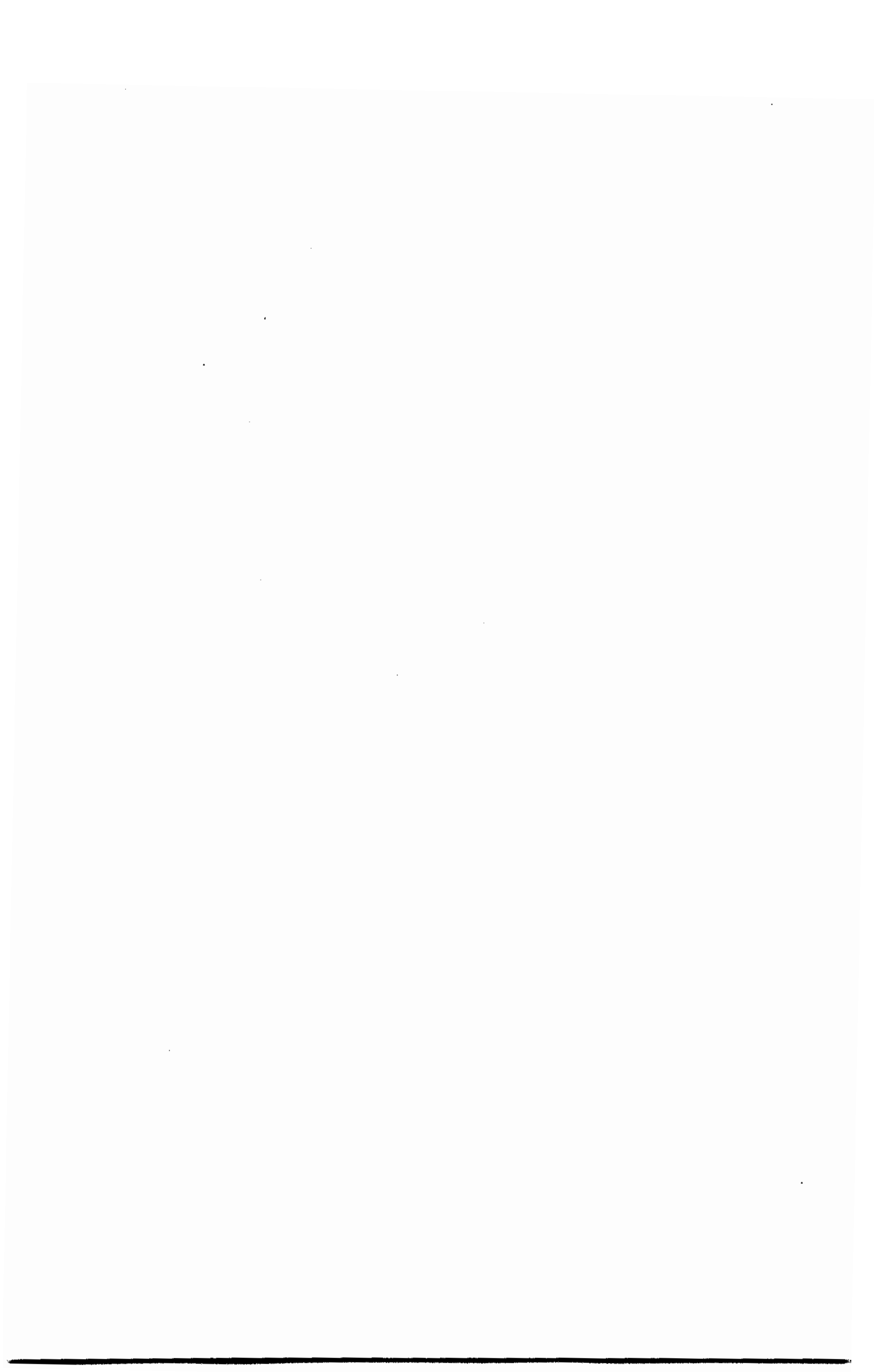
* * *

(٣٢) الايارج: معجون مُسهل، معرّب إيارهُ باليونانية وتفسيره (الدواء الالهي)، مفرده: إيارَجَة.

(٣٣) هكذا في الأصل، ولم نوفق الى معرفته.

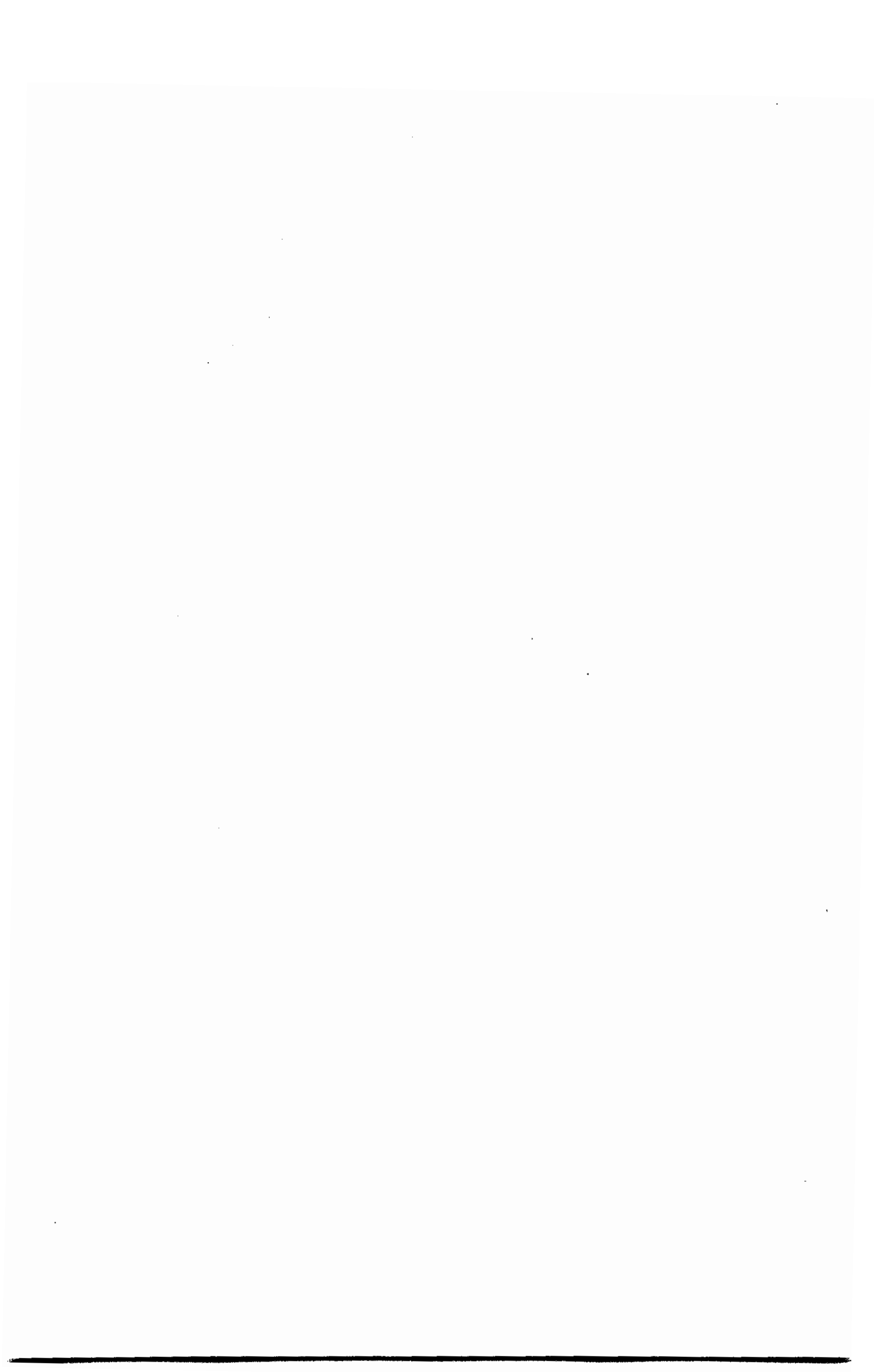
(٣٤) إيارج الفيقرا: أحد الأدوية المسهلة القديمة وهي باليونانية: Hiera Picra أي (الدواء الالهي المرّ).

(٣٥) دهن الخيريّ: زيت يوصف لتحليل الأورام، يُنقع فيه زهر الخيريّ في زجاجة وتوضع اياماً في الشمس.



الباب الثاني

في أصناف
القوّادين والقوّادات
وما جاء فيهم
من نوادرَ وأشعارٍ



أصنـافُ القوّادين إثنان وعشرون صنفاً. منها عشرون على الإناث، وإثنان على الذّكور، من النساء عشرة ومن الرّجال عشرة، وإثنان ليسا هم من الرجال ولا من النساء، وهما ممازجا الصنفين وهم: الخدّام والمخنّثون.

فأمّا القوّادون الذين على الإناث، فهم(*):

[١] الحَوشُ
[٢] ثم حوشُ الحوشِ
[٣] ثم المعرّس
[٤] ثم السّمسار
[٥] ثم الدوّارُ
[٦] ثم الدُّكْدَف
[٧] ثم المرحّل
[٨] ثم المسكّن.

ولكلّ واحد من هؤلاء طبقة يختصّ بها.

(*) الترقيمات التالية جميعها من وضعنا. (المؤلف).

[١] فأمّا الحَوش

ويُسمّى عند العجم: الزملكاش . فهو المُرصَدُ لحمل الجُنْك[١] وغيره من آلات المغاني، ووظيفته انّه يوصل الجارية إلى بيت حَريفها[٢]، ويسلّم لها آلتها ويأخذ خُفَّها وإزارَها فيرجع به، ثم يحمله إليها عند انفصالها ويحملها إلى منزلها.

وهذا فلا رسم له معلوم، وإنّما هو على ما يُوهبُ له ويُجادُ به عليه، وليس له عُدَّة ولا آلة.

[٢] وأمّا حَوش الحوش

فهو الذي إذا استقرّت الجارية في بيت محصّلها دخل إلى الدّهليز واخرج كِنْفاً[٣] فيه عُدَّتُه واكثر[٤] واكثر صناعته، وذلك ميزانٌ لطيف ومِحَكُّ الذّهبِ وزِنادٌ وحرّاق وفَضْلَةُ شمعةٍ وجُلْجُلٌ[٥] حسن الصوتِ.

فإذا تسلّمت المراةُ جدرَها، ذهباً كان أو دراهِمَ، دفعته اليه ورجعت الى حريفها. فإنْ كان ليلاً قدحَ الزّنادَ واوقدَ الشّمعةَ ثم حَكَّ الذهبَ أو وَزَنَ الدّراهمَ، فإنْ صحّتْ أخذَها وانصرفَ، وإنْ كان الذهبُ بَهْرَجاً[٦] أو الدّراهمُ ناقصةً أو زُيُوفاً حَرَّكَ الجُلْجُلَ فسمعتْ فخرجتْ اليهِ، فأخبرَها بالخبر فرجعتْ باكيةً إلى محصّلها وقالت: (الدّليل على انّي لم أعجبكَ انّك أعطيتني بَهْرَجاً أو زُيُوفاً)، فلا تستقرّ حتى يوفيها أو يعوّضها.

وهذا فرسمهُ المُتعارف: السُّدْسُ من الجدرِ.

[٣] وأمّا المعرّس

فهو نوعان، أحدهما يسمّى: الأقرع، والآخر يُسمّى: الملآن.

---

(١) الجُنْك: الطنبور، وهو من آلات الطرب.

(٢) حريفها: مُعاملها في حرفتها.

(٣) الكِنْف: وعاء تُحمل فيه الأدوات.

(٤) ا: واكبر.

(٥) الجُلْجُل: الجرس الصغير.

(٦) البَهْرج: الباطل.

(أ) **فأمّا الأقرع**: فهو الذي له بيت نظيف حَسنُ الفَرْشِ ، ولا شغل له إلّا الجمع فيه بين النساء والرجال، غير أنّ الذين يجتمعون عنده يتعارفون بأنفسهم قبل الاجتماع عنده، وإنّما عليه المنزل لا غير.

وإنّما سُمّي الأقرع لأنّ منزله خال لا شيء فيه. وهذا فرسمه من الجدرِ: الرُّبُعُ.

(ب) **أمّا الملاّن**: فهو الذي له منزل يُحضر فيه امرأةً مستحسنةً، ثم يدعو إليها مَنْ يَنْبها[7] بها. وإنّما سُمّي المَلاّن لأنّ مجلسه معمور. وهذا فرسمه من الجدر: النّصفُ.

[٤] وأمّا السّمسار

فهو أيضاً نوعان، أحدهما يُسمّى: المُدلِّس، والآخر يُسمّى: القَطاة.

(أ) **فأمّا المُدَلِّس**: فهو الذي يجلس على دكاكين البزّازين والتجّار ثم يعرضُ ويقول: (ما أطيبَ عيشَ النّاسِ وما الذَّ ما همُ فيه! لقد أصبحتْ فلانة من أملح النّاس وأحسنهم وأظرفهم، وليست غالية، بعد أنْ كانت بخمسة دنانير رجعتْ إلى دينارين)، ولا يزال يتحدث بهذا أو شبهه مع مَنْ يتوهّم فيه الانقياد له إلى أنْ يقرّرَ معه حضور فلانة بنت فلان، أو امرأة فلانٍ بعينها، ويأخذ منه على ذلك قدراً عظيماً، ثم يحضرُ له امرأةً غيرها، يسمّيها باسمها، يتواطأ معها على ذلك. وربّما اختارها في قدر المسمّاة ولحمها.

(ب) **وأمّا القَطاة**: ففعلهُ في السّمسرة فعل المدلِّس إلاّ انه يحضر التي يذكرها بعينها، ولهذا سمّي «قطاة» لصدقه. فإنّ الناس يقولون في المثل للرّجل الصّادق: «هو أصدقُ من القَطاةِ». وللسّمسار من الجدر: النّصفُ، سواءٌ كان مدلِّساً أو قطاةً.

---

(٧) ب، ج: ينيكها.

[٥] وأمّا الدوّار

فوظيفتـه إذا سمع أنّ موضعاً فيه جماعة على شراب، ويتوهّم فيهم السّماح أو اليسارَ، فيمضي يستأجر بَغيًا، ومن شرطها أن تكون طويلةً سمينةً ذات شَخصٍ يملؤ البصر، فيستأجر لها ثياباً حسنةً ويأتي بها وراءه إلى باب الدار فيقرع الباب قرعاً لطيفاً، فاذا أُجيبَ قال لمجيبه: (قفْ لي أكلّمكَ)، فإذا خرج قال له: (قلْ لفلان يكلّمني)، لشخص غير معروف، فيقـول له: (مـا هذا الاسم عندنا)، فيقول: (سترَ اللهُ عليكم)، والمرأة تتراءى من بُعدٍ وتتبهرجُ. ثم يولّي وهو يقول: (لا حول[٨] ولا قوّة إلّا باللّه العـليّ العـظيم، أين أجـده في هذه الساعة؟ وكيف حتى حصّلتُ هذه وخرجتْ من بيتها؟)، ويلتفت فيقول: (يا سيدي، ما تدلّني على منزله؟ وهو يسكن في هذه الحَومةِ بلا شكّ)، فيسأل عن أمرهِ فيقول، بعد تمنّعٍ كبيرٍ واستكتامٍ عظيمٍ، لمن يسأله: إنّ معه شخصاً مستوراً عشقَهُ فلان «الذي سمّـاه» وأنفق عليـه مئين دنانيرَ، واحتالَ في وصوله إليه بكلّ حيلةٍ فلم يتمكّن له ذلك إلى أنْ دَلّ[٩] عليه ووعده بخِلْعَةٍ نفيسةٍ وصِلَةٍ سَنيّةٍ على تحصيلهِ. فلم يزلْ يحتال ويتلطّف في أمرهِ، ووجدتُ الآن فرصةً فخرجتُ معه وقد غلطَ بالدار.

ثم يرغب لهم في كتمان هذا الأمر وأنْ يدلّوه على دار ذلك الشخص، فيشيـع الخبـرُ بين النـدمـاء ويخـرجـون اليـه وقد أخذَ منهم النّبيذُ فيتطارحون عليه في أنْ يؤثرهم بها فيمتنع فيرغّبوه، فإذا نال منهم فوق ما يؤمل سلّمها لهم وانصرف.

[٦] وأمّا الدكدف

فهو رجل يتزيّا بزيّ التجّار ويلبس ثياباً نظيفةً ويضـع في كُمّهِ جُملةَ مفـاتيـح ويقصـد دهاليزَ الفنادق وأبواب القياصر[١٠] ومواضـع الخلق

---

(٨) لا حول و:ناقصة من ا، وهي في ب، ج.

(٩) دَلْ (عليه): مَنُّ بعطائه عليه.

(١٠) ا، ب، ج: القياسر.

المجتمعة فيجلس هناك. فإذا رأى رجلين يختصمان كانا نُهْزَةَ طمَعه. فإذا اشتـدّ الشّرُّ بينهما فلا بدّ يتسابّا بالأم والأخت والزّوجة، كما جرَتْ به العادةُ بين المتشاجرين من العَوام في المسابّة، فاذا انقضى شرُّهما عَمَدَ إلى مَنْ يتوهّم أنّه أقربهما وقوعاً لما يريد منه، فيجلس اليه على الانفراد ثم يقول له كالمتظلّم له والمشفق عليه: (ما شاءَ اللّهُ كانَ. واللّهِ لقد صار في الدنيا مصائب ولقد تجرّا[11] النّاسُ على العظيمِ ويقدمون على الكبائر ويتمّ لهم، واللّهِ لقد بلغَ منّي كلامُ هذا الرجل اليوم معكَ وجراته عليكَ مبلغاً هممتُ أنْ أقولَ ما في نفسي ويفعل اللّهُ ما يشاء). فيقول له الرجل: (وما ذلك؟)، فيقـول: (سمعتُـه يقـول لكَ يا ابنَ الفاعلةِ أو يا زوجَ الفاعلةِ، فأظلمتْ الدّنيا في عينيّ لعلمي من البواطن بما لا يعلمه إلاّ اللّهُ)، فيقول له الرجـل: (وما الذي تعلم؟)، فيقول له: (دعْ هذا واشتغل عنه والعن الشّيطانَ فقد انقضى شرُّه معكَ)، فيقول له: (لا بدّ أنْ تعرّفني)، ويسألَه فيرغب إليه فيقولُ له بعد جَهْدٍ: (زوجتُه اليومَ في ميعادي، وقد أنفذتُ لها جدرَها وأعددتُ مجلسي معها)، فإذا سمعَ الرّجلُ ذلك انقادَ إليه وقال: (يا أخي، وهل يمكنُ أنْ تطلعني عليها؟)، فيقول له: (واللّه لولا ما سمعتُه منه في سبِّكَ ما سمحتُ بهذا أبداً، لكنّي أصطنع لكَ يداً[12] إنْ عرَفتَ قدْرَهَا)، «فيقول له الرّجلُ: (إنّي لعالمٌ بقَدْرِ صنيعِكَ، شاكرٌ لبرِّكَ)»[13]، فيقول له: (أنا أرسلتُ لها الجدرَ مع قوّادٍ يتصرّف عليها، وأنا أمضي إليه أنظرُ ما صنع، فإنْ لم يكنْ ثَمَّ عائق أتيتُكَ بها وآثَرتُكَ بيوميَ منها).

فيشكرُهُ على ذلك وينصرفُ ويحضر له قوّاداً ويتواطأ معه على ذلك، فيذكر أنّه دفع لها الجدرَ ووعدته وقتاً من النهار، فيسأله عمّا دفعَ فيذكر ما صار[14] الرّجـل إليـه، فإنْ كان للرّجـل موضـعٌ كان اجتماعه بها في

---

(١١) أ: تجري.

(١٢) اي معروفاً.

(١٣) ما بين المزدوجين ناقص في أ.

(١٤) أ: ما سار.

موضعه، وإنْ لم يكنْ له مكان حمله لمنزلِه وجعل ذلك من تمام الصّنيعة إليه.

ثم يعمد إلى امرأة فاجرةٍ فيكريها ويكتري لها ثياباً وحُلياً جيّداً ويحملها له. فإذا وصلتْ إلى المنزل استدعى الرجلَ وقال له: (لا تُمهلها أنْ تنالَ منها الغرضَ الذي تكسرُ به عينَ خصمِكَ وتوكسُ[١٥] بحرمته. وأيضاً أخبرُكَ بما هو عجيب أدلّكَ عليه، وهو الذي إذا عملتَه تحصل به رأسَ خصمِكَ تحتَكَ بقيّةَ الدّهر، وذلك أنّه بالأمس اشترى لها خاتمَ دبلٍ[١٦] من فلان الخواتميّ، فإنْ احتلتَ وتلطّفتَ حتى تأخذ الخاتمَ ويحصلَ في حوطتِكَ بحيث إنْ عادَ إلى شركَ اريتَه إيّاه، أو أشرتَ له به من بُعدٍ، كان ذلك أعظم عليه من أنْ تُضربَ عُنقُه، ولا يعود يقابلكَ بعدها بشيءٍ تكرهه، ولا يتعرّض لكَ في مكانٍ تمرّ به).

فيشكرُهُ الرّجلُ على ذلك، وقد كان هذا القوّاد اشترى للمرأة خاتمَ دبلٍ بدرهمٍ وقال لها: «إذا طلَبَه منكِ فلا سبيل أنْ تسلّميه له، ولا يخرج عن يدِكِ، بأقلّ من دينارين أو ثلاثة» أو غير ذلك مما يعلم أنّ حالَ الرجلِ يحمله وقدرته تصل اليه، ومؤونته[١٧] تسهل عليه. فإذا دخلَ الرّجلُ المنزلَ لم يخالفْ ما أمرَ به صاحبهُ من قضي الغرض معجّلاً، ثم يدلّ على المرأة ويداعبها ويقول لها: (أحبُّ أنْ تهبيني هذا الخاتم حتى أذكرك به)، فتقول: (يا سيدي، خذْ ما شئتَ من ثيابي وقماشي وحُليي ودعْ هذا الخاتم، فإنّ بعلي اشتراه بالأمس من فلان الخواتمي ـ وتذكر الرّجلَ الذي سُمّي له ـ وأخشى أنْ يراه بيدِكَ فأهلكَ، ومعي من خواتيم الذّهب وهذي الحُلي والخِرَق[١٨] ما لم يعلم لهم صانعاً، فخذْ ما شئتَ منه فإنّه إنْ ظهرَ لا يعلمُ أنّه لي ولا يميزُ من غيره من أمتعةِ النّساء)، فإذ سمعَ هذا الكلام تحقّق نصح الرّجلِ له وألحّ على أخذِ الخاتم بعينهِ. فلا يزال الكلام

---

(١٥) الوكْس: النقص.

(١٦) الدُبلة: حلقة من الذهب والفضّة من غير فصّ.

(١٧) أ، ج: مونته.

(١٨) ب، ج: والحلَق.

يتـردّد بينهما فيه، وهو يبذل لها الرّغائب ويقسم بالأيمان المغلظة على كتمانها، حتى تأخذَ منه ما رسمَ لها القوّادُ وتسلّم إليه الخاتمَ وتنفصل، فتدفع للقوّاد ما أخذتْ ويعطيها أجرتها وتحصل على جملة وافرة وينقلب الرجل بالخيبة.

[٧] وأمّا المرحّل

فهو قوّاد ملازم للبغّي المغنّية، ساكن معها في منزلها، يصبح بالغداة فيقول لها: (أصلحي جُنكَكِ وحكّمي طبقات أوتاره، فإنّ بدالَك[١٩] البارحة كان فيها اختلال)، فاذا أخذتْ في إصلاحهِ قام إلى راوُوق[٢٠] كان علّقَ فيه من البارحة فَضْلَ نبيذها، وأخذَ ما قَطَرَ منه من رقيق الخَمْر فوضعه بين يديه مع بقايا الفاكهةِ والنُّقْل[٢١] الذي حمله معه وفضلة العَشاء، فأكل وشرب وطرب على دغدغة أوتاره، وربّما طرب وأطرب المغنيّة وتمسخر لها وانبسـط وبسطها إلى أنْ يقضي أرَبَه منها. ثم خرج فأحضر لها الجدرَ وحملها إلى منزل محصّلها ثم دخل معها، بعد أن يحصل لنفسه نصيباً معلوماً. وربّما واطأ على المغنيّة فسرق من جدرها. فاذا دخل تقدّم فجلس في خِيـار المجلس، بعـد أنْ يحمِّل ربّ المجلس المنَّة العظمى في حصول صاحبته، ويعرّفه انّه استخلصها له من لَهَواتِ الأُسُود وآثره بها على كلّ مَنْ في الوجـود، فيقـدّم له مختار الأطعمة فيأكل. كلّما وقع بيده طعام مُسْتحسَن، من دجاجةٍ مشويّة ووسط طيب مبزَّر[٢٢] وسَنْبُوسَق[٢٣] محشوٌ معطّر وحلاوةٍ ناشفةٍ، جعله في خَريطة[٢٤] مشمّعةٍ يحملها معه معدّة لذلك. ثم يرجع للشّراب فيُقدِّم له مختاره، فيقول: (انا ضعيف الطّبقة في الشّرب، أحبُّ أنْ أقدّر على نفسي فيه، ثم إنّي أيضاً أحتاج إلى الابقاءِ على نفسي

---

(١٩) البدال: رافعة تغيير النغم في الآلة الموسيقية. وفي ب، ج: بدايتك.

(٢٠) الراووق: المصفاة.

(٢١) النُّقل: ما يتنقّل به على الشراب من فواكه وغيرها. وفي ج: البقل.

(٢٢) مبزّر: متبّل.

(٢٣) السَنْبوسق: فطائر مثلثة تعمل من رقاق العجين المعجون بالسمن وتحشى باللحم أو الجوز.

(٢٤) الخريطة: وعاء من الجلد أو نحوه، يُشدّ على ما فيه.

للتصرّف على هذه السّيدة)، فيأخذ خماسيّةً يضعها إلى جانبه فكلّما جاءه قدحٌ فرّغه فيها. وربما يتناول السّقي فيغالط فيه حتى يملأ الخماسيّة. وكلّما وقعَ له نُقْلٌ مُستحسنٌ، من سفرجلة عظيمة وخوخة مخطّطةٍ وتفّاحة حمراء وفستق مملوح ولوز مقشّر، رماه في خريطة أخرى معه معدّة لذلك. فإذا كان في أثناءِ المجلس نظرَ، فإنْ كان فيه أمرد حسن الوجه يستحسنه رصده إلى أنْ يخرج إلى قضاء حاجته فيخرج خلفه ثم يقول له في خَلْوةٍ: (كيف ترى هذه الجارية؟)، فيقول له الأمرد: (في نهاية الحسن والظرف)، فيقول له: (ما يكونُ عندكَ، وتبيت عندكَ في ليلتكَ هذه؟)، فيقول: (هذا هو المِحَـالُ الذي لا يمكن كونه. كيف وقد غَرِمَ عليها ربُّ هذا المنزل وعلى مبيتها عنده العشرة دنانير ونحوها وقد حصلتْ في منزله؟)، فيقول له: (هذا ما لا يلزمكَ، ما يكونُ عندكَ؟)، فيقول له: (ما عندي إلاّ روحي، وإلاّ فهـذا شيء لا يتـوصّـل اليـه بالمال ولا بالجاه)، فيقول له: (قد أصبتَ الغرضَ، هي حاجةٌ بحاجةٍ، فاعرفْ ما قلتُ)، فيقول له: (قد عرفتُ، فإنْ فعلتَ شيئاً فأنا غلامُكَ، وعلى أنّ هذا عندي من المحال)، فيقول له: (إرجعْ إلى مكانكَ، فانْ رأيتَ تشويشاً وانفصالاً فاتْبعنا).

ثم يعود كلُّ واحد مكانه ويصبر قليلاً ثم يقوم ويخرج على أنّه يفتقد البيتَ فيرجعُ من باب الدار ويقف على باب المجلس فيفتح يديه على الباب، او يقفُ ويشبـكُ أصـابعَ يديه، ويطرق برأسهِ الأرضَ فيقول له بعضُ الحاضرين: (ما شأنُكَ؟ إجلسْ واطلقْ أصابعَكَ، فإنّ هذا يدلّ على الشّرّ)، فيقـول له: (وههنـا خيرٌ؟ وبقي من الشّرّ شيءٌ إلّا وحضر؟)، فيقـول له الحاضرون: (ما الذي تقول؟ ويحكَ). فيتركُ جوابه ثم ينظر إلى الجارية نظَرَ كئيب ويضربُ يداً على يدٍ، فتقول له: (ويحكَ، ما الخبر؟)، فيقول لها: (تعالي أعرّفْكِ)، فتقوم له، فيقول لها بكلام سرٍّ يسمعه من يقرب[٢٥] منها: «الأمـير على البـاب» أو «يـطلبكِ» أو إسماً يسمّيه ما أنزل اللّه به من

---

(٢٥) فيما يلي تشويش في ا يبدو كما اثبتّه هنا بين قوسين.
وفي ب، ج: او من الباب فيقول اسم (ج: اسمٌ؟) ما انزل الله بها من سلطان.

سلطان، وهي تعلم مقصده في التخفيف عنها بالانصراف والرّاحة في الخَلوة في منزلها، فتعود كئيبة.. فيقول لها محصّلُها: (باللّهِ عليكِ عرّفيني ما القضيّة؟)، فتقول له: (هذا مملوك الوالي، أو الأمير الفلاني. قد بلاني اللّهُ به بليةً يتبعني حيثُ كنتُ فيؤذيني ويؤذي مَنْ أكون معه، إلّا أنْ يغيب عنه موضعي، وما أدري مَنْ دلّه الليلةَ عليّ). فتقوم القيامة على الرجل، ولا سيّما إنْ كان يؤثر السّترَ ويخشى الفضيحة فيقول: (وكيف الحيلة؟)، فتقول: (ما أقدر أخرج اللّيلة لئلاّ يقتلني)، فيقول لها القوّاد: (أحسنتِ يا ستّنا، هذه أفعال الأحرار! أتنظرين غداً رجلاً محتشماً يحضرك في منزله؟ تخشين أنتِ على نفسك وتفضحين هؤلاء السادة وتتركينه يدخل عليهم وهم سُكارى آخر اللّيل، يقتلهم وتسلمين أنتِ، أو يكبسهم الآن وأنتِ. فهو صديقكِ ما يطرأ عليكِ معه شيء. لا واللّه، ألا ضفرُ واحدٍ من هؤلاء الجماعة يُفدى بألف مدينة منك، ولئن يقتلك في الزّقاق أولى مِنْ أنْ تحلَّ بهم فاقِرةٌ[٢٦] بسببكِ، ثمّ إنّي ما أُراد إلَّا لمثل هذا اليوم. أين إزارُكِ؟)، فتقول له: (هذا هو)، فيأخذه ويطويه ويدخله في عبّهِ ويقول لصاحب المنزل: (ابصرْ لي السّاعة ملحفةً وسخةً). فاذا أحضرها له قال لها: (إلتفّي بهذه وقومي اخرجي قدّامي ويفعل الله ما يريد)، فاذا قامت شال جميع ما أعدّه وبسط منديلاً يضمّ فيه خيارَ فاكهتهم، وأطفأ شمعةً فجعلها معه وتبعها. فاذا وصل إلى باب الدار وقف مِنْ داخله يوهم أنّه يخشى أنْ يعرفَ به الشّخصُ الذي واقف، حتى يخيّل على أصحاب الدار أنّ الشّخصَ انصرف خلف المرأة لمّا خرجتْ، ثم يفتح الباب ويخرج كالفارٍّ إلى جهةٍ غير جهتها، وينصرف أربابُ المنزل مذعورين، ويتتبع الأمردُ القوّادَ إلى الدار فيجدّدون حالتهم، ويتولّى القوّاد السّقيَ فيُترع الجاريةَ والأمردَ فيسكرهما ويبيتُ بينهما يستمتع بهما إلى الصباح، فيكون هذا دأبهُ مع الزمان.

---

(٢٦) الفاقِرة: الداهية.

[٨] وأمّا المسكّن

فهو قوّاد كثير المال، متّسعُ الحال، يشتري جواريَ[٢٧] وغلماناً ويتّخذ داراً واسعةً نظيفةَ البناءِ ويعدّ فيها آلةً حسنةً وفرشاً نظيفاً وشراباً كثيراً وأوانيَ ظرافاً، ويتعرّض قوافل التجّار. فاذا رأى رُفْقَةً يتوهّم فيهم القصدَ واليسارَ، يكونون أربعة أو[٢٨] خمسة أو أكثر أو أقلّ، تعرّض لهم عند وصولهم باب المدينة وأوهمَ أنّه دلّال على أمتعة تجاراتهم، على ما جرْت عادة الدلّالين مع التجّار، فيصلون لمنزله إمّا بأمتعتهم وإمّا بأنْ يضعوا أمتعتهم في الخانات ويصلوا بأنفسهم، فيدخلهم الحمّامَ ثم يفرش لهم الفراش الرفيع ويقدّم لهم الأطعمة اللّذيذة، ثم يحضر النبيذ والفاكهة والشطرنج وأسفاراً من الكتب في السِّيَرِ والأدب وغير ذلك. ثم يقول لهم: (يا أصحابنا، مَنْ شاء منكم أنْ يشرب، ومَنْ شاءَ منكم أنْ يلعب، ومن شاء أنْ يقرأ).

فإنْ كان الزمان صيفاً وكان وقت القائلة[٢٩]، أغلق عليهم الأبواب وارخى السّتورَ وادخل عليهم غلماناً على عددهم يتولّى كلّ واحدٍ منهم تكبيس واحد من التجّار والترويح عليه، فاذا نام تجرّد ودخل في الإزار.

فإذا جاء اللّيل أحضر لهم الشراب وأنواع الفواكه وآلات الملاهي، فإذا كان وقت النوم تقدّمت لكلّ رجلٍ جاريةٌ تفرش له وتتولّى خدمته، فاذا دخل في فراشه تجردت ودخلتْ معه في الفراش.

فلا يزال هذا دأبهم ما شاءوا أن يقيموا، وإذا أرادوا الانصراف جمعوا له الحُمُل الكبار من المال فدفعوها له، ومنهم مَنْ لا يرجع إلى بلده بدرهم من مالهِ بل ينفقها في داره ويصير جميع ما معه للقوّاد، وربّما عشقَ غلاماً من أولئك الغلمان أو جاريةً من تلك الجوار، فكان ذلك أسرع لتلافِ ماله ودماره.

---

(٢٧) ا، ب، ج: جوارا.

(٢٨) او: ناقصة في ا.

(٢٩) القائلة: النوم في الظهيرة.

فهذه أصناف القوّادين على القِحاب.

وأمـا الصنفـان المختصّـان بالقيادة على العلوق وهـم: المُسْتَغْشقود وصندل، فها نحن نبينهما:

ـ أمّا المُسْتَغْشَقود: فإنّ هذه كلمة من كلمتين مركّبة، وهما العشق والقيـادة. وذلك أنّه يكون لوّاطاً فقيراً لا يبلغ وسْعةٌ للاتّصال بالغلمان الحسـان ونيـل الغـرض منهم فيقود عليهم، فاذا ارتهنوا معه في ذلك وانكشفوا له لم يسعهم مخالفته، وربما دبّ عليهم وهم سُكارى أو نيام. ويتوصّل اليهم بوجوهٍ عديدةٍ يسهلها الامتزاج وكثرة المخالطة.

ـ وامّـا صَنْدَل: فغلام أمرد، إلاّ أنّه ليس بفارهٍ[٣٠] ولا نافِق[٣١] ولا مرغوب فيه لقصوره في الجودةِ عن غيره، فيقودُ على الغلمان. فاذا اتّفق أنْ يخلف غلامٌ ميعادَ رفيقه، وقد تجهّز الطعامُ والشرابُ والمنزل الخالي واستحكمَ شَبَقُ اللاّئط ولم يجد أحداً، ردّ يده على الغلام القوّاد واكتفى به بحكم الضرورة ويسمّون هذا: صَنْدل.

وذلك أنّ من الأمثال السّائرةِ «إن لم تأتِ العجلةَ بحطبٍ وإلاّ فهي صندل»، معناه: إنْ لم تأتِ بحطب يوقد وإلاّ فهي صالحة للوقود.

والقـوّاد الذي يكون على هذه الصّفة فهو قليل النُّصح محرِّش بين الغـلام واللاّئـطِ، نَمّـامٌ على الغـلام لأنّ غرضَه الاّ يستقيم أمرهُ حتى يخزى[٣٢] به.

وقد تفعل بعض القوّادات ذلك إذا كانت صالحة لهذا الباب.

وأمّا أصناف القوّادات فهنّ:

[١] المُريدة

[٢] والحاجيّة[٣٣]

---

(٣٠) الفاره: المليح.

(٣١) النافِق: خلاف الكاسد.

(٣٢) خزا به: ذلّه وقهرَه.

(٣٣) ج: الحاجبة.

[٣] والمتصرّفة
[٤] والدّلّالة
[٥] والقابلة
[٦] والماشطة[٣٤]
[٧] والحَماميّة[٣٥]
[٨] والخافضة[٣٦]
[٩] والطّرقيّة[٣٧]
[١٠] والحجّامة[٣٨].

[١] فأمّا المريدة

فهي عجوز تتزيّا بزيّ الصّلاح والعبادة وتلازم الصّلاة والسجّادة وتعلّق في عنقها سُبْحَةً وتتعاهد إلى النسوان وتكثر الدعاء لهنّ ولصاحب المنزل.

وهي أعدى على المرأة المستورة من الذئب على الخروف، وأسرع في إفسادها من السّوس في الصوف.

[٢] وأمّا الحاجيّة

فهي قوّادة تُشهر أمرَها بغيبتها، وتمحي ما وقع في النّفوس منها بتوبتها، ثم تعود. وربما سكنتْ غير بلدها الذي تعرف فيه، فدخلتْ إلى الديّار بحجّةِ الحَجِّ. وربّما استصحبتْ معها شيئاً من أَثَر الحجاز مثل خِرْقَة حرير سوداء تقول إنّها من أستار الكعبة، وشيئاً من تُراب تقول إنّه من تُراب القبرِ، وغير ذلك. ثم تسبّبتْ إلى الفساد، وبلغت بناموس الحَجّ غايةَ المراد.

---

(٣٤) الماشطة: امرأة تحسن المَشْطَ وتتخذه حرفة.
(٣٥) الحمّامية: صاحبة الحمّام أو العاملة فيه.
(٣٦) الخافضة: الخاتنة، أي من تقوم بختان النساء. في م: الحافضة.
(٣٧) الطّرقيّة: العرّافة، والطّرق هو الضرب بالحصى للتكهّن. في ج: الظرفية (!)
(٣٨) الحجّامة: محترفة الحجامة، والحِجامة: امتصاص دم المريض بقارورة تدعى المِحْجَم.

[٣] وأمّا المتصرّفة

فهي عجوز تدخل إلى الدُّورِ برَسْمِ قضاء الحوائج للنسوان والتصرف عليهن والبيع والشراء لهنّ وإحضار ما يحتاج اليه من الأسواق وغيرهن فيما يُرجّى الرجال والنساء بحُجّةِ ذلك ويجمعن بينهن.

[٤] وأمّا الدلاّلة

فهي تبيــع أسبــابَ النسـاء من الأخفاف والخِرَق وغير ذلك. فتدخل عليهن بما تبيعه لهنّ أو تبتاعه منهنّ ولا معقّب عليها. فتنال فيه ما تريده وتُوصل إليهنّ من هذا الوجه.

وأمّا: [٥] القابلة
[٦] والماشطة
[٧] والحمّاميّة
[٨] والخافضة
[٩] والطرقيّة[٣٩]
[١٠] والحجّامة:

فانهنّ يدخلن على النساء بحجّة احتياجهن إليهن في أشغالهنّ، وعدم الانكـار عليهنّ في تصريفهنّ، فيدخل الدّخيلُ من قبلهنّ عليهن، لَمَنْ له غرض فيهنّ، ويندمج في أثناء ذلك ما يريدونه لَمَنْ شرعن لهنّ فيه.

* * *

فهذه الأصناف التي تدخل الدّخيلةُ منها على النساء المساتير وإنْ لم تكنْ لهنّ نيّة في الفساد، فانهنّ يؤرونّ[٤٠] على إفسادهنّ في الخلوة معهنّ وكثرة المباشرة لهنّ. واعلمْ أنتَ أنّه قلّما خلتْ قطّ امرأةٌ عجوز، ممّنْ تباشر الرجال وتعاملهم، مع امرأة صالحة إلاّ وأفسدتها بما تحدّثها به عن بعلها

---

(٣٩) ا: والحجّامة والطرقيّة.

(٤٠) اوّره: اغراه، هيّجه.

وإنْ لم تقصد فسادها، فكيف إذا قصدته؟ فإنها ربّما تذكر لها، في أثناء حديثهـا، جمـال رجلٍ أو حسن خلقه أو اتّسـاع نفقته أو غير ذلك من مجاري أحواله، ممّا يكون بعلُ المرأة مقصّراً عن شيءٍ منه، فيكون ذلك سبب سوء خلقها على بعلها وفسادها عليه.

فيجب على الرجل الحرِّ المؤثِر لصيانة حريمه أنْ يغار من خلوتها مع عجوز وامرأة من هذا الصنف كما يغار من خلوتها مع الرجل الأجنبيّ.

وامّـا الخـدّام والمخنّثـون: وهـؤلاء يدخل الدخيل منهما، فانّهما يختفيان فلا يُعدّان من النساء ولا من الرجال وهما ممازجا الصنفين، وهم أقـود من جميـع مَن تقدّم من أصناف القوّادين لأنّ لهم زيادة داعية بالشيوف للنكاح والالتذاذ بالتصرّف فيه، بالقول منهم والفعل من غيرهم، لما عجزوا عن بلوغ لذّة الفعل بأنفسهم.

ولا تظنّ أنّـا حصرنا ذكرَ كلِّ قوّادٍ وقوّادةٍ فإنّ[٤١] ذلك شيءٍ لا يمكن حصره، وهؤلاء المشاهير.

---

(٤١) ا: لمكان، ب: فانّ، ج: كان.

ممّا جاء فيهم من الأخبار والنوادر

جاء في (غريب الحديث) عن رسول اللّه، صلى اللّه عليه وسلم: «لا يدخل الجنّةَ صقّار»[1]، وهو القوّاد[2].

وعنه: «لا يدخل الجنّة القُنْدع»[3]، وهو القوّاد.

ومن أسماء المرأة القوّادة التي كانت قبل ذلك بغيّاً: الواصلة.

وروي عن عائشة، رضي اللّه عنها، أنها قالت: «ليست الواصلة التي يعنون، ولا بأس إذا كانت المرأة زعراء[4] أنْ تصل شَعرها، ولكنّ الواصلة أنْ تكون بغيّاً في شبيبتها، فإذا يئستْ وصلته بالقيادة»[5].

---

(١) الصقّار (الصقّور): القوّاد.

(٢) إضافة في ب:

جاء في غريب الحديث عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (لا يدخل الجنّة صقّار)، وهو القوّاد.

وعنه، صلى الله عليه وسلم: (ان الله غرس الفردوس بيده وقال: وعزّتي وجلالي لا يدخل مدمن خمر ولا ديّوث).

وعنه، صلى الله عليه وسلم: (لا يدخل الجنة ديّوث ولا يقبل الله من الصقّور يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً)، وهو القوّاد.

وإضافة في ج:

جاء في غريب الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ان الله غرس الفردوس بيده وقال: وعزّتي وجلالي لا يدخل الجنّة ديّوث ولا يقبل الله من الصقّور يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً)، وهو القوّاد.

(٣) القُندع (القُنذع، القنذوع): الديّوث.

(٤) الزعراء: قليلة الشعر.

(٥) جاء في لسان العرب لابن منظور:

(الواصلة من النساء: التي تَصِلَ شَعرها بشعر غيرها، والمُستوصِلة: الطالبة لذلك والتي يُفعل بها ذلك. وفي الحديث: ان النبي، صلى الله عليه وسلم، لَعَن الواصلة والمستوصلة.

وروي عن عائشة انها قالت: ليست الواصلة بالتي تعنون، ولا بأس ان تَعرّى المرأة عن الشُعر فتصل قَرناً من قرونها بصوف أسود، وإنّما الواصلة التي تكون بغيّاً في شبيبتها، فاذا أسنّت وصلتها بالقيادة) ـ راجع مادة وصل ـ (المؤلف).

نادرة

حدّث بكار بن رياح:

كان بمكّة رجل يجمع بين الرجال والنساء على الشّراب فشُكيَ إلى عامل مكّة فنفاه إلى عَرَفات، فبنى بها منزلاً وأرسل إلى إخوانه فقال: (ما يمنعكم أنْ تعاودوا ما كنتم عليه؟)، قالوا: (وأين بك وأنتَ في عَرَفات؟)، قال: (حمارٌ بدرهمٍ وقد صرتم على الطيّبةِ والنُّزهةِ)، ففعلوا. فكانوا يختلفون إليه حتى فَسَدَتْ أحداثُ مكّة، فأعادوا شكايته إلى العامل، فأرسل اليه فأُتيَ بهِ فقال: (يا عدوَّ اللّهِ، طردتُكَ من حَرَمِ اللّهِ فصرتَ تفسدُ في ذلك المَشْعَرِ الحرامِ[٦] الأعظم). قال: (يكذبون عليّ، أصلح اللّه الأميرَ!)، فقالوا: (الدّليلُ على صحّةِ ما نقول أنْ تأمرَ بجميع حمير مكّة فترسل بها إلى عرفات ثم يرسلونها، فإنْ لم تقصدْ إلى منزله دون المنازل لعادتها فنحن المبطلون)، فقال الوالي: (إنّ في هذا لدليلاً وشاهداً عدْلاً).

فأمر بجمع سائر حمير مكّة التي للكراء فجُمعتْ ثمّ أُرسلتْ فسارتْ إلى منزله كأنّما يدّل بها عليه دليل، فأعلمه بذلك أُمَنَاؤه فقال: (يا عدوَّ اللّه، ما بعدَ هذا شيء، جرّدوه!). فلما نظر إلى السّياط قال: (لا بدّ، أصلحكَ اللّهُ، مِنْ ضربي؟)، قال: (نعمْ يا عدوَّ اللّهِ)، فقال: (واللّهِ ما في ذلك شيء أشدّ عليّ من أنْ يشمتَ بنا أهلُ العراق ويضحكوا منّا ويقولوا: أهلُ مكّة يجيزون شهادةَ الحمير!). (قال) فضحك الوالي وخلّى سبيله.

* * *

ومن كبار القوّاداتِ: ظُلْمة، التي تضربُ بها العربُ المَثَلَ، فيقولون:

أقْـوَدُ مـن ظُـلْمـة

والعامّة تذهب بهذا المثل عن غير مذهبه، فيقولون: «أَقْوَدُ من الظُّلْمة» بالألف واللام، يعنون بذلك: اللّيل.

---

(٦) المشْعَر الحرام: المزدَلِفة، وهو موضع بين عرفات ومنى.
وفي القرآن: (فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام) سورة البقرة، آية ١٩٨.

ولعمري إنّ لهذا وجهاً، إلاّ أنّ المَثَل لم يجيء إلاّ في المرأة المسمّاة: ظُلْمة. وأمّا وجه ما يريده الناسُ من ذلك أيضاً فصحيح، وذلك إنّ الظّلام يسترُ المُحبَّ في زيارة محبوبه، ويجمع بينه وبينه لغيبة الرّقيب، فينزل منزلة القوّاد. وكذلك الفجر، لمّا كان يفضحه أنزلوه منزلة النمّام، وقد جاء ذلك في أشعارهم.

حكي أنّ أبا الطيّب المتنبّي لمّا أنشد كافورَ قصيدته التي أوّلها:

مَـنِ الـجـآذر في زيِّ الأعـاريـبِ

فبلغ قوله:

ازورهـمْ وظلامُ اللّيـلِ يشفعُ لِيْ وانثني وبيـاضُ الصّبحِ يُغري بيْ

حسده جميع الأدباء الحاضرين بمجلس كافور على هذا البيت لما فيه من بديع التقابل وجودة الحوك واتقان السّبك ورجوع أربعة بالتقابل على أربعة لا يوجد بينها[7] خلل ولا حشو. فقالوا: (تُراه أخذَ هذا المعنى من أحدٍ أو هو له؟)، فقال لهم شيخٌ راويةٌ للشِّعر[8]، كان يحضر مجلس كافور ولا يكاد أحد يسلم من اعتراضه: (أجّلوني ثلاثة أيّام، فأنا آتيكم به)، فأجّلوه.

فأتـاهم فقـال: البيت مسروق من مصراعٍ[9] لابن المعتـزّ، صغـير العروض، خامل اللفظ، وهو قوله من هذا البيت:

لا تلـق إلاّ بليـلٍ من تواعدهُ فالشّمسُ نمّامةٌ واللّيلُ قوّادُ

فقوله: «الشّمس نمّامة» هو المعنى في قول أبي الطيّب:

وانثني وبيـاض الصبّـح يغـري بي

---

(٧) ا، ج: بينهما.

(٨) في الفصل الخاص بالمتنبي الذي اورده الثعالبي في (يتيمة الدهر) يشير الى انّ هذا الشيخ هو ابن جنّي، ويورد هذه الحكاية بتفصيل آخر.

ـ راجع (يتيمة الدهر ـ الثعالبي، ج ١ ص ١١٥، طبعة مصر ١٩٣٤).

(٩) المصراع: نصف البيت، وهو مشتق من الصّرْعين وهما نصفا النهار.

وقوله: «واللّيل قوّاد» هو معنى قول أبي الطيّب:

ازورهـم وظلام الليـل يشـفـع لي

إلّا أنّ سائر الناس من العلماء والشعراء اجتمعوا على أنّ أبا الطيّب صار أحقّ بهذا المعنى من ابن المعتزّ بما كساه من عذوبة الألفاظ وحسن السّبك وجودة الحوك. وقال الثعالبي: «هذه القصيدة عروس شعر أبي الطيّب، وهذا البيت عروس هذه القصيدة».

* * *

ونرجع لما نحن فيه فنقول: إنّ الظُّلمةَ التي يُضربُ بها المَثَلُ في القيادةِ امرأةٌ من العرب ذكروا أنّها كانت صبيّة في المكتب، فكانت تسرق دُويَّ الصّبيـان وأقـلامهم فلمّـا اشبّتْ زنتْ، فلمّا عجزتْ قادتْ، فلمّا قعدتْ اشترتْ تَيْساً فكانت تنزيه[10] في بيتها على العُنوزِ.

وحكى المدائنيُّ:

إنّ رجلاً من عمّال السلطان كان لا يزال يأخذ قوّادةً ويسجنها ثم يأتيه مَنْ يشفع فيها فيخرجها، فلمّا كثر ذلك عليه أمرَ صاحب شرطته فكتب في قصّتها: «تجمعُ بين النساء والرجال، لا يتكلّم فيها إلّا زانٍ».

فإذا أتاه أحد يتكلّم فيها قال: (اخرجوا قصّتها ننظر فيمَ[11] سُجنتْ). فإذا قُرئتِ القصّة قام الشّفيع مستحياً.

* * *

وحكي عن المبرّد:

أنّه كان له غلام يقود له على الغلمان، فقال له ذات يوم بمحضرٍ من الناس: (إمضِ فإنْ رأيتَه فلا تقلْ، وإنْ رأيتَه فقلْ له). فذهب الغلامُ ثم عاد فقال: (لم أره فقلتُ له، فجاءَ فلَمْ يجىء)، فسُئل الغلامُ بعد ذلك عن معنى هذا الكلام فقال: (انفذَني إلى غلام فقال: «إنْ رأيتَ مولاه فلا تقلْ

---

(١٠) تنزيه: تجعله يثب على العنوز.

(١١) ا: فيما.

له، وإنْ لم تره فقلْ له». فذهبتُ فلم أر مولاه فقلتُ للغلام، ثم جاء مولاه فلم يجىء الغلام).

غيرها

كان حمـدان بن بُشْر قوّاداً على أبي نؤاس في زمن وجارتِه، فحدّث أبو حاتم السّجستاني قال:

مرّ أبو نوّاس في بعض سكك البصرة ومعه حمدان بن بُشْر، وكان يقود عليه، فرمقهم الناس فاستحيوا، فقال حمدان لأبي نؤاس: (تقدّمْ حتى أتبعكَ)، فقال أبو نؤاس: (تقدّمْني أنتَ)، ثم أنشدَ:

ـ شعر ـ

اقـول لحمدان بنُ بُشْرٍ مجاوباً ... وقد رشقتْنا باللّحاظِ النّواظرُ
وقنّعَ منه الراسَ ثُمّت[12] قال لي: ... تقـدّمْ قليـلًا إنّنـي متاخّـرُ
تقدّمْ قليلًا يعرف الناسُ شانَنا ... بانّـكَ قـوّادٌ وانّي مؤاجـرُ

وحدّثَ عبدُاللّه بن محمد بن حفْص قال:

غَلَّسْتُ يوماً إلى المسجد الجامعِ لصلاة الغداة، فإذا أنا بأبي نؤاس يكلِّم امرأةً عند باب المسجد، وكنتُ أعرفه في مجالس الحديث والأدب، فقلتُ: (مثلكَ يقفُ هذا الموقف لحقٍّ أو لباطلٍ)، فمضى ثم كتب إليّ في ذلك:

ـ شعر ـ

إنّ التـي ابصرتَني ... سحـراً اكلّمها، رسولُ
ادّت إلـيّ رسالـةً ... كادتْ لهـا نفسي تزولُ
من فاتـرِ العـيـنـين يتـعـبُ خصرَه ردفٌ ثقـيـلُ
متنكّبٌ قـوسَ الصّبا ... يرمي وليس لـه رسيلُ
فلَـو انّ إذنَكَ بيننا ... حتـى تَسمَعُ مـا نقولُ
لرايـتَ ما استـقـبـحتَ من امـري هنـاك، هو الجميـلُ

---

(١٢) ا: ثمّة.

وحدّثَ محمّد بن مظفّر، كاتب اسماعيل بن صبيح، قال: قال لي إسماعيل:

قال لي الرّشيد يوماً: (يا اسماعيل، أبغني[13] جاريةً، وصيفةً فَطِنةً، مقدودةً تسقني. فإنّ الشّربَ يطيب من يدِ مثلها).

(قال) فقلت: (يا سيدي على الجهد، إلاّ انّي احبّ انْ تصفها لي)، فقال لي: (إجعلْ قولَ هذا العيّار إماماً لكَ) يعني أبا نوّاس، فقلتُ: (وما هو؟)، قال: قوله:

ـ شعر ـ

من كفِّ ساقيةٍ ناهيكَ ساقية … في حسنِ قدٍّ وفي ظرفٍ وفي ادبِ
كانت لربِّ قيانٍ ذي مغالبةٍ … بالكشخ[14] محترفٍ بالكشخ مكتَسِبِ
فقد راتْ وردتْ عنهنّ واختلفتْ … ما بينهنّ ومن يهوينَ بالكتبِ
وجُمّشتْ[15] بخفيّ اللّحظ فانجمَشَتْ … وجرّتِ الوعدَ بين الصدقِ والكَذِبِ
تَمّتْ فلم يرَ إنسانٌ لها شَبَهاً … فيمَنْ برا[16] اللّهُ من عُجْمٍ ومن عَرَبِ

قال: (فلا واللّهِ، ما قدرتُ على جاريةٍ فيها بعض ذلك).

* * *

حدّثَ الصّلتُ، قال:

كنّا عند سفيان بن عُيَيْنة، فذكروا قول مالك بن دينار: «وامّا إبليس[17] واللّهِ لقد عصي فما ضرّه، ولقد أُطيعَ فما نَفع» فقال له رجل: (إنْ اذنتَ يا ابا محمّد انشدتُكَ لهذا العراقيّ، يعني أبا نوّاس، في هذا المعنى شيئاً)، قال: (هاتِ)، فأنشده:

---

(١٣) هامش توضيحي للناسخ في ا: [ابعث لي]. (وابغني: اطلبْ لي).
(١٤) الكشْخ: القوادة.
(١٥) جُمّشتْ: غوزلتْ، دوعبتْ.
(١٦) برا (برأ): خلقَ.
(١٧) ا: وما. ب: فأما. ج: واما.

ـ شعر ـ

عجبتُ من إبليسَ في كبْرِهِ وخُبْثِ ما اظهَرَ من نيّتهْ
تاهَ على آدمَ في سجدَةٍ وصارَ قوّاداً لذُرّيتِهْ

فاستضحكَ سفيان وقال: (وأبيكَ، لقد ذهبَ مذهباً، وما تنفكّ عن مُلْحَةٍ تأتينا عن هذا الشّاعرِ).

* * *

قال أبو منصور الثّعالبي:

ومن أحسن ما سمعتُ في قواد قول السرّيّ الموصليّ في رجل اسمه إدريس:

ـ شعر ـ

من ذم إبليس في قيادته فإنني شاكرٌ لإدريسَ
كلّمَ لي عاصياً فصار له اطوع من آدمَ لإبليسَ
وكان في سرعة المجيء به آصفُ[18] في حمل عرشِ بلقيسَ

وقال حميد بن ثور، وهو من جيّدِ ما قيل في هذا الباب:

ـ شعر[19] ـ

خليليّ إنّي مشتك ما اصابني لتستيقنا ما قد لقيتُ وتعلما
فلا تفشيا سرّي ولا تخذلا اخاً ابثّكما منه الحديث المكتّما
لتتخذا لي، باركَ اللّهُ فيكما إلى آل ليلى العامريّة سلّما
وقولا إذا جاوزتما ارض[20] عامرٍ وجاوزتما الحيَّين: نَهْداً وخَثْعما

---

(١٨) آصف: كاتب النبي سليمان، وهو الذي دعا اللّه بالاسم الاعظم فرأى سليمانُ العرشَ مستقرّاً عنده.

(١٩) فيما يلي النصّ تبعاً لما ورد في نسخة أ، بالمقارنة مع النصّ نفسه في (ديوان حميد بن ثور الهلالي ـ تحقيق عبدالعزيز الميمني، القاهرة ١٩٦٥ م). أما ما ورد في نسختي ب، ج فهو بمجمله ناقص ومحرّف، ولذا فإنّ إدراجهما لا يغني بقدر ما يربك، فاستغنينا عن ذكرهما هنا. (م).

(٢٠) في الديوان: آل.

نزيعانِ[٢١] من جرمِ بن ريّان إنّهمْ ... ابوا انْ يميروا[٢٢] في الهَزاهِزِ مُحجمًا
وحثًا على نضوين مكتفليكما[٢٣] ... ولا تحملا إلّا زنـاداً[٢٤] واسهمـا
وزاداً غريـضاً[٢٥] خفّفاه عليكما ... ولا تبديـا امراً[٢٦] ولا تحملا دمـا
وإنْ كان ليلًا فالويـا نسبَيْكما ... وإنْ خفتما ان تُعرفا فتلثّما
[وقـولا خرجنا تاجرين فابطاتْ ... ركابٌ تركناها بتثليث قيّما][٢٧]
ولو قـد اتانا بزُنا[٢٨] ودقيقُنا ... تموّل منكمْ مَنْ رايناه[٢٩] معدما
ومدّا لهم في السّومِ حتى تمكّنا ... ولا تستلجّا صفقَ بيعٍ فتُلزما
فانْ انتما اطْمَأْنَنْتما فامنتما[٣٠] ... واجلبتمـا[٣١] مـا شئتما فتكلّمـا
وقولا لهـا: ما تامرين بصاحب ... لنا قد تركتِ[٣٢] القلـبَ منه متيّما؟
ابيني لنا، إنّا رحلنا مطيّنا ... إليكِ وما نرجوه إلّا توهّما[٣٣]

غيـره

عجوزة سوءٍ لا رعى اللّهُ قدرَها ... علـى وجهها للفاحشـاتِ شهـودُ
إذا طَمَثَتْ قادتْ وإنْ طَهُرَتْ زَنَتْ ... فتلـك التي يُزنـى بها وتقـودُ

* * *

قوّادة فارهـة، كثـيرة التـوصّـلِ
لو شهـدتْ صفّـين او وقعـةَ يومِ الجَمَـلِ

---

(٢١) ا: بربعان، (ونزيعان: غريبان).
(٢٢) يميروا: يريقوا. الهزاهز: الفتن.
(٢٣) الديوان: وسيرا على نضوين مكتنفيهما.
(٢٤) ا: وباداً (ا).
(٢٥) ا: عريضاً، (والغريض: الطريّ من اللحم والتمر ونحو ذلك).
(٢٦) ا: مرّاً. وفي الديوان: ولا تفشيا سرّاً.
(٢٧) البيت اضفناه من الديوان ليستقيم السياق. (وتثليث: موضع بالحجاز قرب مكّة).
(٢٨) في ا: زادُنا ودقيقنا. وفي رواية اخرى (ورقيقنا)، وهي رواية مُستكرهَة.
(٢٩) الديوان: اتيناه.
(٣٠) الديوان: وأُمنتما.
(٣١) ا: واخليتما.
(٣٢) ا: تركنا.
(٣٣) الديوان: تلوّما.

توصّـلتْ بالصّـلحِ ما بين ابـنِ هنـدٍ وعـلي

* * *

غيره، للمأمون رحمه الله تعالى

بعثتُـكَ مرتـاداً[٣٤] ففـزتَ بنظرةٍ — واخلفتني حتـى اساتُ بـكَ الظنّا
وناجيتَ مـن اهوى وكنتَ مقرّباً — فيا ليتَ شعري عـن دنوّكَ ما اغنى
وردّدتَ طرْفاً فـي محاسنِ وجهها — ومتّعتَ باستسمـاعِ نغمتها اذنـا
ارى اثراً منها بعينيكَ لم يكنْ — لقـد سرقتْ عيناكَ مـن وجهها حُسنا

* * *

ومنْ هؤلاء الأرسال مَنْ يميل للمعشوقة وتميل اليه فيتآلفان ويتركان العاشق المُرسِل.

حدّث الرّياشيّ قال:

كان ابو ذؤيب يهوى امرأةً من قومه، وكان رسوله اليها رجلاً اسمه خالد بن زهير، فخانه فيها فصادقها، فقال أبو ذؤيب يخاطبها وخالدَ:

ـ شعر ـ

تريدين كيمـا تجمعيني وخالداً — وهل يُجمعُ السّيفان، ويحكِ، في غمْدِ؟
أخالدُ مـا راعيتَ منّي قرابـةً — فتحفظني بالغيبِ أو بعضِ ما تُبْدي

فأجابه:

فلا تجزعنْ[٣٥] من سُنّةٍ إذْ سننْتَهـا — فاوّلُ راضي[٣٦] سنّـةً مَنْ يسيرُها
ألمْ تنتقذها من يـدِ ابن عويمرٍ — وانتَ صفيُّ نفسِهِ ووزيرُهـا؟[٣٧]؟

---

(٣٤) المرتاد: طالب الشيء ومفتقده.

(٣٥) ا: لا تجزعن. ب: فلا تجزعن. ج: قد تجزعن.

(٣٦) ا، ج: راض.

(٣٧) كان ابو ذؤيب يبعث ابن عم له، يقال له خالد بن زهير، إلى امرأة كان يختلف اليها، يقال لها ام عمرو، وهي التي كان يشبب بها، فراودت الغلام على نفسه فابى ذلك حيناً وقال: اكره أن يبلغ ابا ذؤيب. ثم طاوعها، فقالت: ما يراك إلا الكواكب! فلما رجع إلى ابي ذؤيب قال: والله انى لأجد ريح أم عمرو فيك! ثم قال فيه ما قال فردّ عليه خالد بهذه القصيدة:
فانّ التي فينا زعمتَ ومثلها — لفيك، ولكنّي اراك تجورها =

وقال عليّ بن الجّهم يصف قوّاداً[٣٨]:

ـ شعر ـ

فاطلقْ يداً في بيته بتفضّلٍ ... وعفّ عن المولى وما شئتَ فافعلِ
اشرْ بيدٍ واغمزْ بطرفٍ ولا تخفْ ... رقيباً إذا ما كنتَ غير مبجّلِ
وِنكْ غيرِ ممنوعٍ وقلْ غير مسكتٍ ... ونمْ غير مذعورٍ وقمْ غير معجلِ
لكَ البيتُ ما دامت هداياك جمّةً ... وكنتَ مليّاً بالشّراب المعسّلِ
تُصان لكَ الابصار عن كل منظرٍ ... ويُصغى مليّاً في الحديث المفصّلِ

* * *

أبو هلال[٣٩] العسكريّ في مدح قوّاد:

ـ شعر ـ

تكادُ لو لم تكُ أنسيّةً ... تجري من الانسان مجرى الدّمِ
لا تُعصم الحسناءُ من كيدِها ... ولو توقّتْ في الدّنا المعظمِ

* * *

مصنّف الكتاب:

مغناكَ اغناكَ عن ارضٍ تُيمّمها ... لكسبَ مالٍ، فلا تبرح به ونمِ
فسوف تاكل فيه كسبَ كلُّ فتىً ... من سائر الناس من عُربٍ ومن عجمِ
ربعٌ تعدّى لما تلقى بساحتهِ ... من لذّةٍ وانبساط سائر الامـمِ

الم تتنقذها من ابن عويمرٍ ... وانت صفّي نفسه وسجيرها؟
فلا تجزعن من سنّة انت سرتها ... فاول راضي سنّة مَن يسيرها.

(شرح اشعار الهذليّين. للسكّري، جـ ١، تحقيق عبدالستار أحمد فراج ـ بيروت).

(٣٨) ندرج هنا الأبيات حسب مخطوطة ا.

وفي ديوان علي بن الجهم:

فاعمل يداً في بيته وتبذّلنْ ... واياك والمولى وما شئت فافعلِ
اشر بيد واغمز بطرف ولا تخفْ ... رقيباً إذا ما كنت غير مبخّلِ

....

وسل غير ممنوع وقل غير مسكتٍ ... ونَمْ غير مذعور وقم غير معجلِ
لك البيت ما دامت هدايك جمّة ... ودمت مليًا بالشراب المفسّلِ
تُصان لك الابصار عن كلّ منظر ... ويُصغى اليك بالحديث المفصّلِ

(ديوان علي بن الجهم، تحقيق خليل مردم بك، لجنة التراث العربي ـ بيروت ١٩٥٩).

(٣٩) ا، ب: ابن هلال.

وكلّ ما فيه ممنوع ومحترمُ   فلا سبيل به إلّا إلى الحرمِ

* * *

ولغيره

ايا ملكاً حاز العُلى والمكارما   اترضى بغيري، في الأنام ، مُنادِما؟
وعندكُمُ مَنْ لا يثقّل ظلّهُ   فإنْ شئته ملهىً وإنْ شئتَ خادما
بتصفية الرّاح الغليظة حاذقاً   وتعبئة الرّيحان والنُّقْل عالما
ينام إذا رقَّ الكلامُ تغافلاً   وإنْ هو لم يطرقْهُ نومٌ تناوَمَا

* * *

ومن أسماء القوّاد: القَرْنان.

اجمع ائمّةُ اللّغويين انّه سُمّي بذلك لأنّه يقرن بأهله غيرَه، وقد أكثرتْ شعراء المشرق والمغرب في ذكر ذلك وأوغلوا فيه.

فمن ذلك قول ابن الحجّاج[٤٠] البغداديّ:

ـ شعر ـ

لكَ قرنٌ رقَى النبيُّ إلى اللّه، تعالى، عليه في المعراجِ
قدّروا أصلَهُ فكان على رأسِكَ مع رأسِ قبّةِ الحجّاجِ

* * *

غيره لابن الرّومي

إنّ مَنْ يزعم أنْ ليـ   ـسَ الى ذي العرش سلّمْ
لو راى قرنَكَ هذا   لاستحى أنْ يتكلّمْ[٤١]

* * *

---

(٤٠) أ: ابن حجاج.

(٤١) أ: على اليمين حاشية للناسخ: [لا جزى الله قائله خيراً، ما اشد جراته على ربّه!]. والنصّ في ديوان ابن الرومي:

يا نبيّ الله في الشعر ويا عيسى بن مريمْ
انتَ مِنْ اشعر خلق الله ما لم تتكلّمْ
إنّ مَنْ يزعم انْ ليس الى العَيُّوق(*) سلّمْ
لو راى قرن الحرنّيش استحى ان يترمّمْ

(ديوان ابن الرومي، تحقيق دكتور حسين نصّار، مطبعة دار الكتب، ١٩٧٧). (*) والعَيّوق: كوكب أحمر مضيء بحبال الثريّا من ناحية الشمال ـ (لسان العرب، مادة عوق).

وله في المعنى ما هو أشنع من هذا، مما يجب أنْ يُفكّر به، وهو:

ـ شعر ـ

إنّ ابنَ حمدون ذو قرونٍ شمخنَ في راسه، طوال
لو انّها في زمان موسى اغنتْ عن الصرحِ ذي المِحال[42]
وكان فرعون قد تدلّى منها إلى اللّهِ بالحبالِ[43]

* * *

وله في قوّاد بخيل:

لو انّ كفَّكَ رِجْلُ عرسِكَ كنتَ في افضالِ حاتِمْ
او رِجْلها يدكَ المَشومة كنتَ من قرنيكَ سالِمْ

* * *

الصّقلّي:

على راسه قرنٌ إذا كان جالساً يجوز به الجوزاء أو ينطح النطحا[44]
فحمرة آفاق السماء بأسرِها دليلٌ على انّ النجومَ به جرحى

* * *

الشّريف المخزومي:

وجوهٌ تعزُّ على معشرٍ ولكنْ تهونُ على الشّاعرِ
قرونهمُ مثل ليلِ المحبِّ وليل المحبِّ بلا آخرِ

* * *

ولبعضهم:

يا رُبّ مُسْمعةٍ[45] لبعض معارفي فكانّه لا يسأم النّيْكا

---

(٤٢) المِحال: العقاب، وهو اشارة لما ورد في القرآن (وهو شديد المحال) سورة الرعد ـ آية ١٣.

(٤٣) هامش للناسخ في ا: [هذا كفر صراح، فعلى مصنّفه لعنة اللّه، وحاكي الكفر ليس بكافر].

(٤٤) هامش للناسخ في ا: [والنطح والناطح: السرطان، منزلتان من منازل القمر].

(٤٥) المُسْمعة: المغنيّة.

قُمريّة[٤٦] في لونِها لكنّها   تخِذتْ غصونَ قرونهِ ايْكا[٤٧]

* * *

ابن الرومي:

لــه قرون شمختْ في العُــلا   اطالهــا ربُّ الــبريّــاتِ
يسترقُ السّمعَ علــى قرنــهِ   إبليسُ في جــوِّ السمــاواتِ

* * *

حدّث ابن عليّ المبرّد قال:

كان سليمان بن وهب يكتب لموسى بن معاذ، وكان يعشق مملوكاً لموسى، فخرج موسى ذات يوم متصيّداً ومعه أبو الخطّاب الكاتب، فورد أمر احتاج فيـه الى سليمان فأمر أنْ يُستدعى به، فقال أبو الخطّاب لذلك الغلام: (بادرْ الى سليمان فاحضرْه)، فركض اليه. فلما حصل لديه تلطّف له حتى سمع ونال منه ما أحبَّ ونهض معه إلى متصيّد موسى وامتثل أمره، فلمّا كان من الغد كتب اليه أبو الخطّاب يقول:

ـ شعر ـ

لا خيرَ عنــدي في الخــليــلِ ينــامُ عن سهْــر الخــليــلِ
هل تشــكــرنْ لِيَ الغــداةَ تلطّفــي لكَ فيَ الرّســول؟
إذْ نحــنُ في صيــدِ الجبــالِ وانتَ في صيــدِ السهــولِ[٤٨]

* * *

وأهل العراق يكنون عن القوّاد بالنقيب.

انشد الصاحب بن عبّاد:

---

(٤٦) القمريّة: نوع من الحَمام.

(٤٧) الأيك: الشجر الملتفّ الكثيف.

(٤٨) في كتاب (الفكاهة والائتناس في مجون ابي نؤاس) ترد الحكاية بنسبة الشعر الى ابي الأخطل بدلاً من ابي الخطاب، مع إضافة لبيت يلي البيت الأول:

قولوا لاكــفــر مَنْ رايــتُ لكــلِّ معــروفٍ جليــلِ

«راجع ـ طبعة مصر ١٣١٦ هــ، ص ٢٥٦».

يـا ابنَ يعقوب يا نقيبَ البدورِ كنْ رسولي الـى فتىً مسرورِ[٤٩]
قـلْ لـه إنَّ للجمـالِ زكاةً فتصدّقْ بـه على الجُمْهـورِ[٥٠]

* * *

ومن أبدع وأبلغ ما قيل في هذا المعنى:

ـ شعر ـ

يسهّل كـلَّ محتجب منيـعٍ ويأتي بـالمُرادِ على اقتصـادِ
فلـو كلّفتهُ تحصيلَ طيـفٍ الخيالَ ضحىً، لـزار بلا رقـادِ

* * *

(٤٩) أ: مسروري (!).
(٥٠) أ: الجمهوري. ب، ج: المهجور.

الباب الثالث

في شروط الزّناة وعلامات القحاب

أوّلُ شروط الزّاني: أنْ يكون شاباً، فإنْ كان شيخاً رأى في نفسه النَّكَال وعرّضها لنتفِ السِّبال[1]. ويكون صغير اللحية، فإنْ كان كبيرها بالطّبع، فلا بُدّ له من تقصيصها والأخذ منها وتسويتها. والسّبب في ذلك أنّ النسوان إنّما يعشقن الأحداثَ من الرّجال، فإنْ لم يكن للرجل لحية أصلاً فهو مُنى قلبِ المرأة وغاية سُولها[2].

قال أبو تمّام:

احلى الرّجال من النساءِ مواقعاً   مَنْ كان اشبههمْ بهنّ خُدودا

فإذا كان الرجل طاعناً في السنّ، كثَّ اللحيةِ، ردّ نفسه، بالخضاب والأخذ من شعر الوجه، إلى القرب من شَبَهِ الأحداث.

ومن شروطه: عطارة الرائحة، وهو أمر مهم في هذا الباب. وسبب ذلك أنّ الرائحة العطرة تهيج شبق المرأة وتحدث لها شهوة عالية.

ومن شروطه: أنْ يكون نظيف الثياب حسنها إنْ أمكنه، فانّ المرأة تعشق الرجل في الثوب الذي يشاكله.

وأنْ يستكثر من الحمّامِ واستعمال الحنّاء في شعره، فقد قالت الحكماء: «إنّ رائحة الحناء في الشعر تهيج قوى المحبة». وللحناء في

---

(١) السبال: مُقدّم اللحية.

(٢) سولها: مطلبها.

الشَّعر خاصيّة عجيبة من العطارة وتفوق رائحة المسك لمن تأمّل ذلك.

وأنْ يستعمل السِّواك والدهن، وأنْ تكون له تُحَفٌ لطيفة ظريفة مما يتهادى لها، حسنة المنظر، قليلة الثمن، معدّة عنده ومعه.

وأنْ يكون من معارفه عجوزة قوّادة يتعاهدها بالاحسان والافتقاد. وأنْ يكون رقيق القلب، سريع الدمعة، قادراً على البكاء متى شاء. ليكون متى أمكنه الكلام مع محبوبه شكى انّه هالك من الوَجْد، متجاوز في ذلك الحدّ ثم استعبر. فإنّ ذلك إذا اتّفق من الرجل في خلوةٍ مع امرأة، لا سيّما إنْ كان على الشروط المتقدمة، فانها أطوع له من إحساسه، وأقرب لمراده من رجْعِ أنفاسه.

* * *

قال إسحاق بن إبراهيم الموصليّ:

شَيْبٌ وغانيةٌ بدار إقامةٍ لا تستوي السوداءُ والبيضاءُ
قلْ لابن جَلْوةٍ لو أنّكَ امرؤٌ ما آذنتكَ ببينها اسماءُ

* * *

وقال:

عَنَّت[3] لي في بعض الطرقات جارية استملحتها فكلّمتُها، فولّتْ عني ومرّت بين يدي غير حافلة بي ولا ملتفتةٍ إليّ، فتبعتها حتى وافتْ بابَ قصرٍ شاهقٍ، فأخذتْ بعضادتيه[4] ثم كشفتْ عن وجهٍ كالقمر، وأنشأتْ:

ـ شعر ـ

أألآن لَمّا علاكَ الجَلاءُ[5] وابصرتَ في العارضين القتيرا[6]
وبانَ الشّبابُ بلذّاتهِ فولّى، واصبحتَ شيخاً كبيرا

---

(٣) عنّ: ظهر امامه واعترض. وفي ا، ج: غنّت.
(٤) عضادتا الباب: خشبتاه من جانبيه.
(٥) الجلاء: ابتداء الصلع.
(٦) هامش للناسخ في ا: [أي الشّيب].

تطرّيتَ واحتجتَ للغانياتِ؟ فهيهاتَ[7]! حاولتَ امراً عسيرا

ثم أغلقتْ البابَ ودخلتْ، فانصرفتُ مخزيّاً كمَنْ دخل النار.

* * *

بعضهم:

ماذا لقيتُ من الشّباب وعيبه؟ واشدّ ما في العيب شيبٌ مقبلُ

فاذا اشرتُ إلى الفتاةِ بقُبلةٍ اومـا إليها شاربي لا تفعلُ

* * *

وله:

راتْ طالعاً للشّيب اغفلتُ قصّهُ ولم تتعهّدْهُ اكفُّ الخواضب

فقالتْ: اشيباً ارى؟ قلتُ: شامة فقالتْ: لقد شامتكَ عند الحبايبِ

* * *

فإنْ كان لا بدّ للشيخ من الاشتغال بهذا الطريق فلا مفزع له إلّا المغالطة بالخضاب والكذب والتزوير على الشّباب.

ذكروا أنّ امرأة سألت أحمد بن الخصيب حاجةً وقالت له: (إنّ لكَ بها عندي هدية نفيسة)، فلما قضاها أعطته صرّةً فيها خضاب وقالت له: (غيّر بهذا بياضَ لحيتك، فلرسل عَذِرَة[8] على صدر إحدانا أسهل عليها من لحية بيضاء).

* * *

قولُ أعرابيٍّ في صفات الزّناة:

ـ شعر ـ

ماذا يُظنّ بسلمى إنْ المّ بها مرجّلُ الراس ذو بُردين مِزّاحُ؟

حلوٌ فكاهته، خزٌّ عمامتهُ في كفّهِ من رُقى ابليس مفتاحُ

* * *

(7) ا، ب، ج: هيهات. وقد اضفنا الفاء لتقويم البيت.

(8) العذرة: الغائط.

وأمّا علامات المرأة

فعـلامتها في الرجل الأجنبيّ ومحبّتها له فانْ تراها إذا تحدّث معها تديم النظر اليه، وأنْ يعتريها تثاؤب، وأنْ تعبث بطرف ثوبها أو إزارها كأنها تقلّبه، أو تنكث باصبعها الأرض، أو تحرّك إبهام رجلها بأنْ ترفعه وتضعـه في الأرض، وأنْ تنـظّف جسـدَ ولدهـا وثيابه وتمشّطه وتكحّله وتعرضه عليه، وأنْ تكثر ذكره والحديث عليه مع صاحباتها وجاراتها، وأنْ تضجر ويسوء خُلُقُها بغير سبب إذا غاب عنها خبرُه، وإنْ كانت له زوجة أنْ تصادق زوجته وتكثر زيارتها، وإنْ راتْ في بيته شيئاً من خاصّ أسبابه أنْ تأخذه في يدها وتتولّع به، وإنْ وجدت فِراشَه استلقتْ عليه ولعبتْ فيه.

* * *

الباب الرابع

في القِحابِ المتبذّلات
ونوادِر أخبارهن
وملح أشعارهنّ

أصناف القحاب المتبذّلات سبعة، وهن:

[١] الغيرانة

[٢] والسّكرانة

[٣] والحيرانة

[٤] والشاطرة

[٥] والمسافرة

[٦] والمغنيّة

[٧] والمظلومة.

* * *

[١] أمّا الغيرانة

فهي فاجرة تتلحّف بإزارٍ التحافاً مُلَهْوَجاً[١] وتتنقّب تنقّباً غير مُحْكَم، وتُظهر في مشيتها اضطراباً وتتصفّح وجوه الرجال، فاذا رأت رجلاً استرابها وطمعتْ في تحصيله قربتْ منه مارّة عليه ثمّ قالت بحيث يسمعها، وهي تُوهم أنّها لا تُسمعُ: (اللهمّ إلعن الشّيطان، كنتُ أكون مثله ويكون لَبَني كلَبَنه، اللهمّ اهدني ولا تضلّني)، ثم تذهب وترجع كالعائبة

(١) مُلَهْوَج: غير مُحْكم.

على نفسها واللائمة لها. فيعجب الرجل من حالها ويقول لها: (ما شأنكِ أيّتها المرأة؟)، فتقول له: (ومالَك والسؤال عمّا لا يعنيك؟ دعني فيما قضى اللّه عليّ)، فيلحّ عليها فتقول له: (أنا امرأة ذات بعل، واللّهِ ما عرفتُ قط غيره ولا انكشفتُ لمخلوق سواه، وهو رجل قليل المروءة، ميّال للزنا، فلمّا كان الآن خرجتُ من منزلي للحمّام ثم عدتُ والباب مفتوح فوجدتُ معه امرأةً على فراشي، رأيتُهم من حيث لا يروني، وأنا امرأة غيرانة شديدة الغيرة، فخرجتُ على وجهي وآليتُ على نفسي ألّا أعود إلى منزلي حتى أفعلَ مثل فعله، ثم رجعتُ على نفسي بالملامة ولعنتُ الشيطان وقلتُ أكون خيراً منه).

ثم تنصرف عنه، فلا بدّ له أن ينشأ في قلب الرجل من كلامها شهوة، فيتبعها ويستعيدها فتأبى، فيلحّ عليها ويبذل لها أضعافَ ما تستحقّه مثلها ويطمع في دوام صحبتها بما ينشأ[٢] في قلبه من الشّهوة لها، فتعود معه على نيل ما تطمع فيه من قلبه.

* * *

[٢] وأمّا السّكرانة

فهي فاجرة تشرب أقداحاً من الخمر بحيث أنْ تظهر عليها رائحة الخمر ثم تخرج فتعمل في مشيتها التساكر وتتوسّم الرجال، فاذا أبصرتْ مَنْ تظنّ فيه حصول أرَبها تبعته إلى شارعٍ منقطعٍ ثم جاءته من تلقاء وجهه فضربتْه في صدره بكفّها ضربةً عظيمةً وقبضتْ على مجامعِ أطواقه ثم تمايلت تمايل السكران الطافح ثم قالت له: (يا فلان!)، بكُنْيَةٍ غير كُنْيَته، كأنّها شبّهتْه لغلبة السّكر عليها (يا خائن يا غدّار، عشقت فلانة كأنّها خير مني، وظننتَ أنّي ما عرفتُ بكَ، وتحلف لي الأيمان الفاجرة. والله لا تركتُ عليك ثوباً إلّا مزقتهُ الآن)، وتجذب ثيابه فيقول لها الرجل: (لا تفعلي أيّتها المرأة، فلستُ بهِ وأنتِ غالطة)، فاذا سمعتْ كلامه أظهرتْ

---

(٢) وينشأ. ج: بما نشأ. ب: دوام ما نشأ.

الخجل والانكسار ومالت كالمغشيّ عليها، ثم تأملتْه وقالتْ: (يا أخي إسترْ ما سترَ اللّهُ، فإنّي سكرانة).

ثم تتركه وتنصرف متحاملةً تقوم تارةً وتقعد أخرى، فيطمع الرجل في تحصيلها على تلك الحالة ويقول: «هذه فرصة وغنيمة مع كونها خفيفة المؤونة لا يحتاج لها طعام ولا شراب، وهي مغلوبة على نفسها يتصرّف الانسان فيها كيف يشاء»، فيتبعها ويستدعيها لمنزله فتأبى عليه وتقول له: (مـا أخونُ صديقي، ولو ما شبّهتُكَ ماتعرضتُ اليكَ)، فيزداد بهذا القول حرصاً وترغّباً ويبذل لها أضعاف ما تستحقه بغير هذا الطريق، فتساعده بعد تحصيل ما ترومه منه.

* * *

[٣] وأمّا الحيرانة

فهي فاجرة تقصد دور العزّاب والغرباء، فاذا علمتْ أن غريباً في دارٍ قرعتْ عليه باب الدار، فإنْ كان الباب غير مقفول فتحتْه ودخلت الدهليزَ ثم قالت: (يا أُمّ فلان!)، لاسمٍ مجهول، فاذا خرج الرجل ووجدها[٣] في الدهليز مكشوفة الوجه سترتْ وجهها ثم تأملت الدهليز كالمنكرة له وقالت: (ويلي[٤]! ما هذه الدار؟)، فيقول لها الرجل: (ما حاجتُكِ؟)، فتقول له: (أنا منذ اليوم أطلب دار أُمّ فلان وقد غلطتُ بالدار، فباللّهِ دلّني عليها)، فيقول الرجـل بما اتّفق له من التعزّب وخلاء المنزل ومحادثة المرأة في الخلوة: (فادخلي حتى تذكري حاجتكِ فأقضيها)، فتأبى وتروم الخروج فيجذبها، فتحصل منه أملها على شرطها ومرادها فتدخل.

* * *

[٤] وأمّا الشّاطرة

فهي فاجرة تخرج من بيتها حافيةً وتستعمل سرعة السير، فاذا أبصرتْ

---

(٣) ا: وجدها.

(٤) ا: ولي. ب: يا ويلتي. ج: يا ويلي.

مَنْ تتوسّم فيه حصول بُغيتها حاذته، ثم تقول بحيث يسمعها: (لعنَ اللّهُ الرجالَ ما أقلّهم مروءة!)، فينكر الرجل عليها هذا القول ويقول لها: (ويحكِ! كيف تطلقين لسانَك بلعنة المسلمين؟). فتقول له: (إسكتْ هذا شيءٌ ما يلزمكَ، لو علمتَ ما تَمّ لي لعذرتني)، فيقول لها: (وما تَمّ عليكِ؟)، فتقول له: (أتعرفُ فلانَ البزّازَ، أو العطار؟)، وتسمّي له رجلاً مجهولاً أو معروفاً، فيقول لها الرجل: (أعرفُه)، فتقول له: (اليوم يتبعني كذا وكذا شهر ويبذل لي الرغائبَ فلم يجدْ قطّ منّي لمحةً، فلمّا غلبني بالجميل وقيّدني بالاحسان اذعنتُ له فاستدعاني إلى منزل أعدَّ فيه طعاماً وشراباً وفاكهة، ثم خرج فدخل عليّ برجلٍ آخر من أصحابه فظننتُ أنّه نديم أو صاحب المنزل، فما كان بأسرع من أنْ مدّ يده إليّ يتلاعب عليّ، فأظلمتِ الدنيا في عيني وقلتُ: لولا أنّي طاوعتُ هذا الفاعل، الصّانع، ما نظرَ لي بعينِ مَنْ يشارك فيها.

فاستغفلتهم، ثم سرقتُ إزاري وخرجتُ حافيةً من غيرِ أنْ يعلم بي أحد منهم، كما تراني، ولم ينل أحدٌ منهم غرضاً، فباللّه ما أنا شاطرة؟)، فيقول لها: (إيْ واللّهِ يا ستّي، إلاّ أنّه يجب الاّ تقطعي لذّتكِ وانْ تصليها عندي)، فتأبى عليه وتقول له: (لولا أنّ ذلك الرجل له يتردّد الدهر الطويل ما ظفرَ منّي بهذا)، فيقول لها: (هذا شيء جاء على الخاطر).

ولا تزال تتمنّع منه ويرغّبُها حتى يبذل لها فوق ما تستحقه، فتطاوعه.

* * *

[٥] وأمّا المسافرة

فهي فاجرة تخرج من المدينة إلى بعض القرى المتصلة بها، فإذا صارت في القرية اكترتْ منها حماراً إلى المدينة وأخذتْ خُرْجاً فجعلت فيه كِشْكاً[٥] وحمّصاً وعدساً وبيضاً وأشباه ذلك مما يُجلب من قرى المدينة وضياعها، ثم ركبتِ الحمار وقفلتْ إلى المدينة وتوسّمت الناس في الطريق،

---

(٥) الكِشْك: طعام يتخذ من نقيع البرغل باللبن.

فإذا أبصرتْ شاباً من أهل المدينة تظنّ به العزوبيّة والميل اليها قربت منه وشاكلته حتى يجاذبها الحديث فتلين له وتتحدث معه فيسألها من أين أقبلتْ، فتـذكر له انّها امرأة الجنديّ فلان مُقطِع القرية الفلانيّة وأنّها خرجت معه لضيعته وأتتْ منها هذا اليوم بما هو صحبتها، ممّا أهداه[٦] لهم فلاحو القرية ثم تطمعه في نفسها، فحينئذ يستدعيها لمنزله فتفعل بعد تشدّد عظيم، فاذا صارت في المنزل قالت له إنّ جيرانها وأهل منزلها يظنّون أنّها في القرية، وتذكر له أنّها يمكنها أنْ تقيم عنده ما شاءت بهذا الظنّ.

فيغتبط الرجل بها كون أنّها امرأة فلان الجنديّ وأنّه اغتالها[٧] عنه وعن أهلها وامسكها مدّة، فتقيم عنده أيّاماً كثيرة بجدر متجدّدٍ كلّ يوم، حتى تأخذ منه فوق أملها.

* * *

[٦] وأمّا المغنيّة

فهي فاجرة تقصد دكّان بزّاز أو عطّار أو غير ذلك، فتجلس فيه على أنّها تشتري منه شيئاً وتتردّد له مرّات حتى يستأنس بها. ثم تجالسه وتشاكله ويشاكلها فيسألها: هل هي عزبة أم متزوجة، فتعرّفه أنّها متزوجة إلاّ أنّ بعلها غائب.

فيزداد طمع الرجل فيها ويكثر تعرّضه لها، فتجيبه بعد امتناع وتشدّد وتواعده إلى منزلها، فإذا أتى المنزل وأعدّ ما يحتاج اليه من الطعام والشّراب والفاكهة وقبضت منه الجدر أمهلتْ أنْ يتسلّخ[٨] من ثياب تجمّلهِ ويجلس في ثياب الشّرب ويتناول أقداحاً يظهر عليه بها أثر النبيذ، ثم يأتي

---

(٦) ا: هداه.
(٧) اغتال (المرأة): اتاها وهي ترضع ولدها اووهي حامل، وهي هنا بمعنى (قطعها) او (أخذها) منه.
(٨) يتسلّخ: يتجرّد من ثيابه.

رجل كانت قد واطأته فيقرع الباب بعنف، فتنظر من الطاق ثم تلطم وجهها وتقول: (بعلي جاء من السفر)، فيقول الرجل: (ما الحيلة؟)، فتقول له: (هلمّ بسرعة)، فتخرجه إلى بيتٍ في الدهليز معدّ لذلك وتقول له: (كنْ ههنا حتى أنظر ما أصنع)، فيدخل فيه. ثم يدخل الرجل فينظر إلى الشّراب والفاكهة وينكر ذلك ويسأل عنه فيقول: (مَنْ كان معكِ؟)، فتقول: (ما كنتُ إلّا وحدي)، فيضربها ثم يقول: (ها أنا[9] افتّش جميع هذه[10] الدار حتى أرى إنْ كنتِ وحدكِ). فإذا سمع الرجل ذلك لم يتمالك أنْ يفتح الباب ويفرّ ويترك ثيابه وجميع ما غَرِمَ في الدار، فتعطي الرجلَ الذي واطأته أجرةً يسيرةً وتفوز بالجميع.

* * *

[٧] وأمّا المظلومة

فهي فاجرة تقصد دور العزّاب أيضاً، فترصد باباً مفتوحاً أو صاحب الدار جالساً في الدهليز، فتهجم على[11] الدار وتقول: (إسترْ ما سترَ اللّهُ)، فيسألها عن أمرها فتذكر له أنّها كانت مع نساءٍ غيرها في دار مع رجال يشربون وأنّ الشرطة دخلوا عليهم، وأنّها فرّت من أيدي الشّرطة.

فيقول لها: (أدخلي، الدارُ دارُكِ!)، فتدخل. فاذا راودها عن نفسها امتنعتْ وقالت له: (ما هذه مُروءة ولا فتوّة ولا فعل الأحرار، أنا حرمتُ بداركَ واستجرتُ بكَ وحصلتُ في كنفكَ وتحت جناحِكَ فلا يجوز لكَ أنْ تحملني على ما أكره، ولا أنْ تمدّ يدكَ إليّ إلّا برضاي، وما أنا معتادة بهذا، ولولا أنّي ابتليتُ بمحبّة هذا الرجل الذي كنتُ عنده ما وقعتُ فيما وقعتُ فيه)، فلا يسعه إلّا القيام بواجب الفتوّة والوفاء بحقّ المروءة ويتركها، ثم تدعوه الخلوة وحديث المرأة وذكر المقام الذي كانت فيه وعشقها الرجل

---

(٩) م: هانا. ج: انا.
(١٠) م: هذا.
(١١) على: ناقصة في ا. وفي ب، ج: عليه.

الذي كانت عنده والطمع في تعشّقه، فيرجع معها إلى السؤال والارغاب والبذل لما يرضيها، فإذا حصلتْ على ما ترضاه أطاعته.

* * *

فهذه أصناف القحاب المتبذّلات ووجوه حيلهنّ على الزناة.

النوادر والأخبار في هذا الباب

جاءت حُبّى[1] المَدَنيّة الى شيخ يبيع اللبن ففتحت وَطْباً[2] فذاقته ثم دفعته اليه وقالت: (لا تعجلْ بسدِّه)، ثم فتحت آخر فذاقته ثم دفعته اليه في يده الأخرى. فلمّا أشغلت يديه جميعاً كشفتْ ثوبه من خلفه وجعلت تصفق بظاهر قدمها إسْتَهُ وخصيتيه وهي تقول: (يا ثارات ذات النِّحْيين)[3]، والشيخ يصيح، وهي تصفق استْه وخصيتيه، وقد اجتمع عليهما الناس يضحكون، فما خلص منها إلّا بعد كدّ وجهد.

* * *

قال رجل زان لامرأة من القحاب: (إنّي أريد أن أذوقَكِ: أنتِ أطيبُ أم امرأتي؟)، فقالت: (سلْ زوجي، فانّه ذاقني وذاق امرأتَك، ليخبرَك).

* * *

بعث أعرابي غلامه إلى امرأة ليوعدها موضعاً يأتيها فيه، فذهب الغلام فأبلغها الرسالة، وكرهت أنْ تقول للغلام ما كان بينهما، فقالت له: (واللّهِ إنْ أخذتُ أذنكَ لأعركها[4] عركةً تبكي وتشتدّ حتى تقيم تحت تلك الشجرة ويغشى عليك الى العَتَمة).

فلم يعرف الغلام معنى هذا الكلام، وانصرف إلى صاحبه فحكى له، فعلم أنّها وعدته تحت الشجرة بعد العَتَمة.

* * *

حكى المدائنيّ قال:

كانت عند رجل من قريش امرأة يحبّها فسافر فقالت له: (أشيّعكَ)،

---

(١) ا: حُبّ. ب، ج: امرأة زانية.

(٢) الوطْب: وعاء من الجلد يجعل فيه اللبن.

(٣) النِّحْي: زقّ السمن. وحكاية ذات النحيين مع خوّات موجودة في الباب الخامس من هذا الكتاب.

(٤) عرك: دلك بشدّة.

فشيّعتــه ثلاث مراحل، فلما مضى قالت لجاريتها: (ناوليني بَعْرةً ورَوْثةً وحَصَاةً)، فناولتها، فألقتْ الرّوثةِ وراءه وقالت: (راثَ خبرُكَ)،

وألقتْ البَعْرةَ وقالت: (وَعَرَ سفرُكَ)،

وألقتْ الحصاةَ وقالت: (حَصّ[٥] اثرُكَ).

فسمعها رجلٌ على الماء، فلحقه فقال: (ما المرأةُ منكَ؟)، قال: (زوجتي وأحبُّ الناس اليّ). فأخبره الخبر، فأقام على الماء فلمّا أمسى أقبل نحو المنزل فوجد معها رجلاً فقتلهما جميعاً.

* * *

قال الأصمعي:

قلتُ لجارية ظريفة: (هل في يديكِ عمل؟)، فقالت: (لا، ولكن في رِجْلي).

* * *

أدخلتِ امرأةٌ من قحاب هذا العصر رجلاً إلى بيتها، فبينما هي معه قرع زوجهــا الباب فأدخلته خزانةً، وجاء زوجها فجلس قبالة الخزانة، وخشيتْ أنْ يقوم فيدخلها لحاجةٍ فيجده. فاستدعتْ جارةً[٦] لها وطلبتْ منها مِلْحَفةً لها وذكرتْ انّها تريد تخرج بها إلى الحمّام، فلمّا أحضرتها قالت لها: (اريد انْ اقيسها بملحفتي، ايّهما أكمل)، فنشرت المِلْحَفَتين وأقامتهما في وجه الزوج، ثم اشارتْ الى الرجل بالخروج، فخرج ومضى والزوج لم يشعر.

* * *

ومن حيلهنّ أنّ المرأة إذا لقيها رجل في طريق واتفقا، ولم يجدا موضعاً، تسـير معه إلى أطراف المدينة وتطلب بيتاً للكراء، وهو معها كأنه بعلها وكـأنهما يطلبان داراً يكتريانها، فاذا دُلّا على دار خالية دخلاها بدالّة

---

(٥) حصّ: انجرد وتناثر.

(٦) ب، ج: جارية.

التقلّب، فيقضيان اربهما ثم يخرجان، إمّا على انّهما يرجعان فيكريان، وإمّا على أنّها لم تصلح لهما.

* * *

قال مؤلف الكتاب:

وقد شاهدتُ نازلةً اتفقتْ في هذا الأمر بمدينة تونس من بلاد افريقية، وذلك أنّه كان بها شيخ كبير السنّ، محتشمٌ، ذو مال واسع وعقار وغيره، عَجَباً في خُلقه وسيرته. وكان مقبوض اليد مغفّلاً أبلهَ، ينتمي إلى دين وأمانة، وكان عدلاً شاهداً مقبولاً عند القاضي، وجيهاً عند السلطان. وكان يتعاطى العربيّةَ ويستعمل الإعراب في كلامه، إلّا انّه خلو من الأدب، بعيد من الفهم والفطنة، وله أخبار عجيبة وحكايات غريبة، نورد منها طَرَفاً يدلّ على حالهِ وخُلقهِ لنجعل ذلك توطئة للحكايات المقصود إيرادها في هذا الباب.

كانت له دار وعلى بابها مسطبة مرتفعة، وقبالها دكّان مُلْك له في فاميّ[7]. وأكثر الأماكن التي تقرب من ذلك الموضع فهو مُلْكه، دوراً وحوانيت، وكان أكثر طعامه الخاصّ به بيضاً، مما يدخل على الفاميّ ويأخذ منه عدّة معلومة كلّ يوم تُصنع لغذائه. وكانت له جارية طبّاخة سمراء مليحة خفيفة الروح مطبوعة تسمّى: سعيدة، تتولّى أخذ البيض من الفاميّ، فيركب بغلته صبيحةَ كلّ يوم ويبكّر الى المجلس الذي للقاضي ثمّ يعود وقت الغداء فينزل على باب داره، وكان أكثر جلوسه في الدهلين، فيحبّ عند نزوله أنْ يعلم هل تيسّر طعامه فيُدخَل اليه، ام لم يتيسّر، فيجلس في الدهليز.

فإذا نزل وقف على تلك المسطبة العالية على قارعة الطريق ويستقبل دكان الفاميّ ثم يناديه باسمهِ، فإذا لبّاه قال له بأعلى صوته: (وصلَ البيضُ؟)، فيهاود[8] عليه الفامي ويقول: (يا مولانا، ما كنتُ في الدكّان

(٧) الفاميّ: البقّال.

(٨) هاوده: مايله وعاوده.

والغلامُ غائب الآن، إسألْ سعيدة)، فيلتفت نحو الدار وهو قائم على الباب ثم ينادي سعيدة، فاذا أجابته قال لها بأعلى صوته: (وصل البيض؟)، فتارةً تقول: (وصل)، فيقول: (حسن)، فيدخل يتغدّى، وتارة تقول له: (ما وصل)، فيلتفت إلى الفاميّ ويقول له: (يا مدبّر، قالت سعيدة ما وصل البيض، أوصلْه لها)، فيقول له: (نِعْم السمع والطاعة عليّ يا مولانا)، والخلائق جائزون. فواحد يضحك، وامرأة إذا سمعت هذا الكلام تقف وأخرى تفرّ، وصبيان يتضاحكون ويقول بعضهم لبعض: «وصلَ البيضُ».

وهذا دأبه كلّ يوم ولا يجسر أحد أن يقول له في هذا حرفاً لانقباضه من الناس وانجماعه عنهم وقلّة مخاطبته لهم من صغره إلى كبره، ومن ههنا أوتي على عقله، فإنّه قلّما يخرج ويتحدّث ويرتاض مَنْ لم يخالط الناس ويشاهد مجاري أحوالهم.

وله مع هذه سعيدة ومع ولد له أيضاً من جنسه، سواء في خَلْقه وخُلْقه وانقباضه عن الناس، حكايات عجيبة ومذهبات غريبة، لم يصدّنا عن إيرادها إلّا خوف الخروج عن غرض الكتاب، وانْ كانت من أعجب العُجاب[9]. ولا بدّ من ايراد طرف منها من المُلَح المذهبات والطرف المغربات.

ولقد كان بهذه المدينة مطرب جيّد الصنعة حسن الصوت، وكان يحضر مجالس الملوك والرؤساء برسم الغناء. فإذا صمت ليستريح من الغناء شرع في أخبار هذا الشيخ يشغل بها المجلس، وكان مليّاً بها مطبوعاً في حكاياتها، فيضحك الجلمود ويفضّل سماعها عن سماع الناي والعود، ويستكفي من الغناء ويطلب بحكاياتها حتى ينقضي أكثر المجلس في ذلك. ولنرجع إلى الحكاية المقصود إيرادها في هذا الباب:

بلغني أنّ هذا الشيخ مرضَ من سقطةٍ أصابته وقد عاده جميع رؤساء المدينة ورجال السلطان، وكان بيني وبينه معرفة نذكر أنّ سببها حقٌّ

---

(٩) ا: العجائب. ب، ج: عجاب.

لوالدي عليه عند السلطان، فعدته فيمَنْ عاده فألفيته مسجّى على ظهره وسعيدة قائمة في المجلس تتصرف عليه وعنده جماعة من العوّاد. وكنتُ كثيراً ما أستدعيها بمحضره، إذا خلا مجلسه، فأسألها عن جُزئيّات أحوالها معه وأصلح بينهما إذا تشاجرا، ويشكوها إليّ إذا منعتْه نفسها، فيرغب لي في استصلاحها له وهي كذلك أيضاً إذا أنكرتْ عليه شيئاً من التضييق عليها في النَفَقة.

فلمّا أردتُ الخروج من عيادته تقدّمتْ بين يديّ في صحن الدار وقالت لي: (علمتَ سببَ سقطته؟)، فقلتُ لها: (لا)، فقالت لي: (بأيّ شيء تخرج؟ إرجعْ واقعدْ حتى يخلو المجلس واسألْه عن ذلك، فإنّ له سبباً غريباً تضحك عليه دهراً طويلاً)، فقلتُ لها: (امّا الرجوع الآن فلا يمكن، لكنّي أعود).

فلم يستقرّ لي قرار حتى عدتُ إليه وقد خلا مجلسه فقلت له: (يا سيدي، ما السبب لهذا المرض؟)، فقال لي: كنتُ جالساً بالأمس في الدهلين، وكان يوم برد وقُرّ شديد وعليّ فرو وبين يديّ كانون فيه نار وقد لففتُ العَرْضيّ[10] على عنقي وبين يديّ مَحْملٌ عليه المصحف الكريم وأنا أقرأ القرآن، فاذا أنا بامرأة، ما أشكّ أنّ الشيطان أرسلها إليّ في ذلك الوقت، وقفتْ على باب الدار كأنّها من نساء الأجناد، شابّة نظيفة الزيّ، فسألتني عن موضع للكري فقلتُ لها: (عندي، واللهِ، مواضع كثيرة خالية. وسببه أنّها يسكنها العزّاب المفسدون فأخرجهم منها، فإنّ المواضع مجاورة لي، وما غرضي أنْ يسكنها إلّا صالح ممّن تطيب عليه النفس)، فقالت: (يا سيدي، أنا ما جئتُ حتى جئتُ معي ببعلي، أقلبّ أنا الدارَ ويعقد الكِراء هو على نفسه)، ثم نادت: (يا أبا[11] فلان!)، فأجابها رجل جنديّ شاب نظيف الثياب فقالت: (تعالَ خذِ المفتاح)، فقلت لها: (رضي

---

(١٠) العَرْضيّ: جنس من الثياب.

(١١) ا: يابا فلان. ب، ج: يا فلان.

اللّه عنكِ، الآن طابت النفس)، وتناولتُ رزمةَ مفاتيح للرَّبع[١٢] معلّقة عند رأسي فأعطيتها منها مفتاحٍ قاعة جيدة قبالة الدار، فأخذا المفتاح وذهبا ففتحا الباب ودخلا، فقرأتُ ثلاثة أحزاب ونصفاً ولم يخرجا وقوي المطر فقلت: «لعلهما قصدا أنْ يكفّ المطر».

ثم كفّ المطر ولم يخرجا فقلتُ: «لعلّهما خرجا ولم أبصرهما ولم تصلح لهمـا الدار»، فقمتُ لأغلق البـاب وآخذ المفتاح، ففتحتُ الباب ودخلتُ فسمعتُ حركـةً في البيت فدخلتُ فوجدته قد قلع باب البيت ووضعه في الأرض والمرأة نائمة عليه ورجلاها مشتالة والرجل بين فخذيها يهزّ، وهذه اللفظة عند المغاربة معناها «يمرّ ويجيء».

(قال):

فبَهتُّ[١٣] وبقيت قائماً أنظر وأعجب كيف اتّفق هذا الأمر وقلتُ: «واللهِ لو كانت هذه زوجته ما تركوا بيتهم وجاءوا يفعلون هذا الفعل ههنا، ولا هؤلاء قطّ إلاّ مفسدون».

فقلت له: (أنتَ يا فاسق يا عدوّ اللّهِ، ما وجدتَ موضعاً تعصي اللّه فيه إلاّ رَبْعي وحلالي الموروث عن الأجداد؟)، فواللّه ما التفتَ إليّ وما قامت الملعونة، وبقي يهزّ كأنّ ما على رأسه أحد قائم حتى أظنّه قد فرغ فقام وشدّ سراويله ثم جاءني فأمسك بجامع العَرْضيّ[١٤] ثم لواه في عنقي حتى إزورّت عيناي وكادت روحي تفيظ، ثم جذبني حتى أخرجني من البيت وقال للملعونة: (اخرجي)، فخرجتْ وهو يلوي الطَيْلسان[١٥] في عنقي فقلتُ له وقد شاهدتُ الموت عياناً: (يا هذا باللّه لا تفعلْ. ما كفى أنّكَ عصيتَ اللّه عزّ وجلّ حتى تقتل النفس التي حرّم اللّه؟)، فواللّه ما التفتَ لكلامي ولا أدركتْه عليّ شفقة، فلمّا علم أنّ المرأة قد فاتت، وكان في وسط الدار بركة

---

(١٢) الربع: الدار.

(١٣) بَهت: دَهِشَ.

(١٤) هامش توضيحي للناسخ في ا: [أي الشدّ]. والشدّ: شال من الحرير يُعتّم به أو يُتّمنطق.

(١٥) الطيلسان: كساء أخضر يلبسه الخوّاص من المشايخ والعلماء.

تخـرّبت واجتمع فيها ماء وطين وحجارة، فجذبني اليه ثم دفعني دفعةً عظيمـةً القـاني على قفـاي في البُركة وخرج فارّاً، فبقيتُ أضطرب فيها كالسمكة ثم تحاملتُ بحرارة الروح، وقد تحطّم ظهري وأجنابي ونجستْ جميع ثيابي وتلف الفرو بالماء والطين وطارت العمامة عن رأسي وتحلّيت[١٦] وسقطتُ في الطين، فقمتُ بحالة لا يعلمها إلاّ اللّه تعالى ووقفتُ خلف باب الدار لئلا أبرز الى الناس على تلك الحالة الشنيعة.

ونظرت من خلل الباب حتى عبر رجل فقلت له: (إدع لي سعيدة من الدار، واذهبْ أنتَ لا تدخـلْ عليّ)، فدعـاها فأبصرتني على ذلك المنظر الهائل وروحي تكاد تروح، فواللّهِ ما زادت الملعونة على أنْ ضحكتْ، فكان ذلك أشدّ من جميع ما أنا فيه، ثم جاءتني بثياب لبستُها وحملتْني الى الدار، وها أنا لا أستطيع اتقلّب من ظهري وأجنابي.

* * *

وممّا يُحكى عن النساء المنتميات لطريق التصوّف:

إنّ رجلاً واقعَ امرأة منهم وهي في الصلاة ساجدة، فلم تتحرك حتى قضى وطره منهـا، ثم أتمّت صلاتها وسلّمت والتفتت اليه فقالت له: (يا بطّال، أظننتَ أنّ شيئاً يشغلني عن الحقّ أو يقطعني عنه؟).

* * *

وقد بلغنني أنّه اتّفق في هذا العصر ما هو أغرب من ذلك.

حدّثني من أثق اليه أنّ رجلاً منتمياً لطريق التصوّف أخبره، قال:

ضمّني مجلس مع امرأة مشهورة بالفقر والزهد، واتّفق أنْ خلا لنا المجلس فأوردتُ عليها شيئاً من الكلام في الطريقة والحقيقة فطربتْ له ثم قامت فقبّلتْ فمي، فلما رأيتُ ذلك زدتُ من ذلك الكلام فزادتْ من ذلك الفعل، فضممتها إليّ وقبّلتها واضطجعنا على جنبنا وفمي على فمها ساعة، ثم مددتُ يدي فحللتُ سراويلها فقالت: (ما تصنع؟ إيّاك أنْ تخرّب ما بينك

---

(١٦)حليت (نفسه): إذا أشرف على الغشي من الم أو غيره.

وبينه، باشِرْ ولا تولِجْ). فلمّا سمعتُ ذلك طمعتُ فيها وباشرتُ ساعةً من خارج حتى علمتُ أنّ غُلمتها[١٧] استحكمتْ ثم أولجته فقالت لي: (إنّما خفتُ عليك أنْ تخرّب ما بينك وبينه، فإذا أردتَ[١٨] فخذْ)، وفتحت نفسها وقالت: (أنا الذي بيني وبينه عامرٌ ما يقدح فيه شيء)[١٩].

لقي زان قحبة في مدينة مرّاكش، فوَلَفها[٢٠] وفي رِجْل الرَجل نعل وقد انفتقَ مقدّمُهُ وخرج رأس إبهامه منه، ونساء مرّاكش خاصّة متهافتات على النبيذ، شديدات الشغف به، لا يحصلن إلّا عليه ومن أجله، فقال لها الرجل: (يا سيّدتي، ما تشربين عندنا اليوم؟)، فقالت له: (حتى تسقي الكلب الذي خرج لسانه من العطش)، وأشارت إلى رِجْله.

* * *

وتعرض بمدينة بجاية[٢١]، من مدن المغرب، زان فقير لامرأة منهن وهي جالســة في طاق، فأَعـرضتْ عنـه لعلمها بحاله فلم ينصرف، وكان زمن القيض وقد لبس الرجل ثوباً خَلَقاً جدّاً قد تهرّا، لم يتماسك إلّا بالنَشَاء، وقـد غسله ونشّـاه وجعّـده وليس معه إلّا السراويل، فلمّا لم ينصرف ضحكت في وجهـه وأطمعته في نفسها وأخذت في يدها تفاحةً تريد أنّها ترميها في حجره، فبادر ووقف تحت الطاق وجرّ ذيله وهيّأ حجره للتفاحة فرمت عليه حجراً كبيراً فنزل بالقميص[٢٢] من كتفيه إلى الأرض، فلم يبق

---

(١٧) الغلمة: الشبق.

(١٨) أ: ردت.

(١٩) من أشعار المتصوّفة المنسوبة للحلّاج قولهم:

فليتك تحلو والحياة مريرة ... وليتك ترضى والأنامُ غضابُ
وليتَ الذي بيني وبينك عامرٌ ... وبيني وبين العالمينَ خرابُ

(ديوان الحلاج، صنعة كامل الشيبي، بغداد، ١٩٨٤)،
ولعل الكلام هنا إشارة لمضمون البيت (المؤلف).

(٢٠) ولفها: رافقها، اتصل بها.

(٢١) بجاية الآن ضمن الجزائر بولاية سطيف على المتوسط.

(٢٢) أ: القمص.

إلاّ في السراويـل، فلم يتمالك أنْ لفّ القميص في يده وولّى فاراً والناس يضحكون عليه.

* * *

واتّفق بمصر أنّ رجــلاً اسكنـدرانيّـاً تعـرّض لامرأة منهنّ في طريق القَـرَافـة[٢٣]، وهي راكبة على حمار مُكارِي[٢٤] مليح، ولهم دواب تسبق الخيـل وتبـاع بالأثمـان العظيمة، وكان الاسكندرانيّ راكباً على حمار ببَرْدَعة[٢٥]، وأكثر أهل الاسكندريّة لا يلبسون السراويل، وكان هذا منهم. فتبـع المرأة فاحتقرته وأعرضت عنه فألحّ عليها ولم ينصرف، فلمّا رأته كذلك الانْت جانبها وأطمعته في نفسها ومالت نحوه فلصق بها يتحدث معها إلى أنْ صار في سكّةٍ عليها خلق من الناس جلوس، فأدخلت رِجْلها تحت ساقه ثم شالته على رجلها ورمته فانقلب عن الحمار على قفاه، رأسه في الأرض ورجلاه في السماء وقد رجع ذيله على رأسه وبقيت عورته كلّها مكشوفة إلى الناس، ثم حرّكت الحمار فكأنّ الأرض ابتلعتها أو السماء رفعتها، فلم يدرِ أين ذهبت.

* * *

ولقي رجلٌ زانٍ ببغداد امرأةً منهن فتعرّض لها فلم تلتفت اليه، فأحبّ أنْ يظهر لها اتّساع حاله، فرد يده إلى رأسه وأخرج من عمامته كاغدة كبيرة فيها قرّاصة[٢٦] ذهب، فقال لها: (تفضّـلي بقبول هذه)، فقالت له: (ما نتعـامل في بلدنا بكامخ)[٢٧]، تعني أنّ رأسه قرعة، وذلك أنّ الكامخ في بغداد إنّما يُجعل في القَرْع المجوّف.

* * *

(٢٣) القَرافة: المقبرة، وهو اسم قبيلة يمنية جاورت المقابر بمصر فغلب اسمها على كل مقبرة.

(٢٤) المكاري: المكترى من الدواب.

(٢٥) البردعة: كساء يُلقى على ظهر الدابّة.

(٢٦) المُقرّص من الحلي وغيرها: المستدير كالقرص.

(٢٧) الكامخ: ادام يؤتدم به.

ودخل أبو نوّاس يوماً على عنان جارية الناطفي فوجدها قد لبست حلّةً خضراء فقال لها: (هل عندكِ علم في تعبير الرؤيا؟)، فقالت له: (أجل)، فقال لها معرّضاً بها: (رأيتُ البارحة كأنّي راكب حِجْرة[٢٨] شهباء عليها حلّ أخضر)، فقالت له: (إنْ صدقتْ رؤياكَ فستدخل في إسْتكَ فُجْلة ويبقى ورقُها خارجاً)، فخجل وضحك الحاضرون.

* * *

وحكي رجل بدويّ قال:

دخلتُ بغداد ببعير أبيعه، فجئتُ إلى درب لأعبر منه فاستعصى عليّ فضربته ضرباً عنيفاً فلم يدخل، فنظرت امرأة من طاق فقالت لي: (إنْ أردتَ أنّ بعيركَ يدخل فاسكبْ على رأسه ماءً)، فاستبعدتُ ذلك. ثم لمّا طال عليّ العناء قلتُ لابأس أنْ أجرّب، فطلبتُ شربة ماء ثم سكبتُها على رأسه وبدنه فانقاد أسهل انقياد، فعجبتُ من ذلك، ثم سألتُها عن سبب علمها بذلك فقالت لي: (قستُه على الأير، فقلتُ يجب أنْ يكون كلّ شيء إذا بلّ رأسه دخل، فخرج الأمرُ صحيحاً).

* * *

وحكى أبو عليّ الحسين بن الحجّاج[٢٩]، الشاعرالبغدادي، قال:

دعاني رئيس من جملة رؤساء بغداد إلى منزله لشراب، وكانت أوّل معرفتي به، فأحضر أطعمةً محفلةً في جملتها قَمْحية[٣٠] محكمة الطبخ فأكثرتُ منها، ثم حضر الشراب، فلما شربتُ أقداحاً يسيرة دارت بطني واحتجتُ إلى الخلاء ثم احتشمتُ أنْ أقوم في أوّل المجلس عند رجل لم يتقدّم لي معه انبساط، فكاسرت عسى أنْ يتقدّمني أحد بالقيام فلم يتقدّم. ثم حضر السماع، وكلّما سكت المغنيّ أقبل عليّ الرجل بالحديث وجماعة من الأدباء والكبراء كانوا حضوراً في المجلس، فلم يسعني إلاّ مراسلتهم

---

(٢٨) الحِجْرة: الأنثى من الخيل، جُعلت كمحرّمة الرحم إلاّ على حصان كريم.

(٢٩) ا: بن حجاج.

(٣٠) القَمحيّة: حلوى تعمل من القمح المسلوق المقشور والسكّر وتمزج بماء الورد.

وأنْ أفيض معهم فيما يفيضون. وفي أثناء ذلك تأخذ المغاني في الغناء فلا يسعني إلّا الانصات والاستماع، وأنا أقاسي الجهد وأعاني البلاء. ولم يقدّر اللّه عزّوجل أنْ يقوم أحد من أهل المجلس للخلاء، بل كلّهم عُصموا.

فلمّا طال عليّ الأمر واشتدّ بي الألم وأحسستُ في باطني رياح الخريف وفي جنبي ضربات السيوف طلبتُ الانصراف فقامت قيامة ربّ المنزل والحاضرين، وأقسموا الّا يكون ذلك. ومالوا علي بالأقداح الكبار، فكان ذلك أشقّ عليّ. فلمّا عاينتُ الموت قلتُ: «ما لهذا الأمر إلّا الاحتيال عليه»، فكاسرتُ قليلاً إلى أنْ غنّى مغنّ بشعر فأظهرتُ الطرب والتواجد وشربتُ أقداحاً متواليةً ثم تخادرتُ بعد ذلك وتساكرتُ وألقيتُ بنفسي إلى الأرض فكلّموني فلم أجبهم، فلم يشكّوا في انّي سكرتُ فتركوني،. فبقيتُ كذلك شيئاً يسيراً ثم قمتُ وأظهرتُ الحياء منهم لما فرط مني بينهم من السُّكْر. ثم نهضت خارجاً فطمّعوني الجلوس فلم أعرّج عليهم وخرجتُ على انّي طافح سكران. فركبتُ دابّتي وقدّم صاحب المنزل بين يديّ مشعلاً بيد مشاعليّ[٣١]. فلما أغلقوا الباب ورجعوا رأيتُ انّي قد نُشرتُ من قبر. فركضت الدابّة ملءَ فروجها[٣٢] التمس موضعاً أنزل فيه لقضاء الحاجة، فدفعتُ إلى خرابة أعرف عليها ربعاً تسكنه القحاب، فنزلتُ وعدلت إلى جدار وبقي صاحب المشعل مع دابّتي ناحية، فحللتُ سراويلي ثم جلستُ فقضيت حاجتي فاسترحتُ بعض الراحة.

فبينما أنا كذلك إذا سطْل قد نزل من طاق في الجدار الذي أنا تحته بسلسلة حتى بقي على الأرض بين يديّ ملآن ماء، فعجبتُ كيف تصوّر هذا الأدب البارع من أهل الموضع. فأدخلتُ يدي في الاناء وأخذتُ كفّ ماء ونضحتُ به موضع الأذى وأمررت يدي اليسرى عليه المرّة الأولى ثم الثانية، فلم أشعر إلّا والسطل في نصف الجدار صاعداً إلى الطاق. فبهتّ وبقيتُ حائراً لا أدري ما أصنع وقد تلطّخت يدي ووركاي وصرتُ في صورة

(٣١) المشاعلي: حامل المشعل لانارة الطريق.

(٣٢) اي كأنّ العَدْوَ سدَّ فروجها وملأها.

شنيعــة، وسمعت الضحـك من الطاق ولم أشـكّ أنّهم عرفوني بضوء المشعل، فلم أجد مفزعاً إلّا السراويل[٣٣]، فمسحت يدي في الحائط ثم في السراويل ومسحتُ ما بين وركي، فبقي السراويل شوهةً شوهاء.

ثم لففته وأدخلته في كمّي وركبتُ البغلة وسقت إلى منزلي. فلم أتمالك، لسهري ومعاناة الألم أوّلَ الليل وتمام النادرة عليّ، أنّي ألقيتُ السراويل عند رِجْل السرير وصعدتُ فألقيتُ نفسي في الفراش.

وكانت لي زوجة أمّ بنين تدلّ عليّ لصيانتها وابتذالي وعفّتها وفجوري، فلما رأتني أخرجتُ السراويل من كمّي استرابتْ بذلك ولم تشكّ أنّي عملت شيئاً في الطريق. فأخذتْه وأنا نائم ثم فتحتْه في ضوء السراج فوجدته على تلك الصورة فلم يختلجها شكّ أنّي نلتُ أمردَ وتمسّحتُ بسراويلي، فجاءت إلى السرير فهتكت ستره ثم تناولت ثيابي، وأنا لا أشعر، فمزّقتْها طولاً وعرضاً ثم شقّت الرداء الذي عليّ وبركتْ على صدري وجعلتْ تمسح خراء السراويـل في عارضيّ[٣٤] ولحيتي وشاربي وتقول: (هذه اللحيةِ الملعونة والشوارب المنتنة أولى بالخراء من السراويل)، فاستيقظتُ ورمتُ كلامها، فكلّما فتحتُ فمي لأتكلّم دسّت السراويل في فمّي وحنّكتني[٣٥] بخراه وقالت لي: (كُلْه أطيب لك)، وهي ترعـد قد فارقت المعقـول وتقول: (فرغتَ من الأيمان الفاجرة والجحود والأعذار الكاذبة حتى صرتَ إلى هذه المطاهرة البالغة، تجيئني بخراء المُردِ في سراويلك فأغسله في داري!؟).

فعلمتُ أنّها معذورة وقلت: «ما لهذا الأمر إلّا الصبر عليه»، فصبرتُ إلى أنْ قضت غرضهـا ممّا أرادته بي، فعلاًوقولاً، وجلستْ ناحيةً تبكي وتلطم وجهها وتمزّقُ شعرَها وثيابَها، فقمتُ وقلت: (يا هذهِ، إتّقي اللّه في نفسكِ واعلمي أنّ كلّ شيء بلغكِ عنّي من يوم رأيتكِ ورأيتيني إلى هذا اليوم صحيح، وأنا الظلوم الغشوم فيه، وأمّا هذه النازلة فأنا واللّهِ بريء).

---

(٣٣) السراويل: معروف، وهو معرّب (شَلْوار) بالفارسية وجمعه سراويلات.

(٣٤) العارض: صفحة الخدّ.

(٣٥) حنّكت: دلكت حلقه.

وحكيتُ لها صورة الحال وقلتُ لها: (إبعثي بعبدكِ حتى يشاهد أثر يدي في الحائط وموضع جلوسي تحته). وحلفتُ لها على ذلك حتى رضيتْ وصدّقتني فندمتْ على ما فرط منها، ثم قامتْ فسخّنت الماء وقدّمت اليّ المشط والطِيْب، وقمتُ أغسل لحيتي وأتبخّر وأتعطّر، فلم أزلّ في هذا الشغل إلى أنْ طلعت الشمس ومضت الليلة كلّها في الخراء.

* * *

وحدّث بعضهم قال:

كنتُ أعرف بالبصرة تاجراً متسدّد الحال، صالح المآل، كان صديقاً لي. فسافر إلى بغداد ثم انقطع عنّي خبره عدّة سنين، ثم لقيته وهو سيّىء الحال، قليل ذات اليد، فاستحييتُ أن أسأله عن سبب ضيق حاله، ثم صرتُ أراه كلّما رأى شخص امرأة تغيّرَ لونهُ وأعرض بوجهه وانقبضَ وتنفّس الصعداء وغضّ طرفه عنها ولم يزل يلعنها حتى تغيب عنه، فسألته عن سبب ذلك فقال: كنتُ على أنْ اذكر لك سبب سوء حالي وطول غيبتي عنكَ فاستحييتُ من ذلك، وأمّا منذ باديتني فهو ما أحدّثك:

انفصلتُ عنكَ إلى بغداد، كما علمتَ، فلمّا دخلتها وكنتُ أسمع عن ظرف النساء ولطافتهن بما أشتهي رؤيته عياناً، فقلتُ: «لابأس أنْ أخرجَ نصْفَ ربحِ هذه السُفرة في نزهتي ببغداد»، فاكتريتُ داراً واشتريتُ لها فرشاً وبعتُ قماشي وقبضتُ ثمنه وخرجت أتوقّع زبوناً من النساء. فكان أوّل ما وقع لي بالقضاء والقدر السابق، امرأة كاملة الخلقة، بدينة، تامّة الحسن. فأشرتُ إليها فبادرتْ نحوي، فتقدّمتُ أمامها حتى دخلتُ البيتَ ودخلتْ، فلمّا صارتْ في زاوية البيت حلّتْ سراويلها وأمسكتْ بوتد في الحائط وتزحزحتْ، فقلتُ لها: (ما شأنكِ؟)، فقالت: (أنا امرأةٌ حامل، وقد دخلتُ الحمّام لتسهل عليّ الولادة ثم عدتُ إلى منزلي فأدركني المخاض في الطريق، فكدتُ اضع فيه حملي فرماكَ اللّهُ عليّ رحمةً،، ألد في منزلك). فاسودّت الدنيا بين عينيّ، فقلت لها: (اخرجي عنّي يا هذه، لِدي في دارِك)، فقالت: (يا سيّدي، ما بقي الحال يحتمل وصولي لمنزلي، وأنا امرأة

محتشمة، ولله عليّ نعمة ولي أهل وبعل أملئاء[٣٦] ولا خسارة عليك ولا دَرَك من جهتي، ولله عليّ إنْ ساعدتني بالمكان لم أنقطع عنك أبداً ما بقيت في بغداد، ولا آخذ منك شيئاً من مالِكَ إلاّ ما يصل إليك من هدايا وتحف والطاف منّي ومن أهلي).

فظننتُ أنّ جميع قولها صحيح، وأعان على انخداعي لها أنّ حالها وشخصها وهيأتها مناسبة لما إدّعته، فقلتُ لها: (على بركة الله)، فقالت: (بقي لي عليك شيء واحد)، فقلتُ: (وما هو؟)، فقالت: (أنْ تستدعي لي قابلةً، فإنّ المرأة لا بدّ لها من ذلك في هذا الوقت)، فقلت لها: (أنا غريب ولا أعرف أحداً ببغداد)، فقالت: (أنا أصف لكَ موضعها).

فوصفتْ لي موضعاً مشهوراً وذكرتْ إسمَ امرأة، ورأيتها قد اشتدّ بها الأمر وقالت لي: (تداركْني لئلا أموت في منزلك. وإذا جاءت القابلة ولدتُ وأخذت القابلةُ المولودَ وخرجنا عنك، ولك عليّ الوفاء بجميع ما ذكرتُ لك). فخرجتُ هائماً سكران حتى أتيتُ الموضع الذي وصفتْ، فوجدتُ القابلة فيه فاستدعيتها فأتت معي وجاريتان تحملان آلتها.

فدخلتُ الدار فسمعتُ في الباب صراخ مولود، فبادرتُ أمام القابلة إلى البيت فوجدنا المولود ملقى ولم نجد للمرأة أثراً ولا خبراً، فبهتُّ وسقطتْ قوّتي ولم أدرِ ما أقول ولا ما أفعل، فقالت لي القابلة: (أين أمّ هذا المولود؟)، فتلَجلجتُ وحرتُ، ثم قلت لها: (لعلّ بعض الجيران أخذها، لما استبطأوكِ، فتولّى أمرَها وترك المولود).

فكحّلتُه[٣٧] وقمّطتُه وطلبتْ إجرتها فدفعتُ لها ما تيسّر وأنا لا أصدّق بخروجها عنّي. فلمّا خرجتْ بقيتُ مفكّراً في أمري حائراً فيما أصنعه وهممتُ بقتله ثم رأفت نفسي عليه وقلتُ: «ما ذنب هذا حتى أشفي نفسي بقتله؟».

---

(٣٦) أملئاء: أغنياء.

(٣٧) أ: وكحلته. ب: فكحلته. ج: قال فكحلته.

واجمعتُ رايي على أنْ القيه في قارعة الطريق، يكون من أمره ما يكون من أمر أبناء الزناء الملقوطين. وصحّ عندي أنّ أمّه كانت زانية محتشمة، كما ذكرتْ، وانّها كانت تكتم حملها، فلمّا احسّتْ بالمخاض خرجتْ تلتمس موضعاً تلد فيه فلم يتح لها إلّا انا لشقوتي.

فلمّا كان من الليل أخذتهُ في قِمَطْرَةٍ[٣٨] وخرجتُ به بعد نومه ماشياً وبعدتُ عن داري وهو تحتي صامت، فجئتُ إلى جدار فوضعته تحته، فلمّا وضعته صرخ باكياً فنظرت امراةٌ من طاق فرآتني مولّياً والطفل يصرخ، فصاحت بي وأخرجَ نساء رؤوسهن فتصايحن فوثب حرّاس الدرب فأمسكوني. وعرّفتْهم المراةُ أنّها رأتني حين وضعتُ القِمَطْرة، فحُملتُ إلى الوالي والقِمَطْرة في عنقي، فسألني عن الأمر فلم يسعني إلّا أنْ عرّفته بالقضيّة على جليّتها فلم يصدّقني في حرف منها وقال: (هذا شيء لا يمكن، إنّما انتَ قتلتَ أمّ هذا ولا بدّ أنْ تعرّفنا مَنْ هي)، فأقمت على قولي فجُرّدتُ وضُربتُ ضربَ الإقرار، فلم أزل على قولي الأول.

ولم يشكّ الوالي في أنّ أمّ المولود قد قُتلتْ، أو أنّه ولدي منها في زنا. فسُجنتُ ثم احتيطَ على جميع مالي وأنا في السجن وانتُهبَ، فأخذ الوالي شيئاً والعدول الذين حضروا شيئاً وأُشتريَ منه جارية ترضع الولد وفُرضَ لها فَرْض[٣٩] وأُجريْت عليّ منه نفقة في السجن أربعة أعوام لأنّ ذلك الوالي عُزلَ ونُسيتُ لغربتي ولعدم مَنْ يتكلّم في أمري[٤٠].

ثم فُطِمَ الطفل وبيعت الجارية فأكلتُ ثمنها في السجن. وفي العام الثالث مات الطفل، ثم لم أزل في السجن آكل ممّا يتصدّق به عليّ المسجونين حتى مات الخليفة وولّي الامام المقتدر وأمر باستراء السجون فأسريتْ وخرجتُ ولا أملك درهماً، وآليتُ على نفسي الّا فتحتُ بصري في وجه امرأة حتى أموت، ولا أراها إلّا وأكفّ بصري عنها حتى تغيب.

* * *

---

(٣٨) القِمَطْرة: وعاء منسوج من القصب.

(٣٩) الفَرْض: العطيّة المرسومة.

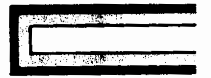
(٤٠) هامش للناسخ في ج [لو كان في هذا الزمن وقدر الوالي على بيعه لباعه واكل ثمنه].

قال ابن مُكـرم: (ما على وجه الأرض أعقل من القحبة، تأكل أطيب الطعام وتشرب أجود الشّراب، وتأخذ الدراهم، ويحصل لها من اللّذة نظير ما يحصل للرجل وأكثر).

فقال له أبو العيناء: (فكيف كانت أمّك؟).

قال: (على ما تعهده من العجوز)، يعني والدة السائل.

* * *



ملح الأشعار في هذا الباب

أنشد الفرزدقُ سليمانَ بن عبدالملك قصيدته يقول فيها:

ثلاثٌ واثنتان فهنّ خمسٌ ... وسادسةٌ تميلُ إلى شَمامِ[1]
فبتنَ بجانبَيّ مصرّعاتٍ ... وبتّ افضُّ اغلاقَ الختامِ
كأنّ مفالقَ الرمّانِ فيهِ ... وجمر غَضا قعدنَ عليه حامِ

فقال له سليمان: (أحللتَ نفسكَ الحدّ يا فرزدق! أقررتَ عندي بالزّنا، وأنا إمام، فلا بدّ من إقامة الحدّ عليك). فقال: (بمَ[2] أوحيتَ ذلك يا أمير المؤمنين؟)، قال: (بكتاب اللّه)، قال: (فإنّ كتاب اللّه يدرأ عني، قال اللّه تعالى: (والشّعراء يتبعهم الغاوون. ألم ترَ أنّهم في كلّ وادٍ يهيمون. وأنّهم يقولون ما لا يفعلون)[3]، وأنا قلتُ ما لم أفعل).

* * *

سألت امرأةٌ زوجها الحجّ فأذن لها وبعث معها أخاه، فلمّا انصرفوا سأله عنها فقال:

ـ شعر ـ

ما أنْ علمتُ بها عيباً أخبّرهُ ... إلّا اتهاميَ فيها صاحبَ الابلِ
كانا، نهاراً، إذا ما السيرُ جدَّبنا ... يغيّران[4] وما بالرّحلِ من مَيَلِ
ويخلوان كثيراً في منازلنا ... فلا نزال نرى آثارَ مغتسَلِ
واللّه أعلم ما كانت سرائرهمْ ... واللّهُ أعلم بالنيّات والعمَلِ

وأنشد أبو نواس فقال:

تطلبُ ما قد كنتُ عوّدتُها ... وكَفُّها في كفُّ قوادِها
فقلتُ: هاكِ الأيرِ فاستدخلي ... فادخلتْ لاميَ في صادِها

---

(١) الشمام: القُبَل والرشف.
(٢) أ: بما.
(٣) سورة الشعراء، الآيات ٢٢٤ ـ ٢٢٥ ـ ٢٢٦.
(٤) يغيّران: يصلحان من شأن رحلهما.

تمسح[٥] ايري بعدما نِكْتُها ... كانّهُ اصغر اولادِها

ولغيره:

إستخبري، زينبُ، ما قولهمْ ... في رجلٍ يعبد ربّين
أذاكَ منه حسنٌ جائزٌ ... ام ليس يرضى اللّهُ دينين؟
حسبُكِ يا زينبُ من هُجْنةٍ ... تسترزقينَ اللّهَ باسمين
فلا تريدي جمعَ هذا وذا، ... فالغمدُ لا يجمع سيفينَ
فاسندي الأمرَ إلى واحدٍ ... ولا تكوني ذاتَ بعلينَ
لا يحمل المنبرُ ردفاً، ولا ... يصلح مُلْكٌ بين شخصينَ
وعادة السّوءِ إذا استحكمتْ ... على امرىءٍ، شرٌّ من الدَّينَ
إسفُ وإنْ كان الهوى طيّباً ... اقنع بالسّيس على اثنينَ
يحلبُ غيري واكون الذي ... يرضى من العنز بقرنينَ

* * *

غيره:

الخانُ يعجز عن قومٍ إذا كثروا ... لكنّ قلبَكِ مَنْ في الخان اضعافُ
في كلّ يومٍ لها خمسون تعشقهمْ ... بلْ كلّ يومٍ لها الفٌ وآلافُ

غيره[٦]:

ايا مَنْ ليس يكفيها محبٌّ ... ولا الفا محب في نظام
اظنّك من بقيّةِ قومِ موسى ... فهمْ لا يصبرونَ على طعامِ
اتيتُ فؤادَهَا اشكو إليهِ ... فلم اخلصْ إليهِ من الزحامِ

* * *

ابن الرومي:

يستغفر الناس بايديهمُ ... وهنَّ يستغفرنَ بالارجلِ

---

(٥) هامش في نسخة ج: [ترضع] وهي رواية انسب لواقع الحال.

(٦) الشعر منسوب لابي نؤاس بهذا السياق:

ومظهرة لخلق اللهِ نُسْكاً ... وتلقاني بذلّ وابتسام
اتيتُ فؤادها اشكو إليه ... فلم اخلصْ إليهِ من الزحامِ
فيا مَنْ ليس يكفيها خليلٌ ... ولا الفا خليلٍ كلّ عامِ
اظنّكِ من بقيّةِ قومِ موسى ... فهم لا يصبرون على طعامِ

(شرح ديوان أبي نؤاس، إيليّا حاوي، الشركة العالمية للكتاب، ١٩٨٧ بيروت).

فيا لهُ من عملٍ صالحٍ يرفعهُ اللّهُ إلى اسفلِ

* * *

حدّث الرياشيّ قال:

بينما أنا ذات يوم خارج إلى ظاهر البصرة مع صاحب لي، فنظرتُ بين خيم الأعراب فاذا أنا بامرأة من أحسن الناس وجهاً، وعلى رأسها قلّة تسقي الماء. (قال) فدنوتُ منها وطلبتُ منها ماء فدفعت القلّة إليّ فتطأطأتُ في الأرض لأتأمّلها، ففطنت الجاريةُ فأنشأتْ:

الا حيّي شخصين بسرّين اراهما وعقلهما قد حارَ فيما ابتغاهما
هما استسقيا ماءً على غيرِ ظماةٍ ليستمتعا باللّحظِ ممّنْ سقاهما

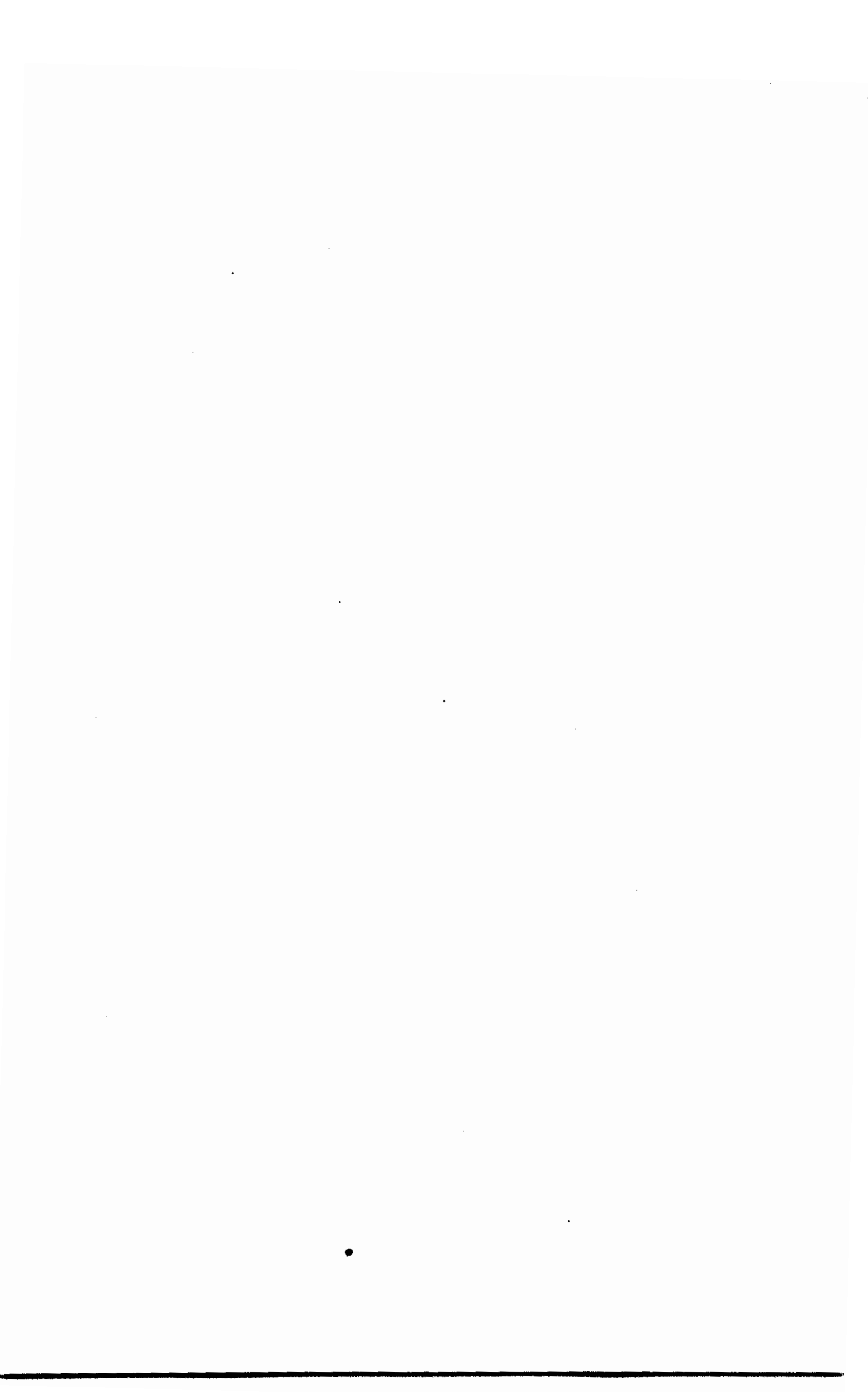
(قال)، فقلتُ: (واللّهِ لقد أتيتِ بما في أنفسنا، فهل فيك مطمع؟)، فضحكتْ عليّ وقالت: (إذنْ ينكسر قلب الآخر، تقود أنتَ ولا يقود هو)[٧].

* * *

(٧) هامش في أ: [أي صاحبه].

الباب الخامس

في نوادر أخبار الزّناة ومُلَح أشعارهم وحكاياتهم



كان بَشّار بن بُرد الشاعر من أكابر الزناة، وهو القائل:

لا يـؤيسنّك من مخـدّرةٍ قـولٌ تُغلّظه وانْ جرَحَـا
عسْرُ النسـاءِ إلى مُيـاسرةٍ والصعـب يُركب بعدمـا جمَحـا

ولمّـا بلغ المهـدي هذان البيتـان انفذَ إليه وقال له: (أنتَ القائل؟)، وأنشده البيتين. قال: (يا فاسق، أتحرّض الناس على الزّنا؟ تلك أمّك العاهرة).

وكان يبلغ امرأته كثرة زناه فتسبّه وتلعنه، فيحلف بها بالأيمان المغلظة إنّهم يكذبون عليه. فعمدت إلى عجوز بلغها أنّها تقود له، فوهبتْها شيئاً وقالت لها: (صفيني له على أنّي أحببته، واجمعي بيني وبينه في بيتِك حتى أوقفه على كذبه).. فسارت القوّادة إليه وقالت له: (يا أبا معاذ، وقعَ لي شرطُكَ[1] امرأة محتشمة صفتُها كَيْت وكَيْت)، فقال لها: (ويحكِ، عجّلي عليّ بها)، فقالت له: (إنّها في منزلي، وهي امرأة مخبورة في النكاح ولها شهرة فيـه وبعلها غائب. فساعة دخولك ضعْ يدكَ واقضِ لها ولكَ غرضاً ثم اجلسا بعد ذلك وتحدّثا ما شئتما).

ثم ذهبتْ به وسبقتْ امـرأتـه لمنزل القوّادة وقد لبستْ أفخر ثيابها وتعطّرت. فلما دخل عليها لم يصبر انْ واقَعَها ومكّنَتْه من نفسها، فلما

(١) ب، ج: غرضك.

صار في نصف الشّغل جمعت رجليها وركلته في صدره فألقته على قفاه وقامت وهي تقول: (وأين ايمانك الفاجرة يا فاسق؟)، فقال لها: (إذهبي، فواللّهِ ما رأيتُ أبرد منكِ حلالاً ولا أحرّ منكِ حراماً).

* * *

ومن شعره قوله:

اودّ من لم ينلني من مودّته ... إلاّ سلامُ يردّ القلبَ حيرانا
يا قوم اذْني لبعض الحيِّ عاشقةٌ ... والاذنُ تعشقُ قبل العينِ احيانا
قالوا: بمَنْ لاترى تهذي، فقلتُ لهم: ... الاذنُ كالعينِ تُوفي القلبَ ماكانا
يا ليتني كنتُ تفاحاً مطيّبةً ... او كنتِ من قُضُبِ الريحان ريحانا
حتى إذا استنشقتْ ريحي واعجبَها ... وكنتُ في خلوةٍ، حُولتُ إنسانا
لا تعذلونـي فإنّي مـن تذكّرها ... نشوان، هل يعدل الصاحون نشوانا؟

وله:

يا اطيبَ الناس ريقاً غيرِ مختبرِ ... إلاّ شهادة اطـراف المساويـك[٢]
قد زرتنا مرّةً في الدهر واحـدةً ... عودي ولا تجعليها بيضةَ الدِّيك
يا نعمةَ الـلّهِ حلّي في منازلنا ... حسبي برائحةِ الفردوس من فيكِ

* * *

وله:

رفّهـي عنّي قليـلاً واعلمي ... إنّني يـا هندُ مـن لحمٍ ودمْ
ختمَ الحبُّ لهـا في عنقي ... موضع الخاتمِ مـن اهل الذممْ
وإذا قلـتُ لها جودي لنـا ... جمجمتْ[٣] بـالقولِ مـن لا ونَعَمْ

* * *

ومنهم ابـو نؤاس، كان، مع اشتهـاره باللّواط، زنّاءً. وكان له جارية تُسمّى: هاشمية، فغلبتْ عليه. وكانت تتبعه اذا رأت عشائقه فتُنْكر عليه. وكان يتخفّى بذلك منها.

---

(٢) المساويك: جمع مسواك، العود الذي تُنظّف به الاسنان.
(٣) جَمْجَمت بالقول: لم تُبيّنه.

حضر يوماً مجلسَ راحةٍ فقال له أصحابه: ما نظنّك قطّ لقيتَ مكروهاً أغلظ من حبْس الأمير إيّاكَ، فقال: بلى، أشدّ من ذلك. كنتُ أهوى جاريةً في دار عليّ بن المهدي يُقال لها: سَمْجة، ولي فيها أشعار كثيرة أُكنّي عنها بالتذكير، وكانت من أملح النساء، ومن أشعاري فيها:

سمّاه مولاهُ، لاستملاحه، السّمجا ... فاختال عُجْباً بما سمّاه وابتهجا
ظبي كأنّ الثريّا فوق جبهتهِ ... والمشتري في بيوت السّعدِ والسُّرُجا
محكّم الطّرف يُدمي سيفُ ناظرهِ ... إذا انتضاه لقلبٍ قال: لا حَرَجا
لا فرّج الله عنّي إنْ مددتُ يدي ... اليه اساله منْ حبّهِ الفَرَجا
ولا أطعتُ بكَ السلوان يا املي[4] ... ودام حبُّكَ في قلبي ولا خرَجا

ولم أزل أتلطّف بها إلى أنْ أجابتني ووعدتُها منزلَ صديقٍ لي، وكانت جاريتي هاشميّـة تتبعني إذا تزيّنتُ، ولم أجـد بدّاً من الزينة. فبكّرتُ ودخلتُ الحمّام وغيّرتُ ثيابي وتطيّبتُ وأخذتُ خَريطةً[5] لي فوضعتُ فيها دنانير، وهي تلاحظني. فلمّا رأتني تأهبتُ تلك الأُهْبةَ علمتْ أنّي عوّلتُ على ما لا بدّ منه. فلمّا أردتُ النهوض قالت لي: (هل لكَ في أنْ تُطعمَ شيئاً؟)، فكنتُ لا أخالفها فأكلتُ شيئاً ثم أحضرتْ شراباً وأرغبتني فيه. فقلتُ لا بأسَ بتطييب نفسها بشرب أقداح يسيرة، فشربتُ وأقللتُ. ثم داعبَتْني وحرّكَتْني بعد الحمّام والطعام واليسير من الشّراب فتحركتُ، فجامعتُها مرّتين على كرهٍ منّي واستدراجٍ منها. فلما فرغتُ من المرّة الثانية ضربْت بيدها على كتفي وقالت: (إذهبْ، فما فيكَ بعد هذا من خيرٍ)، وكانت قد عرفتْ من طبعي إنّي إذا صرتُ إلى مثـل هذه الحـال لم تبق فيّ باقية. فخرجتُ من عندها أجرّ رجلي وقد أثّر فيّ الوهم من كلامها أضعاف أثرَ العادة، فوافيتُ بيت الصديق وقد سبقتني سَمْجة إليه فطلبتُ ما عندي فلم تجد فيّ عِرْقاً يتحرّك، فنالني من الحَصْر[6] والخجل ما لم ينلني مثله قطّ. وتضاعف عليّ الحالُ فاعتذرتُ، فقالت: (لا قبلَ اللّهُ لي عذراً إنْ قبلتُ

---

(٤) أ: يا الملي. والبيت الأخير ناقص من ب، ج.

(٥) الخريطة: وعاء من الجلد أو غيره، يُشدّ على ما فيه.

(٦) الحصر: ضيق الصدر.

عذركَ)، وقامتْ. فخرجتُ وقد صرتُ شهرةً. ولم أبقِ بعد ذلك نظماً ولا نثراً أستعطفها، فاذا هي بمنزلة الثريّا.

وكان أبو نؤاس يعشق جنان جارية الثقفيّ وله فيها أشعار كثيرة، منها ما حدث به الجمّاز، قال:

جاء رسول لجنان إلى أبي نؤاس فبشّره أنّها ذكرته وقالت: (آذاني هذا الفتى وأبرمني بحدّة نظره وتهتكه[٧]، وقد ألحّ عليّ حتى رحمتهُ)، فسُرّ بذلك وقال:

يا ذا الذي عن جنانٍ ظلّ يخبرني ... باللّهِ قلْ واعدْ يا اطيبَ الخبر
قالوا[٨]. اشتكتكَ فقالتْ ما ابتليتُ به ... اراه من حيثما وجّهتُ في اثَريَ
ويرفع الطرفَ نحوي إنْ مررتُ بهِ ... حتى ليخجلني من شدّةِ النظر
فإنْ وقفتُ لـه كيما يكلّمني، ... في الموضعِ الخلو، لم ينطقْ من الحصَرِ
مازال يفعل بيْ هـذا ويدمنه ... حتى لقد صار مَن هَمّي ومن وطَري

وغضبتْ عليه مرّةً من كلام كلّمها به وارسل يعتذر اليها، فقالت للرسول: (قلْ له: لا برحَ الهجرُ رَبْعَك، ولا بلغتَ امَلَكَ مَنْ احبّك)، فرجع الرسولُ. فسأله عنجوابها فلم يخبره، فأنشأ يقول:

فـديتُك نِعْمَ عتْبِك مـن كلامٍ ... نطقـتُ به علـى وجهٍ جميلِ
وقولك للرسول عليـكَ غيري ... فليس إلى التواصل مـن سبيلِ
لقد جاء الرسولُ بـه انكسارٌ ... وحـالٌ مـا عليها مـن قبولِ
ولو ردّت جنـانُ مـردُّ خيرٍ ... تبيّـنَ ذاكَ فـي وجـهِ الرسولِ

* * *

وبلّغه عنها أنّها سبّته وقالت: (وَيْلي على الخبيثِ[٩] المتكذّبِ في حبّه)، فقال:

جنـان تسبّني ذُكرتْ بخيـرٍ ... وتزعـمُ انّني رجـلٌ خبيثُ

---

(٧) ا: وابرمني بحدة نظرة تهتكه.
ب: وابرمني بحدة نظرته تهتكته.
ج: بكثرة أشعاره.
(٨) ا: قالت.
(٩) ب، ج: الحبيب.

وانّ مودّتي زُوْرٌ ومَيْنُ ... وانّي بالذي اهوى بثوثُ
وما صدقتْ ولا ردّ عليها ... ولكنّ الملولَ هو النّكوثُ
ولي قلبٌ ينازعني هواها ... وشوق بين اضلاعي حثيثُ
راتْ كَلَفي بها ودوامَ عَهدي ... فملّتْني، كذا كان الحديثُ

* * *

وله:

يا ناظراً ما اقلعتْ لحظاته ... إلّا تشحّطَ[10] بينهنّ قتيلُ
احللتُ قلبي من هواك محلّةً ... ما حلّها المشروبُ والماكولُ
فكمالُ صورتك التي من دونها ... يتحيّر التشبيهُ والتمثيلُ
فوق القصيرة، والطويلة فوقها، ... دون السّمين، ودونها المهزولُ

* * *

وله:

يا قمراً ابصرتُ في ماتمٍ ... يندبُ شَجْواً بين اتراب
يبكي فيذري الدرَّ من نرجسٍ ... ويلطمُ الوردَ بعنّابِ

* * *

قال بعض النخّاسين[11]:

كانت عندي جارية نفيسة اسمها: مُنى، فعرضناها على أبي نؤاس، فجعلتْ تحادثه ثم قالت له: (ما اسمكَ؟) فقال:

إسمي لوجهكِ يا مُنى صفةٌ ... فكَفَى[12] بوجهك مخبراً باسمي
لا تُفجعي أمّي بواحدِها ... لن تُخلفي مثلي على أمّي

* * *

وكان أبو نؤاس في مجلسٍ فيه قَيْنة فقال. (ما اسمُكِ؟)، فقالت: (حُسْن)، فأنشد:

---

(١٠) تشحّط: تضرّج بالدم.

(١١) النخّاس: بائع الرقيق.

(١٢) ا: فكنى. ج: يكفي.

إنّ اسمَ حُسْنٍ لوجهها صفةٌ   وما أراهُ في غيرها جُمعا
فهي إذا سُمّيَتْ فقد وُصِفتْ   فيجمعُ اللّفظُ معْنَيَيْنِ معا

وكان كثيراً ما يتحرّش بعنان جارية الناطفي، إلّا أنّه لا تتمّ[١٣] له معها نادرة. وقد ذكرنا، فيما تقدم، ما يدلّ على ذلك.

* * *

ومنهم أبو العتاهية:

يُحكى أنّه دخل يوماً منزلاً فيه جماعة من الشعراء منهم أبو نؤاس والحُسَين بن الضحَّاك وغيرهما. وكان معهم أبو الشَّمَقْمَق، وكان أبو العتاهية آلى ألّا يضمّه وإيّاه مجلسٌ لأنّه كان يهجوه ويعبث به ويتنادر عليه، فلما استؤذن على أبي العتاهية أدخلوه خزانةً في البيت. فلمّا استقرّ به المجلس سمع حركة في الخزانة فقال: (مَنْ عندكم؟)، فقالوا: (جارية محتشمة استحتْ منكَ لمّا سمعتْ بكَ لأنّها غير مبتذلة، ومن صفتها كَيْتَ وكَيْتَ)، فطرب أبو العتاهية لما سمع الصفة وحشمة الجارية وحياءها، فقام وجلس على باب الخزانة ثم بسط كفّه وأدخل يده من بين البابين وقال:

مَدَدْتُ كفّي نحوكمْ سائلاً   ماذا تردّون على السائلِ؟

فأقام أبو الشمقمق ذَكَرَه ووضعه في كفّه وأنشد:

نَردّ فيه فَيْشَةً[١٤] صلبةً   تُشفي جوى دائِكَ من داخلِ

فارتاع أبو العتاهية وقام وحلف لا يدخل اليهم.

* * *

وكانت معشوقته عُتْبَة جارية المهديّ، وكان وعده بزواجها فأبتْ من ذلك لكثرة تشبيبه بها، وخوفاً من تصحيح مقالة السوءِ فيها معه. وفي أمرها يقول للمهديّ مستنجزاً وعده في زواجها:

---

(١٣) ب، ج: لم تتم.
(١٤) الفيشة: الذَكَر المنتفخ.

ـ شعر ـ

ولقد تنسّمت الريـاحُ لحاجتي فـاذا لها من راحتيكَ نسيـمُ
ولربّمـا استياستُ ثم اقـول: لا إنّ الـذي ضمنَ النجاحَ كريـمُ

* * *

ومنهم الفرزدق:

حكى الجاحظ في كتاب (البيان والتبيين)، قال:

إنّ الفرزدق كان مشتهراً بالنساء، وكان جرير عفيفاً لم يكن له بيت واحد في التشبيب مذكور، ولم يعشق امرأةً قطّ، ومع ذلك أغزل الناس شعراً.

* * *

ومنهم العَرْجيّ:

حكى ابن مخارق، قال:

واعَدَ العَرْجيُّ امرأةً بشِعْب[١٥] من شِعاب عَرْج [١٦] الطائف إذا نزل رجالُها يومَ الجمعة إلى مسجد الطائف. فجاءت على أتان[١٧] لها ومعها جارية، وجاء على حمار ومعه غلام، فتحدّثا ساعةً ثم قام إليها، فلما قضى وطره منها خرج فوجد غلامه على الجارية، ووجد الحمار قد نزا[١٨] على الأتان، فقال: (هذا يومٌ غاب عُذّالُه).

* * *

ومنهم أبو الطَّمَحان:

قيل له: (خبّرْنا عن أدنأ[١٩] ذنوبك)، فقال: (ليلة الدَّير)، قالوا: (وما

---

(١٥) الشِّعْب: الطريق في الجبل.

(١٦) لعَرْج: موضع بين مكة والمدينة، وإليه يُنسب الشاعر العَرْجيّ.

(١٧) الأتان: الحمارة.

(١٨) نزا: وثب.

(١٩) أ، ج: ادنى. ب: ادني.

ليلةُ الدَّيْـرِ؟)، قال: (نزلتُ على دَيْرانيّة[٢٠] فأكلتُ طَفَيْشَلاً[٢١] لها بلَحْمِ خنزير، وشربتُ خمرَها، ونكتُ ابنتها، وسرقتُ كساءها)[٢٢].

* * *

ومنهم خَوّاتُ بن جُبَـيرِ الأنصـاريّ، وهـو صاحبُ ذات النحْيَـين[٢٣] وقصّتهما مشهورة لابأس بايرادها لتقديمِ حكاية حُبَّى المدنيّة الآخذةِ بثأرها.

وجَـدَ خوّاتُ امـرأةً من تَيْمِ اللّه[٢٤] ومعهـا نحْيانِ من سَمْنٍ، ففتح أحدهما وذاقه ثم قال لها: (أمسكيه)، وذلك قبل الاسلام في سوقِ عكاظ، والموضع خال. ثم فتح الآخر ودفعه لها، فلما أشغلَ كفّيها كشف ثيابها وفعلَ بها، وهي تضطربُ ولا يمكنها الخلاص شفقةً على نَحْييها، فلما فرغ قالت له: (لا هَنَّاكَ)[٢٥].

ومن ذلك:

كان لرجل بالمغرب من المُتَعَيِّشين[٢٦] في عصرنا هذا، ولدان. أحدهما زان متخلّف، وكان أخوه يكايده، فأدخل يوماً امرأةً لبيته وفطن له أخوه، فجاء فوجد خُفَّ المرأة على باب البيت فأخذه وخرج.. فلما خرجا لم تجد

---

(٢٠) ديرانيّة: نصرانيّة.

(٢١) الطَفَيشل: نوع من المَرَق.

(٢٢) هامش للناسخ في ا [هذه الحكاية مشهورة عن الفرزدق، والله اعلم لأيهما كانت].

(٢٣) النحْي: زقّ السمن.

(٢٤) تيْم اللّه: بطن من بطون قبيلة بكر، يقال لهم اللّهازم.

(٢٥) لخوّات بن جبير شعر في هذه الحادثة، يقول فيه:

وامّ عيالٍ والفينَ بكسبها ... خلجتُ لها جارَ استِها خلجاتِ

فاخرجتُه ريّان ينطفُ راسُهُ ... من الرامِك المدموم. بالنقراتِ

شغلتُ يديها، إذْ لردتُ خلاطَها، ... بنخيين من سَمْنٍ نوي عَجَراتِ

فكان لها الويلات من ترك نخيها ... وويل لها من شدّة الفتكاتِ

فشدّت على النخيين كفّاً شحيحةً ... على سمْنِها، والفتك من فعلاتي

(خلجتُ: شغلتُ، جار استها: فرْجها، ينطف: يقطر، الرامِك: نوع من الطيْب، المدموم: المطليّ، خلاطها: معاشرتها، العجرات: النتوء).

(راجع الحماسة البصريّة، صدرالدين البصري، طبعة الهند، ١٩٦٤).

(٢٦) المتعيّش: مَنْ له بُلْغةٌ من العيش.

المراة خُفَّها فطلبته من الذي ادخلَها، فتركها ومضى إلى أبيه وهو يبكي، وابوه جالس في جماعة، فقال له: (ما شأنكَ؟)، قال له: (ابنُك يؤذيني)، فقال له: (ما صنعَ بكَ؟)، قال: (كانت عندي حاجَةٌ في البيت، أخي سرق خُفّها)، فظنّ انّه كنى بحاجَةٍ كنايةً لم يفهمها احد، فضحك جميع الحاضرين وقام اليه أبوه فأوجعه ضرباً وسبّاً.

* * *

وضدّ ذلك، في شطارة بعض الزّناة وعيارته، ما اتّفق بمصر في عصرنا هذا، ما حدّثني به ثقةٌ من الفقهاء إنّ صديقاً له حدّثه عن غلامِ حائكٍ كان يتصرّف إلى دار الفقيه ويخدمه (قال)،

فجاء يوماً فرأيته يتحدّث مع بعض الغلمان سرّاً وهما يتضاحكان، فخلوتُ بغلامي وسألته ماذا قال له، فقال: حدّثَ عن معلّمهِ الحائك بحكاية ظريفة، وذلك أنّه قال: كنتُ تحت النَّوْل[٢٧] أعمل شغلي، ومعلمي أيضاً يحيكُ حتى عبرتْ على الباب صانعةٌ[٢٨] تصيح في الطريق، كما جرت العادة، فقال لي: (إدعها)، فدعوتُها فدخلتْ وهي تظنّ أنّ في البيت امرأة، ولم يكن في البيت إلّا انا وهو، فقال لها: (اجلسي حتى تجيء صاحبة البيت)، فجلست حتى فرغ ما كان بيديه من العمل ثم قام إلى الباب فأغلقه وجاء فناولها نصف درهم، فلما أخذتْه وصار عندها قالتْ له: (واين صاحبة البيت؟)، فقال لها: (ما ههنا احد غيري، وهذا دفعتُه لكِ حتى تحلقي لي عانتي)، فقالت له: (وهذا شغل تعمله امرأة لرجل؟)، فقال لها: (هذه حاجتي، فانْ لم تفعلي هاتي النصف وانصرفي)، فصعب عليها اخراج النصف ففكّرتْ ساعةً ثم قالت له: (هاتِ)، فحلّ سراويله وتقدّم لها فأخرجت الموسى[٢٩] ومسكتْ ذَكَره بيدها اليسرى لتحلق العانة فأنعَظَ[٣٠]،

---

(٢٧) النول: خشبة الحائك.

(٢٨) هامش للناسخ في ا: [هي التي تختن الأناث].

(٢٩) ا: الموس.

(٣٠) انعظ (ذكَرَه): قام وانتشر.

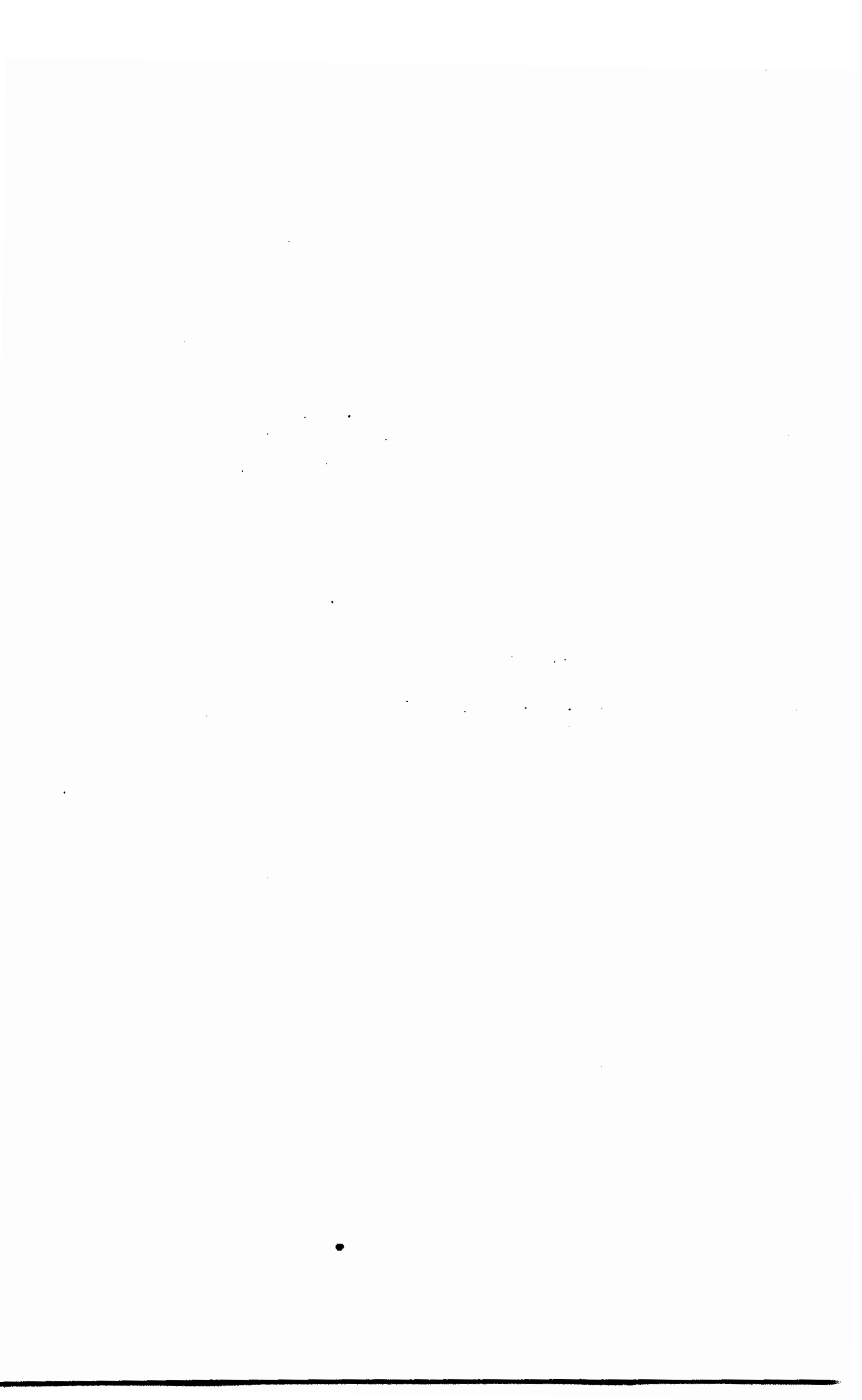
فشبقت[٣١] الصانعة ونظرت اليه، وكان أيراً كبيراً، فاضطربتْ وقالت له: (قم فاعملْ)، فقال: (مالي حاجة، احلقي)، فجذبتْ ذَكَره وهمّت بوضع الموسى[٣٢] على عانته فقويَ انعاظه وتوتّرَ، فارتعدتْ يدُ الصانعة بالموسى ولم تملك يدها ولا نفسها فقال لها: (ما شأنُكِ؟ احلقي)، فقالت له: (قمْ فاعملْ)، ورمت الموسى من يدها فقال: (مالي حاجَة)، فقالت: (خذْ ما أعطيتَني وقمْ)، فأبى. فلم تزل به حتى ردّت له ما أعطاها وأعطته ما كان معها من معاش يومها وقام اليها فناكها وأخذ الموسى فحلق عانته بيده وانصرفتْ.

(٣١) شبقتْ: اشتدّت غُلمتها ورغبتها.

(٣٢) أ: الموس. والأمر نفسه حيثما ترد الكلمة الى نهاية الحكاية.

الباب السادس

في شروط اللاطة
وعلامات المؤاجرين



(قال):

أوّل شروط اللاطة أنْ يكون له منزل لطيف فارغ لا أحد فيه ومفتاحه في يده. ثم أنْ تكون له فيه مقاصر حمّام وأقفاص فيها طيور مسموعة. وتكون فيه سُفرة شطرنج. وتكون فيه كراريس فيها أشعار وأحاديث في العشق وكتب مصـوّرة فيها خرافات، وكتب العزائم والرُّقى. وتكون فيه خمر معدّة لا تنقطع أبداً، فهي ملاك أمره[1]. وأن تكون معه دراهم حاضرة لا تفارقه.

* * *

حُكي أنّ بعض اللاطة سأله صديق له: (إنّي لأعجب من كثرة انقياد المُرد إليكَ وطاعتهم لكَ وسرعة إجابتهم، فما سبب ذلك؟)، فقال: (أنا أريكَ سببه عياناً)، ثم مدّ يده إلى رأسه فأخرج من عمامته كاغَدة[2] فيها دراهم فدفعها له. ثم ردّ يده الى منديل معلّق على وسطه، ملآن حَلواءً ونَقْلاً. ثم مدّ يده الى خريطة في هِمْيانه[3]، أخرج منها شيئاً آخر. فلمّا رأى الرجل

(١) ا: فهو ملاك امره.
ب: فهي ملاك.
ج: فهي ملاكه.
(٢) الكاغد: القرطاس.
(٣) الهميان: كيس تُجعل فيه النفقة، ويُشدّ على الوسط.

ذلك قال له: (أمسكْ يا أخي لئلاّ تنيكني الآن).

* * *

فإن كان اللائط من اليد السفلى، كان من شروطه أنْ يكون شاطراً، صاحبَ سكّين، جَلِداً على السيّاط، جريئاً على العقوبة.

* * *

حكى الجاحظ في (كتاب اللصوص) أنّ والياً من الولاة قُدّمَ إليه شيخ من شيوخ اللصوص وزعيمٌ لهم، أُخذَ في كبائر من السرقة والقتل وقطع الطريق وغير ذلك، فسُجِن دهراً طويلاً ليعترفَ فيُقتل. ثم سُجن معه غلام كان يعشقه ويفعل به، أُخذ الغلامُ أيضاً في سرقةٍ.

(قال) فاتّفق أنْ أُخرجا من السجن للعقوبة مع جماعةٍ مسجونين، فضُرب الغلام مائة سوط وهو حَدَثٌ مراهق البلوغ في نهاية الفظاظة والبضاضة وطراوة الجسم، فلم تُسمع منه فيها كلمةٌ واحدةٌ، فعجب الوالي والحاضرون من ذلك. ثم قال الوالي لرجل من أكابر الدولة كان حاضراً عنده: (أعجبُ مِنْ جَلَدِ هذا الغلام على هذا الضرب أنّ هذا الشيخ يرتكب معه[٤] الفاحشةَ كلَّ يوم)، وأشار إلى شيخٍ ضئيلَ دميم، أصفر، نحيف. وهو الشيخ المذكور[٥].

(قيل) وكان ذلك الشيخ إذا ضُرب الغلامُ سوطاً يتلوّى ويتأوّه حتى تكاد روحه تتلف، والحاضرون يظنّون أنّ ذلك منه خوفاً وجزعاً. ثم أُقيم الغلام وقُدّم جماعة من المسجونين فجُلدوا. ثم قال الوالي: (ردّوا هذا الشيخ لمجلسه، فانّه ليس فيه محمل خمسة أسواط).

(قال) فنظره الشيخ نظرةَ الجَمَلِ الهائجِ وقد احمرّت عيناه، ثم قال

---

(٤) في ا: (يطلب منه) مع هامش يمين الصفحة (يرتكب).
ب: يركب معه.
ج: يركب هذا الفاجر.

(٥) ا: الذكور.

له: (فيّ محمل خمسة آلاف سوط. ما أحمل بجسمي إنّما أحمل بصبري وقلبي وجَلَدي)، فقال الوالي: (عرّوه)، وراموا مسكه في المِفْلَقة[٦] فقال[٧]: (ليست بكم حاجة لذلك)، ثم وقف وتداول عليه جماعة الضرّابين، فضربوه ظهراً وبطناً خمسمائة سوط يقيمونه تارةً ويقعدونه تارةً، وهو قد ضمّ عضديه إلى جنبيه، وقدماه لم يتحرّكا من موضعهما في الأرض كأنهما وتدان[٨]. فقال الرجل الذي في مجلس الوالي له: (هذا الذي لمتَ ذلك الغلام على أنْ ينيكه؟ واللّهِ لو طلب أنْ ينيكني ما منعتهُ)، فضحك الوالي حتى فَحَصَ[٩] الأرض برجليه.

* * *

قال مؤلّف الكتاب:

كان بالمغرب بعض هؤلاء المُحارفين[١٠] إذا رأى جماعةً من الغلمان مجتمعين في موضع، وقف وجرَّ الحديث، وهو يكذب، إلى أن يقول: (أُخذنا في العمْلة الفلانيّة فضُرب فلان مائة سوط فغشي عليه ورُفع محمولاً، وفلان لم يتجاوز السبعين حتى خرًى[١١])، إلى أن يصل إلى نفسه فيقول: (ضُربتُ أنا سبعمائة سوط ورحتُ بقيّة نهاري إلى السجن ألعبُ القمارَ)، ويُكثِرُ من هذا. فكان إذا وقف [......][١٢] على الغلمان وأراد يغيظه ويكايده، يقول: (واللّه ما فلان إلاّ جَلِد على السّياط، ضُربَ مرّةً سبعين سوطاً، وهي أكثر ما ضُرب، فما قامتْ عنده ولا قعدتْ)، فيقول: (سبعين كانت أو سبعمائة؟)، فيقولون له: (لا تكذبْ، ما ضُربتَ قط أكثر من

---

(٦) المفلقة: خشبة التعذيب.
(٧) أ: قال.
(٨) أ: وتد.
(٩) فحَصَ: حَفَرَ.
(١٠) المحارف: المحتال.
(١١) أ: حتى حرى، وربما كانت (حتى خرّ).
ب، ج: حتى يصل.
(١٢) كلمة غير مقروءة في الأصل، وردت هكذا: [تعرلك].

سبعين)، فيخرج ويقول: (ضُربتُ أو ما ضُربتُ، مَنْ ضُربَ شِيْئاً نَفَعهُ)، ثم ينصرف.

* * *

وأمّا علامات الغلام المؤاجر[١٣]

فإنْ يكون إذا مرَّ بأحدٍ فنظَرَه بقي أيضاً هو ناظراً إليه لا يصرف بصرَه عنه. فإن تبسّم مع ذلك تبسّماً خفيًا، أو رنَتْ عيناه كأنّهما تضحكان، فهو يسبقكَ الى المنزل إنْ أشرتَ اليه.

ومن علاماتهم:

أن يكون مُعذّراً[١٤] أو أرِباً[١٥] وليس في ساقيه شَعْر، فانّ ذلك يدل على التنوّر[١٦] أو استعمال حَجَر الحمّام.

ومن علاماتهم:

نتفُ مقدّمات الشّعر من لحيته وعذاريه[١٧].

ومن علاماتهم:

أنْ يكون إذا مشى ينظر في أعطافه[١٨] ويتأمّل في أطرافه. فإن نَظَر إلى ساقيه إذا مشى، كائنةً ما كانت، فهي أكبر[١٩] أمارة على التهتّك في الوجارة. وذلك أنّ اللاطة يقولون: (إن السّاقَ هو الوجه الثاني)، لأنّ الانسان منهم إنّما يلحظ الأمردَ أبداً اللحظة الأولى لوجهه، ويردفها بالثانية لساقيه. فاعتناء الغلام بساقيه من أدلّ الدلائل على فساده وتهتّكه. وإهماله لهما دليل على خلاف ذلك من التصاون.

---

(١٣) المؤاجر: الذي يبيعُ نفسه بأجر.

(١٤) المعذّر: الغلام الذي نبت شعر عذاره، اي جانِبَيْ لحيته.

(١٥) الأرِب: المتبصّر، الناضج.

(١٦) التنوّر: استعمال حجر الكلس، النورة، لإزالة الشعر.

(١٧) العذار: جانب اللحية، أي الشَعر الذي يحاذي الاذن.

(١٨) عطفا الرجل: جانباه من رأسه إلى وركه.

(١٩) أ: من اكبر.

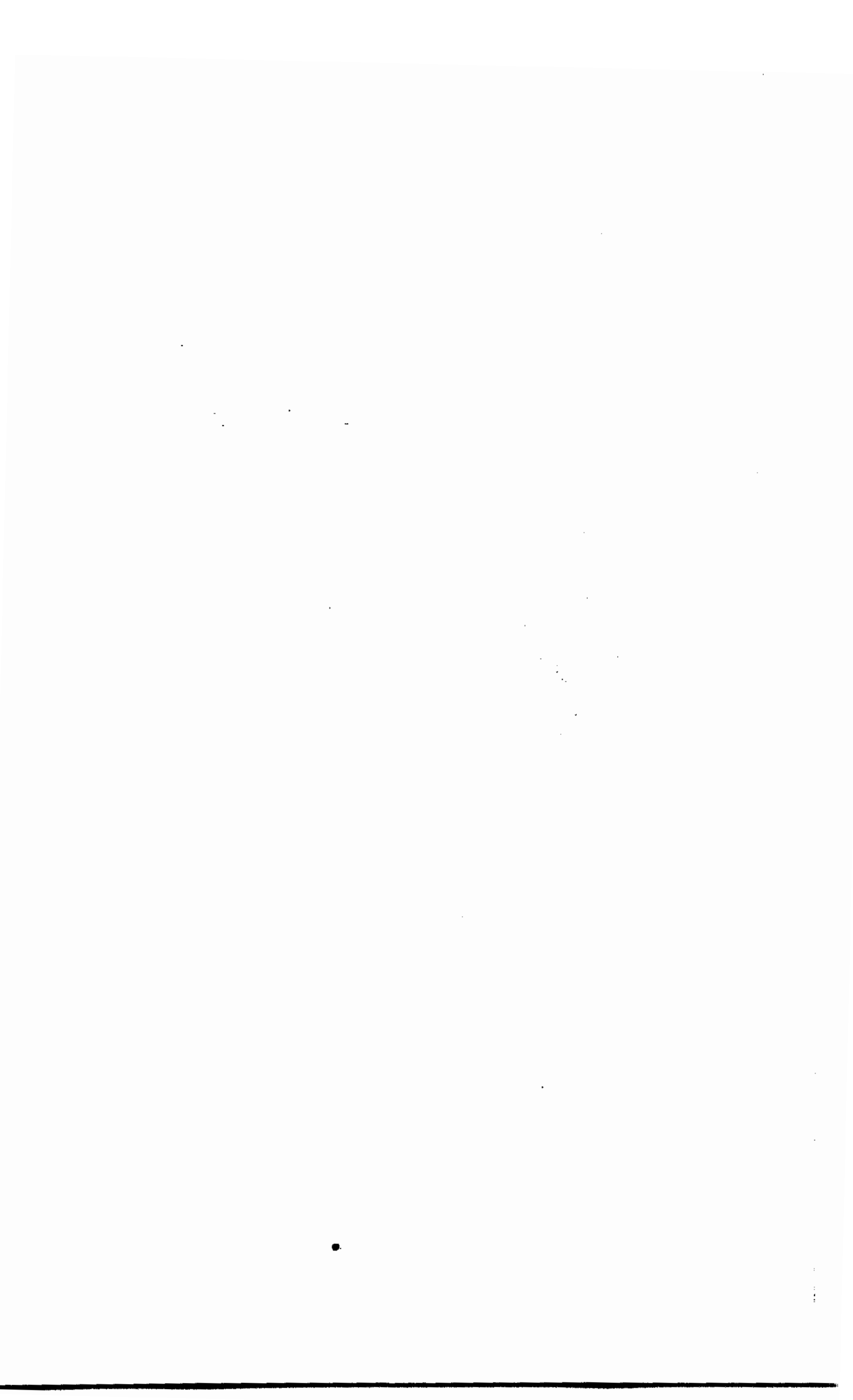
ومن علاماتهم:

إنْ يكن في ساقيـه شَعْـرٌ، او كانا رقيقين، انْ يلبس ثياباً طويلةً إلى الكعب. وإنْ كان ساقاه غليظتين، ولا شَعْر فيهما، ان يلبس ثياباً قصيرة، واللّه تعالى أعلم بالصواب.

* * *

الباب السابع

في نوادر أخبار المرد المؤاجرين ومُلَح أشعارهم



ذُكِرَ إنَّ أبا نوّاس لمّا ظهر في حداثته وملأ العيون جمالاً وظَرْفاً، وشغفَ القلوبَ أدباً ولُطفاً، خَطَبه جميعُ شباب البصرة للصُحْبة والنَّزاهة فقال: (لا أصحب إلاّ فتى حسيباً، اديباً، كريماً، شجاعاً، شاعراً، عربيّاً)، فقيل له: (إنّ هذه الخصال لم تجتمعْ إلاّ في والبة بن الحَبَاب)، فقال لهم: (أنشدوني شيئاً من شعره في النسيب)، فأنشدوه له:

ولها ولا ذَنْبَ لها   حُبٌ كاطراف الرماحِ
جرحتْ فؤادكَ بالجوى   فالقلبُ مجروحُ النواحي

فقال: (ما على هذا مزيد في الرقّة والحلاوة، فأنشدوني من شعره في الوصف)، فأنشدوه من هذه القصيدة[1]:

القي بجانب خصره   امضى من الاجَلِ المُتاحِ
وكانّما ذَرُّ الهَباءِ   عليهِ انفاسُ الرّياحِ

فقال: (ما عن هذا مُعْدِل)، ثم سار إليه حتى وصل فسأل عن منزله فدُلّ عليه.

وكان لوالبة مجلس شراب يجتمع اليه الفتيان، لا يُمنع عن أحدٍ منهم، فأتاه واستأذن فأُذن له ودخل فوجد والبة سكراناً نائماً، فقال لجاريته:

---

(١) يُنسب هذان البيتان إلى إسحاق بن خلف المعروف بابن الطبيب (توفي حوالى ٢٣٠ هـ)، راجع «ديوان الشعر العربي» لأدونيس، ج ٢، منشورات المكتبة العصرية ١٩٦٤ بيروت.

(هل عندكِ من طعامٍ؟)، قالت: (نعم)، قال: (احضريه)، فأحضرت الطعام فأكلَ. ثم قال: (هل عندكِ شراب؟)، قالت: (نعم)، قال: (هاتيه)، فأحضرت الشرابَ وشربَ حتى غلبه السُّكْرُ وبقي نائماً في موضعه. فاستيقظ والبةُ فرآه وسأل الجارية عنه فأخبرته، فمُلِىء به عَجَباً. فاستدعى الطعام فأكل، والشراب فشرب ولم يعرض له.

ولم يزل يشرب حتى غلبه السُّكر فنام في مكانه. وقام أبو نؤاس فسأل الجارية عن أمر والبة، وقد رآه نائماً في مكانه، فعرّفتْه بقيامه وما كان منه، فقام واستدعى ماءً فغسل وجهه به واستنجى[٢] ثم رجع الى مكانه وطلب الطعامَ والشرابَ فأكل وشرب حتى نام مكانه. ثم قام والبةُ ففعل كفعله الأول.

فيُذكر أنّهما أقاما على تلك الحال أيّاماً، يأكلان ويشربان وهُما في مجلس واحد لا يلتقيان. فلما طال ذلك على والبة قال للجارية: (إذا قام وطلب الطعام فامطليه[٣] به حتى أقوم)، فقام أبو نؤاس كعادته وطلب الطعام فقالت له الجارية: (لم يتهيّأ بعد)، فقال لها: (إنّي لأعلم ما تريدين، فقد قال لكِ إمطليه بالطعام حتى أقوم)، فقالت له: (ما اظنكَ إلّا شيطان).

ثم قام والبةُ فسلّم عليه وسأله عن أمره فعرّفه بجميع حاله وإنّه أتاه ليتأدب عليه. فاستُطير به طرَباً وبعث إلى جماعة من الفتيان كانوا يعاشرونه وصنع لهم طعاماً وشراباً.

ولم يزل معه بقيّة سنته، ثم سأله أنْ يُخرجه إلى البادية ليسمع كلام العرب بها وينقل عنهم اللّغة ويروي من أشعارهم، ففعل ثم عاد إليه. وكانت مدّة صحبته له عشرين شهراً.

ويُحكى أنّه لمّا خلا به أوّل خلوة هابه والبةُ أنْ يكلّمه، وفهم عنه أبو نؤاس، فأنشده:

---

(٢) استنجى: غسل موضع النجو، اي الفضلات.

(٣) إمطليه: سوّفي بوعد الوفاء مرّة بعد اخرى، اي اخّريه.

فيمــا تــلاحظني بــه امـرٌ تحمحـمُ دون ذكـرهْ
وعلــى المُحـبِّ علامـةٌ يبـدو بهـا مكنون سـرّهْ
وانـا المطيعُ كما يطيـ ـعُ العبدُ مولىً عند امرهْ
فادخلْ بنـا بيتَ المَقيل[4] وولِّنــي إسبــال سـتـره

فعند ذلك قام اليه والبةُ واضجعَه وكشف عن اسْته فرأى شيئاً راعَهُ بياضُهُ وحسنه ونعومته، فلم يتمالك أنْ انكبَّ على اسْته فقبّلها، فضرط أبو نؤاس على الفور ضرطةً عاليةً فارتاع والبةُ، فظنّ أنّه جاهله وبايَنه[5]، ووثب على سكّين كانت في بيته فاخترطها، وأبو نؤاس مضطجع لم يتغيّر عن موضعـه، فرفـع رأسه اليه وقال له: (لا تفزعْ، إنّما سمعت الناس يقولون: جزاءُ من قَبّلَ الاسْتَ ضَرطةٌ، فأحببتُ أنْ لا يضيع المَثَلُ)، فعظم في عين والبة وعلم أنْ سيكون له شأن. وسنذكر في آخر هذا الباب كيف كانت مفارقته له.

* * *

وحدّثَ أبو السّماح، قال:

قلتُ لوالبـة، وكنتُ أرى عنـده أبـو نؤاس وهـو غلام حسنُ الوجه فيُعجبني: (أنا واللّهِ أشتهي أنْ أختلي بغلامِكَ)، فقال لي: (ويحكَ، أما تستحي؟ هو غلامي)، فقلت له: (هو ما قلتُ لكَ)، قال: (فلا تبرحْ حتى يجيء)، فجاء أبو نؤاس فقال له والبةُ: (إنّ أبا السّماح يشتهيكَ)، فقال له أبو نؤاس: (جُعلتُ فداكَ، أتأمرني بحُسن التبعّلِ[6] وتقضي بي حوائجَ اخوانك؟).

قال أبو السّماح:

فقلتُ لوالبة: (ويحكَ إحْذرْ هذا، فإنّه إنْ بقيَ كان داهيةً).

* * *

(٤) المقيل: النوم أو الاستراحة في الظهيرة.
(٥) باينه: هاجَرَهُ.
(٦) هامش للناسخ في أ: [أصل التبعّل طاعة البعل واستعمالها في طاعة النكاح].

وحدّث أبو سعيد الجَهْني، قال:

كان لي أخ يُقال له: بدر، وكان يتغنّى ويألف الغلمان، وكان أبو نؤاس معه. ثم تنسّكَ وفارقه أبو نؤاس مدّةً. (قال) فحدّثني أخي، قال:

رأيتُ أبــا نؤاس ببغـداد ومعي أولاد لي وهــو على برْذَون[7] اشهب، فعرفني ولم أعرفه فسلّم عليّ فأنكرتُه، فقال: (ويحكَ يا بدر، أما تعرفني؟)، فقلتُ: (لا)، قال: (أبــو نؤاس)، فســألته عن حاله فقال لي: (مَنْ هولاء الصبيان الذين معك؟)، قلتُ: (أولادي)، قال: (فلا إله إلاّ اللّه، كاد هؤلاء الصبيان يكونون منّي لو بقيتُ معكَ قليلاً أو أؤاجر)، فقلتُ: (إذهبْ قبّحكَ اللّه وقبّحَ ما جئتَ به)، فقال: (هو ما قلتَ)، ومضى وهو يضحك.

* * *

وحدّث رجلٌ من فتيان البصرة وأدبائها، قال:

اتى أبا نؤاس، وهو غلام مليح، رجلٌ لائط فغمزه، فقال: (كنْ أمامي)، ثم لقيه آخر، فغمزه فقال: (كنْ من ورائي)، ثم اجتاز عليَّ، وأنا في الطاق، فغمزتُه ليصعد فقال: (أصعدُ ومعي اثنان، وقد سبقكَ ذانكَ المتقدمان)، واشار إلى الرجلين فقلتُ: (أتؤاجر بإعراب؟)، فقال: (وهل ينقص الإعرابُ لذّةً؟)، فعجبتُ من إعرابه في تلك الحال.

* * *

وراودَ رجــلٌ من أصحــاب الحـديث غلامــاً عن نفســه، فقــال: (ما تعطيني؟)، فقال: (أستغفرُ اللّهَ لكَ ما دمتَ حيّاً، وأقرأُ على قبركَ إذا متُّ)، فقال الغلام: (فاقرأْ بالعاجل على أيركَ: (وردَّ اللّهُ الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا)[8]).

* * *

(٧) البرذون: دابّة الحمل الثقيل.

(٨) سورة الاحزاب ـ آية ٢٥.

فسَقَ رجـلٌ بغلام، فقال له الرجل: (إنزعْ خُفَّكَ)، فقال: (أخافُ أنْ ينتقض وضوئي).

* * *

قيـل لغـلام: (إنّ مولاكَ في إضـاقةٍ[9] وأنتَ تلبس مثل هذه الثياب السَّرِيّة[10]، فمن أين لك هذا؟)، فقال: (أتنكرون هذا ودار الضَّرْب[11] في سروالي!؟).

نظم هذا المعنى ابنُ الرّوميّ، فقال:

ومؤاجرٍ عجبَ الأنامُ، وقد راوا من بعد عسْرتِه، غزارةَ مالِهِ
فاجبتهُمْ: ممَّ التعجّبُ، كيف لا يثرى ودارُ الضَّربِ في سروالِهِ؟

* * *

قدمَ غلام حِمْصيّ بغـدادَ فواجـرَ بها حتى حسنت حاله، وقدم عليهِ بَلَديٌّ[12] فسأله عن خبره، فقال: (يا مولاي، إسْتُ نقيّة ببغداد خير من طاحون بحِمْص).

* * *

حدّثَ طاهر بن عبدالله الكاتب، قال:

كان لي غلام يبطيء إذا أرسلتُه في حاجةٍ، فبلغني[13] أنّه يؤاجر، فقلتُ له: (ويحكَ، اشتريتُكَ لتخدمَ أو لتؤاجرَ؟)، فقال: (يا مولاي. ما عليكَ، إذا سعيتُ في حوائجكَ ولم اقصّر في خدمتِكَ، أنْ انفعَ نفسي من حيث لا اضرك؟).

* * *

---

(٩) الاضاقة: الفقر.
(١٠) السريّة: الباذخة.
(١١) دار الضرب: الموضع الذي تُضرب فيه الدراهم، اي تُسكّ.
(١٢) اي من اهل بلدته.
(١٣) أ: يبلغني.

وقال سعيد بن وَهْب:

غضبتُ على غلامٍ لي فبطحتُه وكشفتُ اسْته لأضربه عليها وقلتُ له: (يـا ابن الصـانعـة، غرّتْك إسْتُكَ هذه حتى اجترأتْ عليَّ هذه الجرأة، وسأريكَ هوانها عليَّ)، فقال: (طالما غرّتْكَ هذه الأسْتُ حتى اجترأتْ على ربِّكَ، وسوف ترى هوانكَ عليه[14]).

(قال):

فورد عليّ من قوله ما حيّرني وأسقط السّوط من يدي.

* * *

أمرَ بعضُ الأمراء خادماً له أنْ يحضر غلاماً سمّاهُ، من مماليكه. فمرّ الخادم ليحضره فإذا هو قد أكل تسقيةً كثيرة الثّوم، فقال له: (قمْ فإنّ الأمير يدعوكَ وهو في الخَيش[15])، فنهض الغلامُ فقال له الخادم: (إغسلْ يدَكَ)، قال: (يا كِشْخان[16]، فإنك ترى بعد ساعةٍ من رائحة الخراء ما تصير معه رائحة الثوم ندّاً[17] وعنبراً).

* * *

قال بعضهم:

غمزتُ غلاماً، فلما حصّلتهُ وأعطيتهُ الفضّة نام على قفاه وضمّ فخذيه، فقلت: (مـا هذا، لِمَ لا تدور؟)، فقال: (زدْني قطعةً أخرى حتى أدور)، ففعلتُ. فلمّا استويتُ على ظهره قال: (زدْني قطعةً أخرى حتى افعل شيئاً أطيب من هذا كلّه)، قلتُ: (وما هو؟)، قال: (أستلقي على ظهري وأرفع[18] رجليّ من قدّام)، ففعلتُ ورفعَ رجليه. فلمّا مُكّنتُ منه قال: (هل لكَ في شيءٍ هو أطيب من هذا كلّه؟)، قلتُ: (وما هو؟)، قال: (زدْني قطعةً أخرى حتى

---

(١٤) ب: عليها.

(١٥) الخَيش: ثياب في نسجها تخلخلٌ وخيوطها غلاظ من الكتّان.

(١٦) الكِشْخان: القوّاد الذي لا غيرةَ له.

(١٧) النّدّ: عود يُتبخّر به.

(١٨) أ: وأفعل.

ب، ج: وأرفع.

انوّمكَ وأُقيمُ ايرَكَ بيدي واقعد عليه وانتَ نائم لا يمسّك تعبٌ ولا نَصَب[١٩]).

(قال):

ففعلتُ، فلمّا استوى فوقه تحرّكَ ثمّ قال: (تزدني قطعةً أُخرى حتى أخرّيَ لكَ عليه؟). (قال): فقلتُ: (لا يا ابن المؤاجرة، قمْ لا أصحبكَ اللّهُ بسلامةٍ).

* * *

سأل بعضهُم غلاماً وشارَطَه على أنّه إنْ عملَ بين الفخذين بدرهم، فإنْ دخلَ البيتَ فبدرهمين، فدخل البيت. فلمّا كان وقت الوزن أعطاه درهماً واحداً فقال له الغلام: (لا آخذُ إلّا درهمين)، قال الرجل: (لا أزيدُ)، قال الغلام: (فبيني وبينك القاضي)، قال: (وما تقول للقاضي؟)، قال: (السّاعةَ تسمع)، ثم حمله إلى القاضي. فلمّا جلس بين يديه قال الغلام: (أعزّ اللّهُ القاضي، إنّي أكريتُ هذا الرجل حماراً إلى باب المدينة بدرهم، وإنْ دخل المدينة فبدرهمين. فدخل المدينة وسار فيها ولم يوفني حقّي)، قال الرجل: (أعزّ اللّهُ القاضي، دفعَ اليّ حماراً لم أضبطْه، حملني ودخل في المدينة).

(قال):

ففكّر القاضي ساعةً ثم قال له: (زِنْ له درهماً ونصف، فإن خير الأمور أوسطها).

* * *

ونظر أمرد في مرآةٍ فرأى الشّعر قد تكاملَ في عارضيه فتلا: (فنظر نظرةً في النجوم. فقال إنّي سقيم)[٢٠]، فقال له قوّادهُ: (فتولّوا عنه مدبرين)[٢١].

* * *

(١٩) النَصَب: العناء، اي ان الانسان لا يزال منتصباً حتى يُعيِيَ.
(٢٠) سورة الصافات، الآيتان ٨٨ ـ ٨٩.
(٢١) المصدر نفسه، الآية ٩٠.

وسأل عبادة غلاماً، وكان بالغاً يصلح للأمرين، فأعطاه عشرة دراهم وناكه. ثم دعاه الى نفسه فامتنع عليه، فقال له عبادة: (ما تريد؟ ألم أعطكَ عشرة دراهم؟) فقال: (بلى، ولكن لصنفٍ واحد)، وكان عنده في البيت مِقْنَعةٌ[٢٢] صفراء لأمّ عبادة فقال: (أعطني هذه المِقْنَعة)، فقال عبادة: (هي لأمّي، وأخشى أنْ تفطن)، فقال الغلام: (فقلْ لأمّكَ تنيكَكَ).

فما زال حتى أخذ المِقْنعة وناكَه.

* * *

قال مؤلف الكتاب:

كنتُ في تأريخ تأليف هذا الكتاب بدمشق ذات يوم مارّاً بجسر نهر برَدى، وإذا أنا بغلام رائق المنظر، صغير السن، دون البلوغ، عريان لا يواريه شيءٌ أصلاً. وهو جالس في شطّ الجسر يبكي أحرّ بكاء والغلمان يسبحون في النهر تحته، والناس يمرّون به يميناً وشمالاً ولا يكلمونه. فأدركتْني عليه شفقة وأردتُ أعرف حديثه فقلتُ له: (ما شأنك؟)، فلم يكلّمني وزاد في البكاء والضجيج وصار يقول: (اليومَ أموتُ، اليومَ تقتلني)، وإذا بغلام في سنّهِ واقف بحذائه، فقال لي ذلك الغلام: (يا سيدي، هذا الغلام جاء يسبح في النهر ووضع ثيابه على الحجَر فسُرقتْ، وله أمّ عجوز صالحة، لها تغزلُ له فيها مدّة كبيرة. وهي تقتله اليوم إنْ رجع لها عريان، وقد تعصّب[٢٣] الناسُ يجمعون له شيئاً يخلف به بعض قماشه)، فأخرجتُ المنديل من كُمّي وفتحته على أنْ أدفع له منه شيئاً، فأشار إليّ شابٌ على بُعد الّا أفعلَ. فسرتُ إليه وسألته عن السّبب فقال لي: (هذا عِلقٌ[٢٤] مقامرٌ إبنُ قحبةٍ قوّادةٍ، عادتهُ يفعل كذا، ويأخذ الذي يحصل له، يقامر به ويقسمه مع ذلك الغلام الآخر، وهو قوّادُهُ. والناس

(٢٢) المقنعة: ما تغطّي المرأة رأسها به، وهو أصغر من القناع.

(٢٣) تعصّب (له): مال اليه وَجدَّ في نصرته.

(٢٤) العلق: الشاذ جنسياً، ولعلّه تصحيف (علج).

يعرفون ذلك منه، وإنّما يصطاد الغرباء، وأنتَ يظهرُ أنّكَ رجل غريب، فوفّرْ عليكَ رَحْلَكَ[٢٥])، فجزيته خيراً وانصرفتُ.

* * *

ونظر رجلٌ الى غلام وضيء الوجه وبوجهه أثَرٌ، فقال وقد أدمن النظر إليه: (يسألكَ اللّه عن سوء ظنّك)، فقال الرجل: (بلْ يسألكَ اللّهُ عن سوء صَرْعك[٢٦]).

* * *

قال بعض اللاطة:

رفعتُ[٢٧] غلاماً صوفيّاً، فكنتُ كلّما أولجتهُ فيه قال: (أستغفرُ اللّه)، فإذا أخرجتهُ يقول كذلك إلى أنْ فرغنا، فقلتُ له: (لِمَ تفعلُ ذلك؟)، فقال: (إدخالُكَ إيّاه سيّئةٌ، وإخراجُكَ إيّاه سيّئةٌ. وقولي «أستغفرُ اللّه» حَسَنةٌ، وقد قال اللّهُ تعالى: (إنّ الحَسَنات يُذهبن السيّئات)[٢٨]. فأقومُ وليس عَليّ ذَنْب).

(قال):

فقلتُ له: (هذا العلم أُخبرتَ عنه، أو لُقّنتَه؟)، فقال: (شيخي ذَكَر لي ذلك).

* * *

حدّث أبو نؤاس عن نفسه، قال:

أوّل شعر قلته أنّي مررتُ وأنا غلام، وقد كنتُ تأدّبتُ بمِرْبَد[٢٩] البصرة، فاذا أنا بأعرابيّ قد باع إبلاً له وهو جالس يَميز[٣٠] أثمانها. فأعجبتني

---

(٢٥) الرَّحْل: متاع المسافر.

(٢٦) الصَّرْع: الطرحُ بالأرض.

(٢٧) (رفعَ) هنا بمعنى (أخذَ).

(٢٨) سورة هود، آية ١١٤.

(٢٩) المربد: المكان الذي تحبس فيه الابل وغيرها، ومربد البصرة مكان مشهور بذلك.

(٣٠) يميز: يفرز.

فصاحته حين تكلّم، فجلستُ بالقرب منه فجعل ينظر إليّ فقلتُ: (مالكَ تنظر إليّ؟)، فقال: (إنّي وأيتُكَ[٣١])، فقلتُ: (انشدْني من قولك)، فأنشد قصيدةً تصف الطلول والابل على قافية النون، فقلت: (انا أقول أحسن من هذا)، قال: (هاتِ)، فلم أزل افكّر وأُجهد نفسي حتى قلتُ:

احسنُ ممّا تضمّنُ الفطَنُ ... وبلدة قد ابادها الزمنُ
ومن طلولٍ طال الزمانُ بها ... يحسن فيها البكاء والحزَنُ
ظبيٌ اعارَ الظباء مقلتهُ ... كانّه من جمالهِ وسَنُ
شمسُ ضياءٍ على كثيبِ نقا ... يعدله عند ميلهِ الغصنُ

فقال لي: (هـذه صورتكَ فِداكَ أبي وامّي، ولم اعلمْ بأنّكَ على هذا الظَّرف)، وضرب بيده في الدراهم فأعطاني منها كفّاً، فأخذتُها واحببتُ قولَ الشّعر.

* * *

وحدّث أبو نؤاس ايضاً عن نفسه، قال:

كنتُ وانا حَدَث أُحبّ غُلاماً بالبصرة واتمنّاه، فلقيتهُ بالمِرْبد فسألتُه أنْ يجيئني فقال: (إنْ كنتَ تحبّ ذلك فانظرْ لي مغنيّةً متظرّفةً فعدها لي)، فمرّتْ بنا امراةٌ في الحال فقال لي: (هذه الشُرْطة[٣٢] دونكَ إنْ أحببتَ)، فقمتُ ولم أتمالك أنْ وضعتُ يدي في المراة فصاحتْ واستغاثت ووافتني الأيدي، و تنحّى الغلامُ جانباً يضحك. فاحتلتُ حتى تخلّصتُ منهم.

* * *

وحكى الجمّاز، وهو أبو عبدالله محمد بن عمرو بن حمّاد بن عطاء بن ياسر، وكان مصاحباً لأبي نؤاس وللجاحظ، وكانت أبياتهم[٣٣] متقاربة، قال:

---

(٣١) الواي: الوهم او الظنّ.

(٣٢) الشُرطة: ما اشترطته.

(٣٣) ب، ج: انسابهم.

كنتُ أنــا وأبو نؤاس ونحن أحداث، قاعدين بباب عثمان إذْ مرَّ بنا أحمد بن عبدالوهاب الثّقفي، وهو غلام حَسَن الوجه، فقال له أبو نؤاس: (قبّلْني قبلةً)، فقال: (إمْدحني ببيت حتى أفعل)، فقال:

حُبّك يـا احمد اضناني   يـا قمراً في شخصِ إنسانِ

فقبّله قبلةً، فقلتُ: (ما شأني أنا؟)، فقال: (امتدحْني)، فقلتُ:

بذلـتَ للأولِ مـا يشتهي   فابذلْ ابـا العبّاس للثانـي

فقبّلَني، فقال له أبو نؤاس: (وهذا البيت يبقى عندكَ أيضاً[٣٤]) وهو:

يـا وردةً اعجلَها قاطـفٌ   مرّتْ بنـا في بـابِ عثمانِ

* * *

وكان سبب مفارقة أبي نؤاس لوالبة أنّه كان ذات يوم يفعل به فأنشده، وهو على ظهره، يقول:

يـا عجَباً مـن شاعرٍ مُفْلـقٍ[٣٥]   ينيكـهُ والبــةُ بـن الحَبَـابْ

ففزع والبةُ منه ووثب قائماً عنه وقال له: (تنحّ عنّي) خوفاً من لسانه، ففارقه.

* * *

وكتب رجـل من اللاطة لابي نؤاس شعراً، وهو أمرد، يستعطفه به. فكتب اليه أبو نؤاس يجيبه:

إنّ امتداحَـكَ لـيْ بـلا ورقٍ   مثل الجـدار بنى علـى جـصِّ
خيـرٌ لعمـركَ مـن مديحـكَ لِيْ   سودُ النعـالِ ولينُ القُمُـصِ
فـدع المديحَ واهـدِ لِيْ ورِقاً   فـإذا فعلتَ فلستُ استعصـي

* * *

(٣٤) ج: دَيناً.
(٣٥) المفلق: الحاذق.

وذُكِرَ أنّ مُصْعَباً كتب إلى غلام يحبّه:

يـا حَسَناً وجهـهُ ومئـزرهُ ومَـنْ يروق للعيـون منظـرهُ
زرْنـا لتحيا بك النفوسُ فمـا يطيـبُ عيشٌ ولستَ تحضـرُهُ

فكتب اليه الغلام يقول:

دعْني من المدحِ والهجاءِ ومـا اصبحـتَ تطويـه وتـنشرهُ
واهـد لي إنْ اردتني ورَقـاً فـذاكَ شيءٌ يطيب مخبـرُهُ
لو وضِـع الدرهمُ الصحيحُ على الفـولاذِ عندي لذابَ اكثـرُهُ

* * *

وذُكـر عن بعضـهم أنّـه كتب إلى غلام يحبّه يعاتبه في تأبّيهِ[٣٦] عليه وهجره إيّاه:

ـ شعر ـ

يا حبيباً إلى القلوب ويا مَنْ هو منّي بما أُكاتِمُ عالِمْ
ليتَ شعري كم استميلُكَ بالصبرِ على الهجر منك مَعْ ما أُكاتِمْ
ولعمري لقد تمادى إلى العلـ ـياء آلاؤك[٣٧] الكرام الخضارِمْ
فانلْني الوصالَ منكَ، فما الصدّ مِنْ فعـلِ اهـل المكارِمْ

فأجابه الغلام:

انتَ تبغيَ شيئاً، وتاتيه من بـ ـابِ سوى بابِهِ، كانّكَ نائمْ
حِين تبغي وصالَنا بمديحٍ فيهِ نُعزى إلى العُلى والمكارِمْ
وَلاجدى مـن المدائحِ نفعاً واضحاتٌ مثل النجوم العوائمْ
فاستملْني بها تجدني مطيعاً ما استمالَ النفوسَ مثل الدراهِمْ

* * *

وللمليحِ يندبُ زمانَ صباه:

ـ شعر ـ

سقى اللّهُ ايامَ الصبا وعصابةً من المُردِ نلهو كلّ يوم ونقصفُ
زمان لنا في كلّ لحظٍ إشارةٌ ومِنْ كلّ قلبٍ رقّة وتعطّفُ

---

(٣٦) تأبّى: امتنع.
(٣٧) الآلاء: النِّعَمُ.

وكلّ الورى في فتنة من لحاظنا [وانفسهم من شدّةِ الوجدِ تتلفُ
فلما التحينا اعرضوا عن وصالنا][38] فصرنا لهم من شهوةِ النيكِ ننتفُ

* * *

وهذه حكاية غريبة تشتمل على دعاءٍ ظريف رأيتُ أنْ أختم به هذا الباب:

كان قاض يعِظُ فأقبل إليه جماعة من المُرْد للوقوف على حلقته، فلما رآهم مقبلين قال: (يا قوم امّنوا[39] على دعائي فإنّ العدو قد كثر). وقال:

(اللّهـمَ امـنحنـا اكتـافهم، اللّهمَ كبّهمْ[40] على وجـوههم، وولّنـا أدبارهم[41]، وأرِنا عوراتهم، وسلّطْ رماحَنا[42] عليهم).

والناسُ يؤمّنون على دعائه، ولا يدرون ما عنى بدعائه، لأنّه عندهم يدعو على المشركين.

* * *

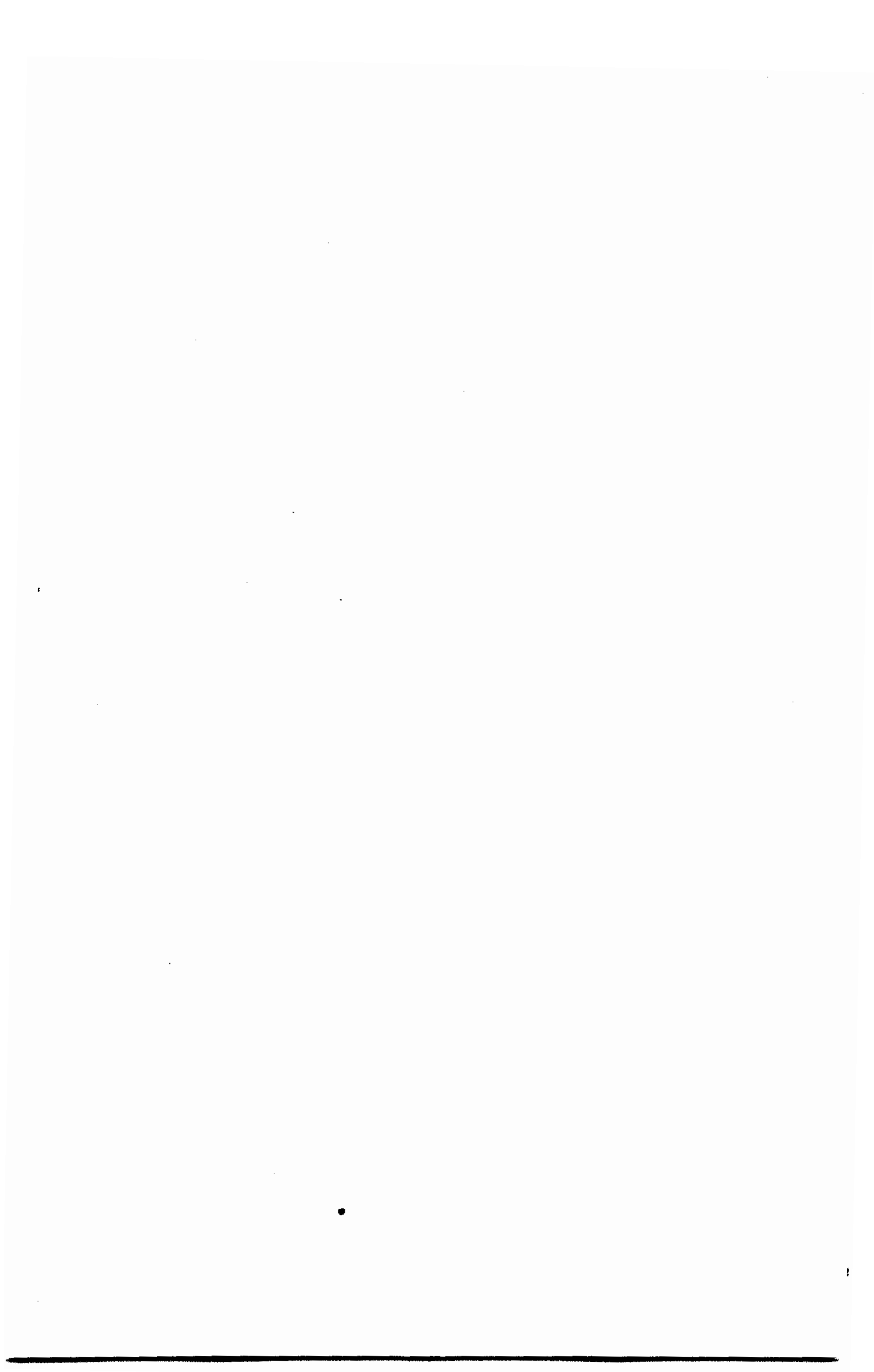
(38) ما بين القوسين ساقط من ا، وهو في ب، ج.

(39) امّن: قال آمين.

(40) كبّهم: اقلبهم.

(41) أدبارهم: مؤخراتهم.

(42) التورية واضحة هنا، فذَكَر الرجل هو: رُمَيْحه (لسان العرب).



الباب الثامن

في نوادر أخبار اللاطة ومُلَح أشعارهم

قد ذكرنا جُملةً من أخبار الزّناة وأشعارهم بذكر أسمائهم، مع شرط الاختصار والاقتصار على مُلَح الأشعار والأخبار. فأمّا هذا الباب فاعلمْ أنّ جمهور الأدب ومعظم ذوي الرتب منسوبون اليه، ولذلك خشينا أنْ نُصرّح بأسمائهمَ فيه خوفاً من التنديد[1] عليهم. على أنّ منهم مَنْ كان يذهب فيه مَذْهب التظرّف والعشق الروحانيّ، لا البهيمي، ويجعله رياضةً للنفس وتهذيباً للأخلاق وشحذاً للفكر وجلاءً للبصيرة والبصر، مع التنزّه عمّا رآه العامة من الفَجْر.

* * *

فمنهم أبو حاتم السِّجستانيّ.

ثبتَ عنه انّه كان من أفضل اهل زمانه علماً وورعاً، وانّه بلغ من ورعه وفضله انّه كان يتصدّق كلّ يوم بدينار ويختم القرآن في كلّ أسبوع، ومع ذلك فكان أظرف أهل زمانه وأطيبهم خلوةً وأكثرهم فكاهةً. وكان مولعاً بالغلمان يذهب فيهم مذهب الاستمتاع بالنظر لا قضاء الوَطَر.

وذُكرَ انّ المُبرِّد كان يحضر حلقته يقرأ عليه، وكان المبرّد من أجمل أهل زمانه، فقال فيه أبو حاتم:

---

(١) التنديد: التصريح بالعيوب.

- شعر -

مـاذا لقيتُ اليومَ مِـنْ مستحسـنٍ[٢] خنـث الكـلامِ
وقـفَ الجمـالُ بوجهـه فسمـتْ لَهُ حـدقُ الأنامِ
حركـاتُـهُ وسكونـهُ يجنى بها ثمر الأثامِ
فـإذا خلـوتُ بمثلـه وعزمـتُ فيه علـى اعتزامِ
لـم اعـدُ افعالَ العفافِ وذاكَ اوكـد للغـرامِ
نفسي فداؤكَ يـا ابـا العـ ـبّاس حلّ بـك اعتصامي[٣]
فارحـمْ اخـاكَ فـانّه نـزر الكرى بـادي السّقـامِ
وانلـه مـا دون الحَـرامِ فـليس يطمعُ فـي الحرامِ

* * *

وذُكـرَ أنّ أبا العبّاس بن سُرَيج الشافعيّ وأبا بكر بن داود العبّاسيّ اجتمعا في مجلس الوزير أبي الحسن علي بن عيسى الجرّاح، فتناظرا في الإيلاء[٤]. فقال ابن سُرَيج لأبي بكر: (أنتَ بقولكَ «مَنْ كثرتْ لحظاته دامتْ حسراته» أبصَر منكَ بالكلام في الإيلاء)، فقال أبو بكر: لأنْ قلتَ ذلك فإنّي أنشدتُ:

انزّهُ في روضِ المحاسن مُقلتي وامنع نفسي انْ تنالَ محرّما
واحملُ من ثقلِ الهوى مَا لو انّه يُصبّ على الصخرِ الاصمّ تهدّما
وينطقُ طرْفي عن مترجمِ خاطري فلولا احتلامي ردّه، لتكلّما
رايتُ الهوى دعوى من النّاس كلّهمْ فلستُ ارى حيّاً، صحيحاً، مسلّماً

فقال أبو العباس: لم تفتخرْ عليّ، ولو شئت لقلت[٥]:

ومطاعمٍ لـيْ الشّهدَ مـن نغماتهِ قد بتُّ امنعه لذيـذَ سناتهِ

---

(٢) ا: مستحن.
ب، ج: مستملح.
(٣) ا، ب، ج: اعتصام.
(٤) الإيلاء (في اللغة): الإمتناع باليمين.
(في الشرع): الإمتناع باليمين عن وطءِ الزوجة.
(٥) ترد الأبيات في نسخة ج هكذا:
ومطعم لي الشهد من نغماته قمر جفا جفني لذيذ سناته
اهفو لصدق حديثه وكلامه واكرر اللحظات في وجناته
حتى إذا ما الصبح لاح عموده ولّى بخاتم ربّه وبراته

صبّاً يحنّ حديثه وكلامه ... واكرّر اللحظات في وجناته
حتى إذا ما الصبح لاحَ عمودُهُ ... ولّى بخاتمِ ربّه وبراتهِ[٦]

فقال أبو بكر: (أصلح اللّهُ الوزيرَ، يحفظ عليه قوله حتى يقيم شاهدين عدلين أنه: ولّى بخاتم ربّه وبراته)، فقال أبو العباس: (يلزمني في هذا ما يلزمُكَ في قولك: أنزّه في روض المحاسن مقلتي)، فضحك الوزير وقال: (لقد جمعتما ظرفاً ولُطفاً وفهماً وعلماً).

قال مؤلف الكتاب:

فهكذا ينبغي أنْ يكون الناس مثل هؤلاء الأذكياء الظرّاف، لا كمثل الأخلاف الأجلاف.

* * *

وحدّثني بعض الفضلاء من أهل الأدب في هذا العصر، قال:

أخبرني رجل كان يخدم إماماً من أئمّة العلم والفضل والدين ببغداد، قال: كنتُ يوماً سائراً خلفه حتى لقي غلاماً حسن الصورة، بارع الجمال، فلحَظَه ثم التفتَ إليّ فقال: (كم معك من نفقتنا؟)، فقلتُ له: (ثمانية دنانير)، فقال: (إدفعها لهذا الغلام والحقني به في الدار)، ففعلتُ ووافيته بالغلام فأدخلته وهو جالس في صدر الأيوان، فلما رآه مقبلاً استدعاني ثم قال لي: (ويحكَ، أخرجْه عنّي، واتركْ له ما أخذَ)، فأخرجتُه ثم عدتُ اليه فسألته عن السّبب في ذلك فقال: (رأيتُ صورته الحسنة فارتاحتْ نفسي لمحاسنه والأُنس بهِ والاستمتاع بالنظر إلى حرمات وجهه ومحاسنه، ورياضة النفس بمشاهدته ومفاكهته. فلما دخل عليّ رأيتُ شَعْره منتفشاً على أذنيه، وسمعتُ في نعله حسَّ مسامير، فقلتُ: (هذا جِلْفٌ عاميّ، تؤلم قلبي معاشرته، ولا تفي راحة نظري منه بلذة صبري معه، فصرفته).

* * *

(٦) خاتم ربّه: بكارته. براته: براءته.

قال رجل:

رأيتُ شُريحاً القاضي يجول في بعض الطرق فقلت: (ما عدا[٧] بكَ؟)، فقال: (عسيتُ أنْ أنظر صورةً حَسنة).

* * *

فأمّا ما عدا هذه الطبقة، ممّن يجري في هذا الباب مجرى مَنْ ذكرناه من الزّناة، فإنّا نذكر منهم من اشتهر بهذا الفنّ وأكثرَ منه حتى عُرف بهِ فلم ينكرْ نسبه إليه، أو نذكر مُلَح الحكايات الواقعة لمن اشتهرَ بذلك دون أنْ نذكر إسمه، صيانةً لذِكْره من الابتذال:

قال بعضُ النخّاسين:

كان أبو نؤاس يوماً قاعداً عندنا في سوق الرقيق ونحن نعرض الجواري، فاشترينا عدّة وبعنا عدّة، وكنّ حسان المنظر كواعب، أحداق العيون منهن سود، فقلتُ له: (يا أبا عليّ جُعلتُ فداكَ، تترك مثل هؤلاء وتزهد فيهنّ وترغب في الغلمان؟)، فقال:

مَنْ كان تعجبه الأُنثى ويعجبها ... من الرجال، فإنّي شفّني ذكَرُ
فوق الخماسي[٨] لمّا طرّ شاربُهُ ... خصّ[٩] النبات خلا من جلدِهِ الشّعَرُ
لم يخفِ من كِبَرٍ عمّا يُراد بهِ ... من الامور، ولا ازرى به الصّغَرُ

* * *

وأنشد بعضُهم:

الا يا عاشق النسوان جهلاً ... رضيتَ بأنْ تكون ابا البعولِ
اترضى عن هوى مَنْ ليس ترضى ... على ضيقِ الهوى، الفي خليلِ؟

* * *

(٧) عدا: احضر.

(٨) الخماسيّ: الغلام الذي يبلغ طوله خمسة اشبار، وهو دون المراهق.

(٩) الخصّ: ذهاب الشعر. وربما كانت الجملة هنا [خصّ الثياب] كاحتمال ضعيف.

ولأبي نؤاس مثله:

لا اركبُ البحرَ ولكنّني اطلبُ رزقَ اللّهِ في الساحلِ

* * *

وله:

ولائمةٍ تلومُ على هوائي لأمردَ اجردٍ مثل المهاةِ
الختارُ البحارَ على البراري وحيتاناً على ظبي الفلاةِ؟
دعيني لا تلوميني فإنّي على ما تكرهينَ إلى المماتِ
بذا اوصى كتابُ اللّهِ فينا بتفضيلِ البنينَ على البناتِ

* * *

وله:

ولستُ براكبٍ للبحرِ حتّى أوسّدَ بين اطباقِ الترابِ
ولا واللّهِ اركبه حراماً ولا حلّاً إلى يومَ الحسابَ
فما نكحَ القحابَ فتى كريمٌ ولا كهلٌ تعصّى بالخطابَ
سوى سفلٍ واشرارٍ رذالٍ وعند العجْزِ مكسور النّصابَ
ايزنيَ من له امٌ واختٌ؟ الا هذا منَ العجبِ العجابَ
الا قبحَ الزناةَ اللّهُ ربّي وردّهمُ إلى شرُّ المآبِ
واسكنَ في جنانِ الخُلْدِ قوماً راوا ترك الزّناء من الصوابَ
وتاتي المُردَ في الافخاذ منهمْ فهذا اللّغو ليس بذي ارتيابَ
رواهُ يوسفُ وابو عبيدٍ وشيخُ القومِ والبةُ الحَبَابِ[10]
وحدّثنا به التيميُّ ايضاً واخبرنا بهِ عمْرو بن ذابِ

* * *

ومن بديع شعر أبي نؤاس وجيّده وصحيحه في هذا الباب، وهو:

كأنّ ثيابه اطلعـ ـنَ من ازراره قمَرا
يزيدُكَ وجهُهُ حسْناً إذا ما زدتَهُ نظَرا
بعينٍ خالطَ التفتيرُ من اجفانها الحَوَرا

* * *

(١٠) ا، ب: زيد بن الحباب. ج: والبةُ الحباب.

ولـه:

الحمدُ لـلّه، ليس لي مثَـلُ ... مـائي مـدامي ونُقـليَ القُبَـلُ
حتى إذا مـا عيونهمْ هـداتْ ... وحـان نومي، فمفرَشي كفَـلُ[11]

* * *

ولـه:

غَنيتُ عـن الكواعب بالغـلام ... وعـن شُرْبِ المُرَوّقِ بالمُـدامِ
وعـن سُبُلِ الرشاد بسبْلِ غَيٍّ ... وعـن طلبِ التحلّلِ بالحـرامِ
قطعتُ مقـاودي وركبتُ راسـي ... وامكنتُ الجَسـارةَ مـن زمـامي
هويتُ لشقوتي ظبْيـاً غريـراً ... رخيمَ الـدلّ ممشوقَ القـوامِ
كـأنّ جبينَـه قمـرٌ تـلالا ... غَداةَ الدّجن[12] مـن خَللِ الغمامِ
غنى عـن لعب شطـرنجٍ ونردٍ ... وعن لعبِ الديوك مـع الحمـامِ
وضرب الصولجان وصيـد بـازٍ ... وركض الخيل فـي طلب النعـامِ
يرى لبْسَ القميص عليه عيباً ... ولبس الطُيلسان مـن الأثـامِ
فهذا النَعتُ لا نعتي فتـاةً ... اشبَهُهَـا لجَهـلي بالغُـلامِ
اتجعلُ مَنْ تطمّث كلّ شهرٍ ... وتنتجُ طفلـةً فـي كـلّ عـامِ
كامردَ واضـح الخدّين حلـوٍ ... يزينُكَ فـي النعوت وفي المقـامِ؟
تكلّمـه بمـا تهوى جهـاراً ... بـلا خـوف المـؤذنِ والإمـامِ

* * *

ولغيـره:

إذا لامَ عـلى المُرِدِ ... نصيـحٌ زادنـي حرَصـا
ولا والـلّـهِ، لا والـلّهِ ... لا اقـلـعُ او أُخْـصـى

* * *

ولمحمد بن هانيء المغربيّ:

لا تلْحنـي يـا عاذلـي[13] انّنـي ... لـم تضبني هنـدٌ ولا زينـبُ
لكـنّني اصبـو إلـى شادنٍ ... فيـه خصالٌ ثلاثـةٍ تُرغـبُ

---

(١١) الكَفَل: العُجْز او الردف.

(١٢) الدجن: الظلام. والغداة: البكرة، أو ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس.

(١٣) أ، ب: يا عذولي. ج: يا عذول. وقد حوّرناها لتقويم الوزن.

لا يـرهب الطمـثَ ولا يشتكي الـ　　ـحَمْلَ ولا عـن ناظري يُحجـبُ

* * *

كان لاسماعيل بن ينحب خادم مليح، وكان أبو نؤاس عنده يوماً، فقام إلى المُسْتـراح[١٤] فوضع له الخادم ماءً فقبّله أبو نؤاس خلسةً فمحاها بيده، فقال:

يـا ماسحَ القبلة مـن خـدّه　　مـن بعد مـا قـد كانَ اعطاهـا
خشيتَ انْ يعـرف آثارَهـا　　مـولاكَ فـي الخـدِّ ويقـراهـا
ولـو علمنـا انّـه هكـذا　　يا املـحَ النـاسِ، محوناهـا

* * *

وحدّث عليّ بن الحسين الراسبيّ، قال:

دخل أبو نؤاس إلى صديق له، وأنا معه، فشربنا عنده. وكان لصديقه غلام يسمّى: بدر، حسن الوجه، وكان يسقينا ويخدمنا. فأبطأ في شيء فشتمه مولاه، فقال أبو نؤاس:

ايّهـا الخادم الـذي لَـوْ لِيَ الأمـ　　ـرُ لكـانَ المملّـكَ المخدومـا
آلمَ القلـبَ والجوارحَ مـنـي　　ان أراكَ الـمهـانَ والمشتـومـا

ثم استأذن مولاه في ممازحته فأذن له، وقال: (قلْ ما شئتَ فانّه صلفٌ مستَصْعب)، فقال: (سأروّضُهُ لكَ)، ثم قال:

تتيهُ علينا انْ رُزقتَ ملاحةً　　وحسناً، فهلّا بعض تيهكَ يا بدرُ
فقـد طالما كنّا ملاحاً، فطالما　　صدَدْنا وتهنا، ثم غيّرنا الدهـرُ
فكم من صديقٍ قد ترهّزتُ تحتـه　　فاعجبهُ منّي الترهّزُ والعصْرُ
فطبتُ لـه نفساً بمـا لا يضرّني　　وبادرتُ إمكاني فعـاد له شكـرُ

ثم قال لمولاه: (قد، واللّهِ، أصلحته لكَ باقية الدهر)[١٥].

---

(١٤) المستراح: بيت الخلاء.

(١٥) في ج حكاية اضافية تنفرد بها المخطوطة تلي هذه الحكاية:

[وحكي انّ عناناً، جارية الناطفي، كانت تحبّ غلاماً من اولاد التجّار وتتعرّض له فلا يلتفت اليها، وتراسله فلا يجيبها، فأضربت عن ذكره. ثم اجتازت به مدّةً، وقد التحى، فهشّ اليها وتعرّض لها فلم تكلمه ومضت الى منزلها وكتبت له:

قال المنصور لوالبة بن الحباب: (إدخلْ إلى المهديّ فجالسْه وحادثْه)، فدخل إليه، فكان أوّل ما أنشده:

قـولا لعمْرو لا تكنْ ناسيا   وسقّني، لا تحتبسْ كاسيـا
وقلْ لساقينا على خلوةٍ   ادنُ كذا راسَكَ مِنْ راسيـا
ونـمْ على وجهكَ لي ساعةً   إنّي امرؤٌ انكحُ جلّاسيـا

فبلغ المنصور، فقال: (لا تعيدوه اليه، أردنا أنْ يصلحه فإذا هو يفسده).

قال أبو هفان:

فحـدّثتُ الحُسَـين بن الضحّـاك بهـذا الحـديث، فحـدّثني أنّ إسمـاعيـل بن صبيـح[16] قال لأبي نؤاس: (يـا أبا عليّ، إدخلْ لابنكَ محمّد بن اسماعيل، فحدّثْه وانشدْه)، فدخل عليه، فكان أوّل ما أنشده شعراً شيطانياً.

(قال):

فبلغ ذلك إسماعيلَ فلعَنَهُ، فقال: (يا أبا عليّ، سبحان اللّه! بمثل هذا يُشاهد الأحداث!)، قال: (كذا رُزقَ ابنُكَ على لساني).

حكى الجمّان، قال:

كنتُ يوماً على باب عدي الدرّاع فمرّ بي أبو نؤاس شبيهاً بالمجنون، وإذا خلفه غلام كأنه مُهر عربيّ، فقلتُ: مالهُ[17]؟، فقال:

إن الرزيّـةَ، لا رزيّـة مثلها   عـوزُ المكان وقـد تهيّا المطربُ[18]

= هلّا وانتَ بماءِ وجهك تشتهي   رودَ الشّباب وانتَ ممنوح الصفا
فالان لثَمك الزمانُ بلحيةٍ   ما كان أحوجها إلى انْ تُنتَفا
قد كنتَ وجهاً مقبلاً وموليّاً   فالانَ وجهك، حيث سِرتَ بهِ قفا]

(١٦) ا: بن صُلْح. ب: بن اصبح. ج: بن صبيح.

(١٧) ب، ج: فقلتُ له مالك يا ابا نؤاس.

(١٨) هامش في ا [الامرد] ولعله توضيح لقصد ابي نؤاس بقوله (المطرب) من قبل الناسخ.

فقلتُ: (هيّا[19] إليّ، والجدرُ عليّ)، فقال: (لا أجمعهما عليكَ وحسْبي المنزل)، فعدلتُ بهما، فأقاما عندي يومهما.

* * *

ولمّـا زار أبو نؤاس الخصيبَ بمصر، اجتاز على حمْص وبها علي بن عنان الملقّب بديك الجنّ، الشاعر، قاطناً. (قال) فسمعتُ به فأحببتُ أنْ أحضى بإنزاله، فعمدتُ نحو خانٍ ذُكر لي أنّ الرفْقة التي هو فيها نزلتْ به، ومعي ولد لي حَسَن الصورة، مراهق للبلوغ. فدخلتُ الخان فإذا برجل نظيف الهيئة، حَسَن الشمائل، على درج الخان جالساً يَسْتاك[20]، فقلتُ له: (يا معلّم، جاء أبو نؤاس؟)، فقال: (نعم)، قلتُ: (فأين نزل؟)، قال: (ما تعطي لمن يدلّك عليه؟)، قلتُ: (مهما أراد)، فقال: (قبلة من هذا الرّشأ)، فقلتُ: (إتّق اللّه فإنّه ولدي، وأظنك واللّه هو)، فتبسّم ثم قال: (وإذا كان؟، هذا[21] آدم عند اللّه أفضل منكَ وأبناؤه يُفْتَكون ويُناكون).

(قال):

فحملتُ رَحْلَه، ولم أزل معه في فكاهةٍ مدّةَ مقامه بحمصْ وشيّعتُهُ[22] مراحل.

* * *

وقال الجمّاز:

سمعتُ أبا نؤاس يقول: (أشتهي شيئاً لا أجده في دنيا ولا آخرة)، قلتُ: (ويحكَ، في الجنّة ما تشتهيه الأنفس ويلذّ الأعينُ)، قال: (هو ما أقول لكَ، أشتهي غلاماً حلالاً)، قلتُ: (لن تفلحَ واللّهِ أبداً).

* * *

(١٩) ا: هيّ./في (ديوان ديك الجن ـ تحقيق مظهر الحجي ـ سوريا ١٩٨٧)، هو: عبدالسلام بن رغبان.

(٢٠) يستاك: يدلّك اسنانه بالمسواك.

(٢١) ا: ماذا. ب، ج: هذا.

(٢٢) شيّع: خرج معه ليودّعه.

قال مؤلف الكتاب:

وعلى ذِكْر هذه الحكاية، حدّثني بعض ظرفاء هذا العصر، قال: كان لي صديق صوفيّ بدمشق في مدّة الملك المعظّم، قدّس اللّهُ روحه، متعفّف. فكان يقول لي: (اشتهي من اللّهِ لو بعث إليّ هذا المَلِكَ المهابَ المرهوب السّطوة فيحضرني بين يديه ويحضر السيف والنَطْع[٢٣] وغلاماً بارع الحسن وقنيّنة نبيذ، ويقسم عليّ يميناً لا يمكنه الانفكاك عنها: «إنْ لم تشربْ هذهِ، وتفتكْ بهذا، لأضربنّ عنقك». فأبلغُ غرَضي منهما ولا وِزرَ عليّ).

ولعمري إنّ هذه الحيلة لم يهتد لها أبو نؤاس[٢٤].

* * *

كان يحيى بن أكثم يقول: (قد أكرمَ اللّه أهل الجنّة بأنْ أطاف عليهم الولدان، ففضّلهم في الخدمة على الجواري، فما الذي يخرجني عاجلاً عن هذه الكرامة المخصوص بها أهل الزُلفى[٢٥] لديه؟)[٢٦].

* * *

وقال بعضُهم: (لو لم يكن للمُرد فضيلة إلّا انّ اللّه، سبحانه، جعل ملائكته مُرْداً وأهلَ الجنّة مُرْداً).

* * *

وقال آخر: (الحمد للّه الذي طهّرنا من النساء، ولم يجعل مِنْ نَسْلنا البعولة، ولم يجعلنا ممّن ينفر منه الاخوان ويسخر منه الجيران، وعجّل لنا في الدنيا الولدان).

* * *

(٢٣) النَطْع: بساط من الجلد يُفرش تحت المحكوم عليه بقطع الراس.

(٢٤) تعليق للناسخ في ا: [اقول: هي حيلة في الوهن كبيت العنكبوت، وذلك انّ نفي الإثم منوط بتحقيق الإكراه، وهو يقول اشتهي من اللّه كذا، فلا إكراه إلّا في الصورة، ولا تجدي شيئاً عند اللّه].

(٢٥) الزلفى: القُربى، المنزلة.

(٢٦) تعليق آخر للناسخ في ا: [والمدار على ما ينفع عنده. اللهم اجرنا من تسويل الشيطان لنا قبائح الاعمال، واجرنا من منكرات الاحوال بمنّك]. وربّما كان هذا التعليق استكمالاً للتعليق السابق.

وقالوا: (الغلام هو الرفيق في السّفر، والصديق في الحَضَر[٢٧]، والمعين على الشّغل، والنديم عند الشّرب، وهو سبب الأنس).

* * *

وكان أبو نؤاس يقول: (تزوّدوا من لذّةٍ لا توجد في الجنّة)، يريد نيكَ المُرد.

* * *

وكان الجمّاز يقول: (مؤاجرٌ في محلّةٍ خيرٌ من حوضِ سبيلٍ فيها).

* * *

قال الجاحظ:

كان عبدالعزيز ذا مالٍ، وكان إذا جاء وقت الزكاة أتاه القوّاد بغلام[٢٨] فقال له: (يابُني، ألَكَ أخوات؟ ألَكَ خالات؟ ألَكَ عمّات؟)، فيقول: (نعم)، فيقول: (خُذْ) هذه العشرة دراهم، أو خذْ هذا الدينار، من زكاة مالي فأوصلْه اليهم. ثم إنْ شئتَ أنْ تتركني أنيكك على جهةِ المكارمةِ فافعلْ، وإنْ شئتَ أنْ تنصرفَ فانصرفْ)، يقول ذلك وهو واثق بأنّ الغلامَ يُمكنه من نفسه، فعرف أنْ ليس له زكاة إلّا على أمّهات المؤاجرين وخالاتهم.

* * *

وحدّث السّهروردي، قال:

ظهرتْ بقزوين حُمْرةٌ في السماء وريح عاصف، فتغادى[٢٩] الناس إلى المساجد للصلاة والدعاء. فدخلتُ مسجداً خالياً، فإذا أنا برجل على ظَهْر غلام، فقلتُ: (ويحكَ، قمْ قامتْ القيامة)، فقال لي بلسانٍ مُنكرٍ: (أتُرى إنْ قمتُ قعدَ زمنُ القيامة؟)، وما زال في شغله حتى فرغ.

* * *

---

(٢٧) الحضر: القرب.

(٢٨) أ: قال له.

(٢٩) تغادى: انطلق.

ودخل بعض المؤذنين مسجده، فإذا هو بشيخ على ظهر غلام، فصاح به وقال: (يا عدوَّ اللّه، ما وجدتَ موضعاً تفسق فيه غير بيت اللّه؟)، فقال الشيخ: (أوجدْني موضعاً على ظهر الأرض ليس هو للّهِ تعالى حتى أعمل فيه هذا العمل)، فانقطع المؤذِّنُ وخرج حتى فرغ الشيخ من شغله.

* * *

ووُجِـدَ رجـل من الغزاة على ظهر عِلْج[٣٠] من عُلُوج الرّوم، فقيل له: (أتفعل هذا وأنتَ غازٍ؟)، فقال: (أليس يقول اللّهُ تعالى: (ولا يطأون موطئاً يغيظ الكفّار ولا ينالون من عدوّ نيلاً إلاّ كُتب لهم به عمل صالح)[٣١]؟ وأيُّ غيظ هو أكبر من هذا؟).

* * *

ودخل أبو نؤاس بعض الخرابات فرأى شيخاً قد علا غلاماً، فقال له أبو نؤاس: (ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون)[٣٢].

فقال الشيخ: (وجدنا آباءنا كذلك يفعلون)[٣٣].

فقال أبو نؤاس: (نريد أنْ نأكل منها وتطمئنّ قلوبنا)[٣٤].

قال الشيخ: (فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير)[٣٥].

فقال الغلام من تحته: (لن تنالوا البرَّ حتى تنفقوا مما تحبّون)[٣٦].

فقال أبو نؤاس: (هذا ما لديّ عتيدٌ)[٣٧].

* * *

---

(٣٠) العلج: الرجل الضخم القويّ من كفّار العجم، وبعضهم يطلقه على الكافر عموماً.

(٣١) سورة التوبة، آية ١٢٠.

(٣٢) سورة الأنبياء، آية ٥٢.

(٣٣) سورة الشعراء، آية ٧٤، وفي أ: إنّا وجدنا.

(٣٤) سورة المائدة، آية ١١٣.

(٣٥) سورة الحج، آية ٢٨.

(٣٦) سورة آل عمران، آية ٩٢.

(٣٧) سورة ق، آية ٢٣، وهامش للناسخ في أ: [قاموس ـ العتيد: الحاضر المُهيَّأ].

سأل[٣٨] فقيهٌ، من أهل هذا العصر بالأندلس بمدينة أشبيلية، غلاماً فأدخله دهليز الدار فناكه، ثم دخل الدار ليخرج له صرْفاً[٣٩]. فدخل ولدُهُ فوجد الغلام في الدهليز فناكه. فخرج الشيخ وهو عليه، فقال: (أخطأت يا مدبّر. قال اللّهُ عزّ وجلّ: «ولا تنكحوا ما نكحَ آباؤكم»[٤٠])، فقال له، وهو على ظهره: ((من النساءِ)[٤١] يا شيخَ السّوءِ).

* * *

قال الأخفش:

مرّ بي مُدْرِكُ الشّاعر ومعه غلام آخر، فدعوته الى الذي معي، فقال:

إدعُ غيري إلى عبادة راسينِ فإنّي بواحدٍ مشغولُ

* * *

قال:

وبعث اليه صديق له غلاماً حسن الوجه، ليس له بَدَن، فكتب اليه:

ظبيُكَ هذا حَسَنٌ وجهُهُ وما سوى ذاك جميعاً يُعابْ
فافهمْ كلامي يا أبا مالكٍ لا يشبه العنوانُ ما في الكتابْ

* * *

وقيل لأبي نؤاس: (لِمَ تدفع إلى الغلام درهمين والى الخصيِّ درهماً واحداً؟)، فقال: (لأنّ مع الغلام بيدقين وسط الرقعة يدفع بهما الشّاهَ).

* * *

وقال العبّاس[٤٢] بن رستم: (الغلامُ إستطاعةُ المُعْتَزلة[٤٣]، لأنّ

---

(٣٨) (سأل) هنا بمعنى: استدعى.

(٣٩) صرفاً: نقوداً.

(٤٠) سورة النساء ـ آية ٢٢.

(٤١) إكمال للآية السابقة: سورة النساء ٢٢.

(٤٢) أ: للعبّاس.

(٤٣) المعتزلة: فئة اسلامية قدرية تجحد القَدَر، فيقول اصحابها إن كلّ انسان خالق لفعله، متمكّن من عمله او تركه بارادته.

الاستطاعة تصلح للشيئين، والمراةُ استطاعةُ المُجْبَرة[44]، لأنهَا لا تصلح إلّا لشيءٍ واحد).

* * *

وقال بعضُ الزّناة للوطيّ يعرّض به ويكايده: (أرأيت أنّ رجلاً اشترى جاريةً وغلاماً، على أنّ جميعهم مُلكه، أيّهما كان للجماع حلالاً؟)، قال اللوطي: (كلاهما واحد، إلّا أنّ الجارية تُسْتَبْرا[45] بالحيضة والغلام لا يُسْتبرا، وهذه فضيلة).

* * *

وجد شيخ مع صبيّ في درب يفعل به، فقيل له: (يا شيخ، ما تستحي وأنتَ رجلٌ كبير وعاقل؟ لم لاتَحْصُن[46] نفسك؟)، فأخرج من فيه قطعةً فيها قِيراط[47]، فقال: (واللّهِ ما أملك غير هذا، وقد رضيَ به هذا الصبيُّ. فهل فيكم من يزوّجني بها حتى أتحصّن كما تقولون؟)، فانصرفوا وتركوه.

* * *

وجدَ شيخ مع غلام فرُفعا إلى الوالي، فلمّا مثلا بين يديه بدَرَ الشيخُ فقال: (سلامٌ عليكم، أمّا أنا فلا أعود، ولكنْ أحسنْ أدبَ هذا الصبيّ)، وولّى. فضحك منه الوالي ومن حضره وخلّا سبيلهم.

* * *

قال بعضُهم:

دخلتُ الحمّام فإذا فيه غلام مليح رشيق القدّ، فقلت: (كلّما رقّ القصبُ كان أحلى)، قال الغلام: (إكسرْ وكُلْ)، فأدخلتُه البيت الحارّ، فلما

---

(٤٤) المجبرة (الجَبَريّة): وهي فرقة اسلامية تقول بالجَبْر، اي الانسان لا قدرة له على أنْ يفعل الشيء او يتركه بارادته، بل هو مجبر على أحد الأمرين.

(٤٥) الاستبراء: أنْ يشتري الرجل جاريةً، فلا يطؤها حتى تحيض عنده حَيْضةً ثم تطهرُ.

(٤٦) حَصُنَ (الرجل): تزوّج.

(٤٧) القيراط: ربع سدْس الدينار، وقيل نصف عُشْر الدينار.

استـويتُ عليـه إذا بشيـخ قد دخـل فقال: (يا عدوّ اللّهِ، كيف تورق الأشجار؟ كيف تحمل الثمار؟ كيف يرضى الجبّار؟)، ثم قال: (يا غلام، ردّ عليه ما أخذتَ منه)، فردّ عليّ القِطَعَ[٤٨] وخرجتُ، فلبثَ في البيت الحارّ نصفَ ساعةٍ. ثم افتقدتُ الصبيّ فلم أره ولا الشيخَ، فدخلتُ الى البيت الحـارّ فاذا بالشيـخ على ظهـر الغـلام، فقلتُ: (يـا شيخ، كيف تُورق الأشجار؟ كيف تحمل الثمار؟ كيف يرضى الجبّار؟)، فرفع رأسه إليّ وهو على الغلام وقال: (يا عدوّ اللّهِ، انتَ تعملُ عملَ قومِ لوط، وأنا أعملُ عملَ أهل السنّة).

* * *

ل لمسلم الأصغـر: (ما لذّة العيش؟)، قال: (طبيخ أغبر، وشرابٌ أ... وغلامٌ أحْوَر)، فقيل له: (لِمَ فضّلت الغلام على الجارية؟)، قال: في السّفر صاحب، ومع الأخوان نديم، وفي الخلوة أهل).

* * *

سُئل ابنُ شيبة عن مؤاجر، فقال: (باطنه فيه الرحمة[٤٩] وظاهره من قبلِه العذاب)[٥٠].

* * *

وجاء قوّاد بمؤاجر الى لوطيٍّ، وكان قد التحى، فقال له اللّوطي: (كم جدرُهُ؟)، فقال: (كان في العام الماضي مائة درهم)، فقال: (إنّما سألتُكَ عن هذه السنة لا عن العام الماضي، فقد كانت جدّتي مهرها عشرة آلاف درهم، ثم نُقلتْ إلى المقابر، لمّا ماتتْ، بعشرين درهم. وموت هذا طلوعُ لحيته).

* * *

وخرج لوطيّ إلى السوق ومعه درهمان يشتري بهما نَقْلاً[٥١] وفاكهةً

---

(٤٨) القِطَع: الدراهم.
(٤٩) فيه الرحمة: ساقطة من أ.
(٥٠) سورة الحديد ـ آية ١٣.
(٥١) النَقْل: ما يُتنقّل به على الشراب، من فستق وتفاح ونحوهما.

يقدّمهما إلى قوم عنده، فاستقبل غلاماً فغمزه وأعطاه درهماً فلم يجبه، وسأله أنْ يفعل وعرّفه أنْ ليس معه إلّا درهمان وعنده قوم يريد أنْ يشتري لهم بدرهمٍ نقْلاً، فأبى عليه وتصعّب، فأعطاه الدرهمين. فلما تمكّن منه رافعه وسدّ مجاري أنفاسه، فصاح الغلام: (الموتَ! الموتَ!)، فقال اللوطيّ: (يا ابنَ الفاعلةِ، لو أردتَ الحياةَ لاقتصرتَ على درهمٍ واحد).

* * *

ودخل لوطيّ حمّاماً فوجد واحداً فوق غلام، فسلّم فلم يُردّ عليه السلام، فقال: (سبحان اللّه، قوم على مائدة يأكلون، نسلّم عليهم، لا يردون علينا السّلام)، فقال الراكب: (يا عبدَ اللّهِ، هذه مائدة لا يأكل عليها أكثر من واحدٍ، فارفقْ واصبرْ حتى يخلو لك المكان).

* * *

وقال بعضُهم:

مررتُ بلوطيّ يضرب غلامه ضرباً عنيفاً، فقلتُ له: (عافاكَ اللّه، ما هذا الضرب العنيف؟)، قال: (دعْني، فليس قلبه في عمله، ابن الفاعلة. أنا معه البارحة طول ليلتي في عذابٍ قد أُشهر لي. ما زلتُ أنيكه وأيره قائم، الوقح الصلب الوجه).

* * *

وسأل لوطيٌّ مدبّرٌ غلاماً، ولم يكن معه قطعةٌ ولا في يده شيء يعطيه، ولا في بيته فأعطاه مقدحةً زنادٍ، وكانت هناك، فقنع بها الغلام وقضى حاجته وقام ليخرج، فقال: (إلى أين عافاكَ اللّه؟)، قال الغلام: (وما تريد؟ أَلَكَ حاجة أخرى؟)، قال: (نعم، الحديد)، فقال الغلام: (يا خسيس، بعتك ناطفاً[٥٢] خدمتي نقصان أوقية. أيّما أحبّ إليكَ: أنْ تخلّيني، أو أنادي عليكَ إنّ هذا ناكَني بمقدحةٍ؟)، فتركه وخرج.

* * *

(٥٢) النطف: العيب.

تحاكمَ لوطيٌّ ومؤاجر الى قاضي الفتيان، فقال اللّوطي: (أيّها القاضي، دخلتُ الحمّام فأصبتُ فيه هذا الغلام المؤاجر، فدفعتُ اليه درهماً، فلما استويتُ عليه تحرّك الباب فافترقنا من غير قضاء حاجة. وأنا أطلب منه ردّ ما أخذ منّي)، قال القاضي للغلام: (ما تقول أنتَ؟)، قال: (أعزّ اللّهُ القاضي، قد نمتُ تحته ومكّنتهُ من نفسي واستوفيتُ الأجرة)، فقال القاضي: (أهلُ الفتوّة أهلُ الصدق، فإنْ كان حين تحرّك البابُ قمتَ من تحته، فلا يجب أن تأخذ منه شيئاً. وإنْ كان هو قام من فوقك، فلا يجب عليكَ ردُّ ما أخذتَ. وإنْ قمتما معاً فلكَ النصفُ ممّا أخذتَ).

* * *

وسأل بعضهم غلاماً وأعطاه درهمين، فلما تمكّن منه أراد أن يرافعه فامتنع الغلام، فقال: (إعملْ بين الفخذين)، فقال الرجل: (يا ابنَ الفاعلةِ، هو بين فخذيّ أربعين سنة وما معي درهمين).

* * *

ولمح أبو نؤاس غلاماً جميلاً في مجلس فقال معرّضاً له: (لولا أنتم لكنّا مؤمنين)[٥٣].

فقال الغلام: (لن تنالوا البِرّ حتى تنفقوا مما تحبّون)[٥٤].

فقال أبو نؤاس: (فإنّي مرسله اليهم بهديةٍ. فناظره بمَ يرجع المرسلون)[٥٥].

فكشف الغلامُ عن ساقه وقال: (لمثل هذا فليعمل العاملون)[٥٦].

فقال أبو نؤاس: (انطلقوا إلى ظلٍّ ذي ثلاث شُعَب)[٥٧]، فصار إلى منزله.

* * *

(٥٣) سورة سبأ، آية ٣١.
(٥٤) سورة آل عمران، آية ٩٢.
(٥٥) سورة النمل، آية ٣٥.
(٥٦) سورة الصافات، آية ٦١.
(٥٧) سورة المرسلات، آية ٣٠

وقيـل لبعض اللاطة الكبـار من المياسير منهم: (لو اشتريتَ جاريةً غُلاميةً[٥٨] تعففتَ بها، ألم تكن أصلح لكَ وأقلّ لإثمكَ؟)، فقال: (يا جهّال، نسيتم الطيّبة، فأيْش[٥٩] أمرسُ بيدي؟)، يعني ذَكَر الغلام.

* * *

كان بسجستان رجل يُعرف بأبي الفضل الشّروطي، وكان لا يقول إلاّ بالمـدركـين الكبـار. فرأوه في بعض الأوقـات وهو يحوم حول الصبيان الصغـار، فقيـل له في ذلك، فقـال: (قـد وقع ههنا وباءٌ وفشا الموتُ في الصبيان، وأخاف أنْ يموتوا قبل بلوغهم، فيفوتني ما أريد).

* * *

وكان ترافقَ اثنان من اللاّطة، أحدهما يقول بالصبيان الصغار، والآخر بالبالغين الكبار. وكلّ واحد منهما يعيبُ صاحبه ويلومه على ذلك ويعنّفه، حتى إذا كان في بعض الأيام أُخذ صاحب الصغار ورُفع مع صبيٍّ، فضُربَ وحُمل الصبيّ على عاتقه وطيفَ به في البلد، فلقيه رفيقه وهو في تلك الحال فقال له: (قد كنتُ أنهاكَ عن ذلك حذراً عليكَ من هذا، ولو كان هذا كبيراً لم ينكر عليك أحدٌ كونه معكَ في البيت)، فقال مجيباً له: (اسكتْ يا أحمق، فلو منكَ كان مكان الصغير ذلك الكبير، وكان قد دقَّ عنقي).

* * *

وسأل لائطٌ أحدب قصيرٌ، وذلك في هذا العصر في بلاد المغرب بمدينة أندلس، غلاماً جافياً[٦٠] طويلاً، فكُبسَ معه وجُلدَ. ثم راموا حمل الغلام على عنق الأحـدب فلم يتهيّأ ذلك لطول الغلام وقصر الأحدب، فحملوا الأحـدبَ على عنقَ الغـلام ثم جَرّسوهما[٦١] وقد اجتمع الناس عليهما. فصار الأحدب يقول، وهو على عنق الغلام، إذا نودي عليهما: (يا قوم، أنا

---

(٥٨) الجارية الغلامية: هي الجارية التي تتزيّا بزيّ الغلمان وتتصرّف مثلهم.

(٥٩) ايش: أيّ شيء؟.

(٦٠) الجافي: الغليظ.

(٦١) جَرّس: سَمّع بهم وندّد.

الذي كنتُ من فوق. لا تغلطوا، فإنّ الفاعلَ مرفوع)[٦٢]، حذراً من أنْ يُظنّ به أنّه بغَى وإنّ الغلام كان هو الفاعل به.

* * *

وقال الجاحظ:

قلتُ لأبي عبدالله المدّعي: (أما تستحي نكْتَ فلانَ المؤاجرَ؟)، فقال: (واللّه ما نكْتُه إلّا في وقتٍ تحلّ لي فيه المَيْتة).

* * *

وقال الجاحظ أيضاً:

رأى أبـو سعيـد الحديثيّ غلاماً في الحمّام، فراوده فامتنع فضرَبَه، فخـرج الغـلام باكيـاً وشكى إلى الحمّـاميّ والنـاس، فدخلوا فوجدوا أبا سعيد خارجاً في أثْر الغلام عرياناً وأيره قائم، فقالوا له: (لِمَ ضربتَ الغلام؟)، قال: (لأنّه صبّ عليّ ماءً حارّاً)، قالوا: (فلِمَ أيركَ قائمٌ؟)، قال: (من الحَرْد)[٦٣].

* * *

نظر رجلٌ الى رجل يحثُّ النظر الى غلام مليح، فقال له ذلك الرجل: (لا تظنّ إلّا خيراً)، قال: (وكيف أظنّ الخير وأنتَ لوطيّ وهذا مؤاجر؟).

* * *

ووجدَ بعضهم مع غلام في منارة مسجدٍ وسراويلهما محلولان، فقيل له: (ما هذا؟)، فقال: (إنّي أردتُ أنْ أُبدل تكّتي بتكتّهِ).

* * *

وقيـل لبعض الخُراسانيّة: (كيف تنيكُ غلامك؟)، قال: (ما دام هذا الشّعر داخلاً أُنيكه خارجاً، فإذا خرجَ الشّعر نكْتُه داخلاً).

* * *

---

(٦٢) الاضافة من ج. وفي ا: (يا قوم وانا ايضاً من فوق لا تغلطوا).

(٦٣) الحَرْد: الغيظ.

وحصّل أبو سعيد الحديثيّ غلاماً في منزله، فقال: (يا أبا سعيد، حدّثني بشيءٍ من أحاديث الفرسان: عامر بن الطُفيل وعمرو بن مَعْدِ يكرب)، فقال أبو سعيد: (تسألني عن الفرسان وأنا راجلٌ؟)، وقام فبطحه وركبه، فلما علاه قال: (الآن إسألْ عمّا بدا لكَ).

* * *

وكان بعض اللاطة له أمّ عجوز تتشيّع، وكان يحتشمها ولا يُظهر لها فعله. وكان يعشق غلاماً، فلم يجد بدّاً من الاحتيال في إحضاره في منزله، فجاء به الى منزله وقال لأمّه: (يا امّي، هذا غلام يذكر أنّه عَلَويّ وقد زارني)، فقامت العجوز وجعلتْ تُصلح له كلّ ما يحتاج اليه من مأكول وغيره. ثم إنّها أطلعتْ[٦٤] في البيت على غفلةٍ، فإذا هو على ظهر الغلام، فقالت: (يا عدوّ اللّه، ما هذا؟)، فقال: (يا امّي باحثتهُ في تحقيق نَسَبِه، فإذا هو من وِلْد معاوية)، فقالتْ: (شأنكَ به إسْته، ابن الفاعلةِ).

* * *

وسأل بعضُهم غلاماً ورافعه، فقال: (أخرجْه، وإلاّ خَرّيتُ)، فقال: (لستُ أعرف لكَ مَخْرجاً للخراء والضراط غير هذا، وقد سددتُه فلا يخرج منه شيء)، فخجل الغلام واستسلم.

* * *

نظر الجمّاز يوماً إلى غلام فقال: (هذا من المطفّفين[٦٥])، فقيل له: (وكيف ذلك؟)، قال: (كان إذا ناكه أحد فبلغَ وقت الفراغ، فرجَ ما بين فخذيه)[٦٦].

* * *

وحكي أنّ أبا العالية رفع رجلاً وصبيّاً إلى الحاكم وذكرَ أنّه وجده يلوط

---

(٦٤) اطلعتْ: ظهرتْ.

(٦٥) المطفّف: الذي يُنقص المكيال، وهي اشارة واضحة إلى سورة المطفّفين: (ويل للمطفّفين * الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون * وإذا كالوهم أو وزنوهم يُخسِرون) الآيات ١ ـ ٣.

(٦٦) إضافة في ب، ج: (فيكبّه الفاعل خارجاً).

به، وقد اجتمع الناس عليهم. فلمّا حضروا بين يدي القاضي، قال له القاضي: (كيف تشهَد؟)، فقال: (رأيتُ هذا بطحَ هذا الغلام فقلتُ ينوّمه، ثم كشف عن ثيابه فقلتُ يروّحه، ثم جلس عليه فقلتُ[٦٧] يكبسه، ثم أخرج شيئاً، فلا إله إلاّ اللّه)، فضحك القاضي وكلُّ مَنْ حضر المجلس.

* * *

ومِنْ هذه الطائفة مَنْ لا يعجبه من الغلمان إلاّ الملتحون، وأكثر هؤلاء فلا يفلحون ولا ينجحون، ويُسمّون: قصار الأعمار، وذلك أنّهم كثيراً ما يُقتلون. فإنّه ربّما كان المعذّرُ[٦٨] لصّاً أو شاطراً، فيحتال على بعض التجّار بالوجارة ويطمعه في نفسه، فإذا دخل معه موضعاً خالياً، ولا سيّما على شراب، قتله وأخذَ ما معه.

وربما فعل ذلك أيضاً الصغار إذا باتوا على شراب، يواعدون لصوصاً هم لهم أصدقاء، فيفتحون لهم البابَ، وصاحب البيت نائم، فيدخلون ويتحكّمون في مال الرجل ونفسه كيف شاؤوا، إلاّ أنّ ذلك قليل، وأكثر ما يفعله الكبارُ.

حدّث بعض التجار الشطّار، قال:

ولفتُ[٦٩] غلاماً أمرد، دون البلوغ، لم أكن أظنّ فيه سوءاً، فرأيتهُ ينظر في أركان البيت ويتأمّل موضع مفتاح الصندوق ويلحظ السّيف معلّقاً ويتولى السّقي فيُترع لي، فاستربتُه وساء ظنّي به جدّاً، ولم أشرب إلاّ يسيراً وعجّلتُ النوم وأظهرتُ السُّكر. وكنتُ في غرفةٍ مشرفةٍ فيها طاق على الطريق، فلمّا كان نصف الليل سمعتُ صفيراً لم أشكّ أنه لشرٍّ، فتناومتُ وقام الغلام منسلاً فأخرج رأسه من الطاق، فقمت ووقفتُ خلفه فسمعتُ قائلاً يقول له: (إنزلْ افتحْ)، فقال له: (إصبرْ)، فلمّا سمعتُ ذلك شلتُ ساقيه ودفعتُه من الطاق على رأسه وأخرجتُ رأسي فوجدتُ ستّةَ رجال،

---

(٦٧) ا: قلتُ.

(٦٨) المعذّر: الغلام الملتحي.

(٦٩) ولف: اصطحب، اتصل به.

فقلتُ لهم: (ما يحتاج أنْ يُتعب نفسه في الدرج، قد نزل اليكم من قرب)، فرفعوه بينهم حطاماً وانصرفوا.

وأمّا قَتَلة الكبار من التجّار وغيرهم، فلا يُحصى لهم عدد.

* * *

ومن غرائب هذا الباب ما أخبرني به عَدْل[٧٠] من العُدول بدمشق، قال:

كان بهذه المدينة قاض من جلّة القضاة وأكابر الأعيان، ولِيَ القضاء بحَماة ثم عُزل من غير جَرْحةٍ[٧١] وبقي بحشمته ورياسته، وقد سمّاه لي، وهو مشهور الاسم عظيم الذّكر، إلّا أنّي آثرتُ ترك تسميته في هذا الموضع.

(قال):

فعرض له أنّه سافر إلى حلب في بعض أغراضه في أيام الملك الظّاهر. (قال) فأقبل عليه الملك الظّاهر وأكرم مثواه وهمَّ بتوليته القضاء بحلب، فاتّفق ذلك الحال أنّه اشترى مملوكاً تُركيّاً بستّة آلاف درهم ناصريّة، وقد كان له عدّة مماليك غيره. فدخل ذاتَ يومٍ الحمّامَ ومعه مماليكه فخُلّيتْ له خَلوة، كما جرت عادة أمثاله من الرؤساء، فدخلها ولم يكنْ للخَلوة باب، فنُصبتْ عليه ستارة وأقام بها وصرف مماليكه وخلا بالمملوك المُشْترى. فاتّفق، لما أراد اللّه تعالى من القضاء والقدر، أنْ استدعى المملوكَ وجرّده وتجرّد هو أيضاً حتى لم يبق عليهما شيء. وقد كان المملوك غسل رأسه وجسده بالخِطْميّة[٧٢]، وهو في الأصالة ناعم الجسم، وزادته الخِطميّة نعومةً فبقي كالزئبق، ورخام الحمّام ناعم، وهو منصوب إلى خارجٍ لضرورة خروج الماء منه. فمدّ الغلامَ وجعل رأسه ممّا يلي السترَ، ليكون يرى أحداً إنْ هَمَّ بالدخول، فيتنحنح ويوهمه أنّه متكشّف للطَهور. ثم

---

(٧٠) العَدْل: المَرضيّ قولهُ وحكمه.

(٧١) الجَرْحة: ما تُجرح به شهادة الخصم وحجّته.

(٧٢) الخطميّة: زهر من فصيلة الخبازيّات، يُستعمل كملين.

صعد على ظهره وقد أنعظَ فأمسكَ بأكتافه ودفع عليه فزهقَ[٧٣] الغلامُ وهو على ظهره، بنعومة جسده وأثَر الخطميّة على رخام الحمّام، ومرّا كالسّهم حتى نطحا برأسيهما السّترَ وخرجا. فلم يشعرا بأنفسهما إلاّ في وسط الحمّــام وهو مشحون بالناس يُنظراليهم وقد حار كيف يصنع؟ إنْ قام كشف ذَكَره للخلائق في اسْت الغلام عياناً، وإنْ بقيَ منحنياً عليه حتى يستر ذلك فقسَ[٧٤] في وجوههم، إلاّ انّه لم يجد بدّاً من القيام. فقام وسَلَّ ذَكَره من الغـلام، والخـلائق يشـاهدونه وقد قامتْ القيامة في الحمّام واجتمع العالم عليه، فقفز ودخل الخَلوة عرياناً منعظاً ومعه الغلام.

واشتهرت النازلةُ، فلم يبق بحلب صغيرٌ ولا كبير ولا خاصّ ولا عامّ إلاّ وبلغتــه، فكـان ذلك سبب سقوط جاهه، وذهاب حرمته، وحرمانه ولاية الأحكام باقي مدّة حياته.

* * *

(٧٣) زهق: ذهب، تقدّم.

(٧٤) فقسَ: مات.

مُلَح الأشعار في هذا الباب

فمن ذلك قول مَنْ يقول بالصغار، عفا اللّهُ عنه:

لا تطلبنّ من الظّبا إلاّ صغاراً كاللّبا[1]
إنّ الطبيب يقول لي: نيكُ الصّغارِ من الشّفا

* * *

لغيره، ممّن يقول بالسّودان:

اقولُ لمَنْ عابَ السّوادَ سفاهةً وللسّودِ قومٌ عائبون وحسّدُ
أعَيبُ سوادِ اللّيلِ إنْ قيلَ حالكٌ وإنّ ذكيَّ المسْكِ ويحكَ، اسودُ[2]؟
وهذا سوادُ الرّكْنِ يُسمى بمَسّهِ ويُهوى اليه بالأكفّ ويُسجَدُ
قضى اللّهُ انّ السّودَ والسّمْرَ همّتي وهنّ المُنى والقلب منّي مقصّدُ
فلو علمَ المهديُّ لوناً يفوقه لالزمهُ راياته حين تُعقدُ

* * *

ولغيره:

يكونُ الخالُ في خدٍّ نقيٍّ فيكسوه الملاحةَ والجمالا
فكيف يُلام إنسانٌ على مَنْ يراه، كلّه، في العين خالا

* * *

لغيرِه، في البيض:

شَرْطي البياض فما أبغي به بدَلاً ممّن يرى خَلْقه كالغصن مجدولا
لا اعشق الأسمرَ المنفوخَ من سمنٍ لكنّني اعشق البيضَ المهازيلا

* * *

---

(١) هكذا في الأصل.

(٢) البيت مكرّر في ١ هكذا:

(وهذا سواد الليل ان قيل حالك وإن زكيّ المسكِ ويحك اسود)

وقال أبو تمّام في الملتحين[٣]:

قال الوشاةُ: بدا في الخدّ عارضُهُ فقلتُ: لا تنكروا، ما ذاكَ عائبُهُ
الحسنُ عندي على ما كنتُ أعهدُهُ والشَّعْرُ حِرْزٌ له ممّن يُطالبُهُ
أبهى وأجملُ ما كانت محاسنُه إذْ لاحَ عارضُهُ واخضَرَّ شاربُهُ
وصار من كان يَلْحي في مودته إنْ سيل عني وعنه، قال: صاحبُهُ

***

ولـه:

لـمّا استقلَّ بأردافٍ تجاذبُهُ واخضرّ فوق حجاب الدرِّ شاربُهُ
واقسمَ الوردُ أيماناً مغلّظةً أنْ لا تفارق خدّيـه عجائبُـهُ
كلّمتُـه بجفونٍ غيـر ناطقةٍ فكان مِنْ ردّهِ ما قالَ حاجبُـهُ

***

لأبي نـوّاس:

ونرجسٍ قـد حُفّ بالورد في خدِّ مَنْ قـد لجَّ في الصدِّ
راودتهُ عن نفسه خالياً وقلتُ: مِنْ ذا ليس من بُدِّ
فقال: مهلاً قـد بدَت لحيتي وإنَّنـي في طلب المُـردِ
فقلـتُ: هذا نرجسٌ طالـعٌ والورد فـي العارضِ والخـدِّ
وليس من شانيَ إلّا لمنْ قـد جاوز الخمسين فـي العدِّ
أسالُه: كم لكَ مـن نسوةٍ وكم صبيٍّ لكَ فـي المهْـدِ؟
فذاكَ مِنْ شاني ومن لذّتي حتى أُوارى بثَرى اللّحدِ

***

---

(٣) ترد الأبيات السبعة التالية في ديوان ابي تمّام بهذا الترتيب:

قال الوشاة: بدا في الخدّ عارضهُ فقلت: لا تكثروا ماذاك عائبهُ
لمّا استقلّ بأردافٍ تجاذبُهُ واخضرّ فوق جمان الدرّ شاربهُ
واقسم الورد ايماناً مغلّظةً ان لا تفارق خدّيه عجائبهُ
وكلّمتْهُ جفون غير ناطقةٍ فكان من ردّه ما قال حاجبهُ
الحسن منه على ما كنتُ اعهده والشَعْرُ حرزٌ له ممّن يطالبهُ
احلى واحسن ما كانت شمائلهُ إذْ لاح عارضهُ واسودّ شاربهُ
وصار مَن كان يلحي في مودتِه إن سيل عنّي وعنه قال: صاحبهُ

يلحي: يعيب، يعذل.

(راجع ديوان ابي تمام، شرح وتعليق شاهين عطيّة، مكتبة الطلاب وشركة الكتاب اللبناني، ١٩٦٨) والشعر منسوب الى ابي نوّاس ايضاً.

ولـــه

إشـربِ الخمرَ المدامـا	واصحبِ الغـرُّ الكـراما
لا تَعفَـنَّ عن النيـ	ـك إذاً مـا الأيرُ قامـا
قال لـي لمّا تمـد	دَتُ عليـه حين نامـا
ما ترى طولي وعرضي؟	قلتُ: دعْ عنكَ الكلاما
لا نصيد الدّهر إلّا	حمْرَ وحشٍ ونعاما

* * *

ولـــه:

ولا تاسفنّ علـى ناسـكٍ	وإنْ كـان ذو طربٍ فابكـهِ
ونكْ مَنْ رايتَ مـن العالمين	فـإنّ الندامة فـي تركهِ

* * *

ولبعضـهـم:

ادخلتُ أيري فـي استه، ولسانَهُ	ادخلتُه مـن بعد ذلك فـي فمي
هـذا بذاكَ فلا عليه ولا لـهُ	العدلُ مـن شِيَمِ الأعزِّ الأكـرمِ

* * *

يحكون أنّ إبليس جمعَ المردان ورفعهم في غرفة عالية بسلّمٍ طويل ثم أزال السلّم، وقال لهم: (لا أردّه لكم، بل أترككم تموتون جوعاً وعطشاً إلّا أنْ آخذ عليكم عهداً وثيقاً لا تنكثونه)، فقالوا: (وما هو؟)، قال: (أنْ تنفروا عمّن طلبكم وتتبعوا مَنْ نفرَ عنكم)، فعاهدوه على ذلك ووفوا به.

* * *

ومن مثال اللّاطة المُرد: حيّان، وذلك حقّ وصدق، فإنّ أحدهم ربما طلبه طالبٌ وبـذل له الرغائب فامتنع عليه غاية الامتناع، ثم جاءه من تلقاء نفسه بلا كُلْفة. وسأحكي لك ما اتّفق في عصرنا هذا، ممّا يوضح عندك ما ذكرناه:

حدّثني بعضُ الظرفاء من أهل الأدب بدمشق، أنّه ورد عليها في زمن الملك المعظّم، رحمه اللّه، غلامٌ كان إبناً لوالي بعلبك لم يُرَ في وقته أتمّ منه

جمالاً ولا أحسن كمالاً، فدخلها بحشمة عظيمة لايكاد ينصرف من داره إلّا الى الجامع راكباً مع عدّة مماليك. وهو مع ذلك في نفسه في شدّة التصاون والانفة والحماقة وسوء الخُلُق. ما ينظره أحد من القضاة والفقهاء نظرةَ عينٍ إلّا أهانه. ولا يتعرّض إليه أحد بالسّلام من الأمراء والأجناد إلّا انتهرهُ.

وقد حام حول الوصول اليه جماعةٌ من أكابر الدولة بالحمل الكبار ولم يتّفق وصولهم اليه. وكان يجلس في مقصورة من مقاصير الجامع مع فقهاء من معارف أبيه، يأنس بهم ويتحدّث معهم.

وبدمشق رجلٌ من أهلها، رأيتهُ في تأريخ وضع هذا الكتاب، يُقال عنه إنّه لائط، فحكى لي عنه أنّه كان يجلس في المقصورة التي كان يجلس فيها ذلك الغلام، فكان معاشراً لأولئك الفقهاء، يحكي لهم عن نفسه ما يتفق له مع ما ينتابه[4]، من المُرد الذين هم ممّن يأتيه، وغاية بذله لأحدهم نصف درهم. فكان يحدّث أنّه يقول: (مُد وكُف)، يعني أنّه يمدّ إحدى رجليه ويكفّ الأخرى ليكون أمكَن للاستعمال، ويقول له: (قبّلْ هذا العضو الذي شرّفك)، إذا فرغ منه. ويحكي أشياءً كثيرة من هذا الجنس. فكان ربّما حضر والغلام جالس، فيسأله أصحابه فيتحدّث بهذا الحديث بحضرته، فيصفعه الغلامُ ويعبث به وينتف من شعر ذقنه، وهو يستطيبُ هذا ويرى أنّه نهاية الأمل الذي يقوم له مقام العمل.

فذكر أنّه كان يوماً خارجاً من بيته حتى لقيه هذا الغلام، وكان موضعه قريباً من موضعه، ماشياً وهو في غلالة لطيفةٍ وبيده قوس بُنْدُق[5] ومعه خادم ومملوكان وهو يتصيّد العصافير في حائط داره. فلما رآه استدعاه ليعبث به، ففرّ منه هارباً من أذاه فعدا خلفه ورماه بالبندق ليقف، فوقف وهو في غاية الخوف منه واتّقائه من شرّه. فلمّا وصل اليه جذَبه ورمى عمامته في عنقه، وقال له: (من أين جئتَ يا فاعلُ، يا صانعُ؟)، فقال له:

---

(٤) ينتابه: يأتيه مرّة بعد أخرى.

(٥) قوس البندق: معرّب (فَنْدُق) بالفارسية، وهو طينٌ مدوّر يُرمى به، يقال له (الجلاهق).

(مِنْ موضعي)، فسـأله عنه فأراه إيّاه، وكان قريباً، فقال له: (مَنْ كان عنـدك؟)، فقـال له: (لم يكن عنـدي احـد)، فقـال: (إدخلْ حتى أرى موضعك)، فامتنع عن ذلك غاية الامتناع وقامتْ عليه القيامة لعلمه أنّه إنّما يعبث به. فلم يقبله وجرّه إلى موضعه قسراً وامر غلمانه بالوقوف على البـاب. ثم صعـد معه الى غرفة كان يسكن فيها، فتناول آنية فكسرها وأخـرى فهرقها وجذب بلحيته فأقعده، ثم قال له: (إحكِ لي الآن كيف تصنع بالعُلوق؟)، فقال له: (لا أفعل)، وهو في ذلك يقسم عليه أنْ يخرج عنه، وهو يضحك ويرغّبه أنْ يحكي له كيف يصنع.

فلما كثر ذلك بينهما اخرجَ رأسه من الطاق وجعل يكلّم غلمانه وانبسطَ على وجهه، ثم قال له: (قمْ أرني كيف تصنع بهم؟)، فشاهد المنيّةَ ولم يشك أنّه يروم قتله إنْ مدّ يده اليه، فقام فارّاً من البيت فعدا وامسكه وأدخله واستوثقَ مَن غلق الباب وأدخل يده تحت ذيله واخترط سراويله وأقام ذَكَره بيده، ثم نزع سراويل نفسه ونام وتكشّف، ثم قال له: (بقي لك شيء، قم أرني كيف تصنع؟ واعملْ لي كما تعمل بأولئك، سواءً).

(قـال):

فقمتُ وفعلتُ ما قال، وهو في أثناء العمل يردّ يده فيصفعني، ويقول: (قلْ لي كما تقول لهم)، وانا اقول له جميع ذلك وأفعله به وهو ينفعل لي فيهـا ويساعدني عليها الى أنْ فرغت. ثم جلس يعبث بي ساعةً وطلب المعاودة، فعاودتُ مرّة أخرى وانصرف. واشتهرت القضيّة بدمشق، فكان ذلك سبب فساد الغلام والجسارة عليه ممّن كان يطمع فيه ويهابه[٦].

* * *

ومن ذلك ما اتّفق ببغداد في هذا التاريخ ايضاً، وذلك أنّه كان فيها

---

(٦) هامش في ا بخط غير خطّ الناسخ [اقول: وهذه القصّة اوّل دليل لما ذكره صاحب الكتاب من فضيلة الصفع وكونه محموداً وزايد النفع، وما اظنّ ان احداً يقف على هذه (القصة؟) إلاّ ويتمنى ان يكون صفعاناً]. وتحته هامش بخط آخر ولعلّه لمالك الكتاب، كُتب بخطّ شبه ممحو، يُخطّيء فيه كاتب الهامش الأول.

غلام مولّد من التُـرك والعـرب لم يُرَ في عصره مثله، وكان أكابر الدولة وعـظماء المدينة يرومونه فلا يصل اليه احد بغير المائين[٧] من الدنانير. فاتّفق أنّه عشقه فقير صوفيّ، كما جرتْ عادة الفقراء من العشق بالنَّظَر. فكان يقف في طريقه إذا ركب يلحظهُ لحظةً يعلّل بها حُشاشته[٨]. وكان هذا الفقير صَنْعته مُطرِّز وله قُويعة[٩] نظيفة يسكنها، يجلس في عتبة بابها يطرّز. فاتّفق أنّه كان ذات يوم في عتبة بابه، والشّارع منقطع وليس فيه أحد، وإذا هو بالغلام المذكور ومعه جارية بارعة الجمال محتشمة كان يعشقهـا قد خرجتْ من الحمّـام، وكان قد علم بدخولها فوقف لها على الطريق، فلمّا اجتمعا راما الحديث في الطريق فلم يمكن لهما ذلك فحارا كيف يصنعان، وفي أثناء حيرتهما نظر الغلام فرأى الفقير فاحتشمه[١٠]، وهمّا بالافتراق.

(قال) فلمّا رايتُ ذلك هملتْ عيناي بالدموع وانكببتُ على ارجلهما، وقلتُ له: (يا مولاي، هذا موضع عبدكَ وليس فيه أحد).

(قال) فكأنّما خُيِّرتْ لهما الدنيا بحذافيرها، فدخلا فوجدا قاعةً نظيفةً مرشوشةً خاليةً، وفيها فراش نظيف مختصر، كأنّها أُعدّتْ لهما مجلساً.

(قال) فلمّا استقرا ونظرتُ اليه في بيتي اعتراني زَمَعٌ[١١] عظيم واختلاطُ عقـلٍ فظننتُ أنّي في حلم أو الذي دخـل عليّ خَيَال من الجّان، وذهب مَيْزي[١٢] بالجُملة حتى ما بقيتُ أعقلُ. ثم راجعتُ فكري ومسحتُ وجهي واطبقت عيني وفتحتُها وقراتُ المعوّذات وعضضتُ اصبعي حتى أدميتُه ونظرتُ وإذا به جالس فتحقّقتُ أنّي يقظان. فلمّا تحققتُ ذلك غُشي عليَّ من شدّة الفرح ثم أفقتُ ووقع عليّ البكاء لافراط السّرور، فلم أملك نفسي

---

(٧) المائين: المئات.

(٨) الحُشاشة: بقيّة الروح في المريض او الجريح.

(٩) قُويعة: مصغّر قاعة.

(١٠) احتشمه: خجل منه.

(١١) الزَمَع: الدهشة، الرعدة التي تعتري الانسان إذا همّ بالأمر.

(١٢) الميْز: التمييز بين الأشياء.

فيه وخررتُ مغشياً عليّ. ثم افقتُ فسجدتُ شكراً للّه وانا ابكي، فلمّا سمعا البكاء بادرتِ الجارية بالخروج فألقتني ووجهي على الأرض وأدمُعي قد بلّت التراب، فقالتْ لي: (ويحك، ما قصتك؟).

(قــال):

فرفعتُ رأسي وانكببتُ على أقدامها وقلتُ لها: (يا سيدتي، أشهد اللّه وملائكته وحَمَلة عرشه إنّ رقبتي رقّ لكِ ما بقيتِ الدّنيا. انا أعشق هذا كذا كذا سنة، ولم أفز منه قطّ إلاّ بالنظر في الطريق راكباً يوماً في أيام، وقد كنتُ ميتاً فأحييتيني)، فلما سمعتْ ذلك قالتْ له: (خفّفْ عنكَ وأبشرْ)، وفي أثناء ذلك خرج الغلام فقال: (فيمَ انتم؟)، فقالت له: (هذا المسكين ميّتٌ من عشْقِكَ).

(قــال):

فعضّ على شفته لي في الخفية كالمُنكر عليّ ولحظني شزراً، وقال: (باللّهِ إنْ تحرّك[١٣] لسانَكَ في هذا بحرفٍ أخرج فلا أعود لهذا الموضع أبداً).

(قال) فقطعتُ ثم دخل. وخرجتُ فاشتريتُ فاكهةً يمكن مثلي شراءها، ومــا خفّ ولطف من الطعــام والشراب. ثم جئتُ فوضعتــه بين أيديهما وخرجتُ فأغلقتُ عليهما الباب الوسطاني وجلستُ في العتبة أطرّز، كما جرتْ عادتي، وأنا لا أدري هل أنا في الأرض أو في السماء.

(قــال):

فسمعتُ بينهما جَلَبةً عظيمةً وعتَباً ومنازعةً شديدة وتمنّعاً من الجارية عليه وإيماناً مغلظة أنْ لا يمسّها بيد. فعظم عليّ ما وقع بينهما وقمتُ لأنظر ما سبب ذلك، ووقفتُ فأسمع بحيث لا يعلمان بمكاني، فوجدتها تنازعه في أمري وتقول: (هذا المسكين الفقير له يعشقكَ كذا وكذا سنة، لم يصل قطّ منكَ إلاّ إلى النظر في الزقاق، وقد كان سبباً في إيصالك إليّ، ولولاه لم يمكن

---

(١٣) ا: لا تحرك.
ب، ج: ان حركت.

لك مني غير كلمة إنْ أدركتها، وانتَ غير ممتنع عن هذا الفعل. قد وهبكَ فلان الأمير كذا وكذا من الدنانير والقماش والخيل، فرحتَ إليه)، وأقبلتْ تعدّد عليه ما وصل اليهم ومَنْ وصل اليه من الكبراء، وتقول: (إنّما احتقرتَ هذا لفقرهِ، فافعل معه ما فعلتَ مع غيره لأجلي وبشفاعتي وحرمتي، فأيّما أحضى عندكَ: أنا أو ما وهبكَ هؤلئك؟)، فيقول: (واللّهِ، لا كانَ هذا أبداً)، فتقوم عنه وتلبس إزارها وخُفّها، فاذا رأته سمحتْ نفسه بتركها والصبر عنها رجعتْ اليه فترامتْ في عنقه ويَسَطتْه بأنواع من القول والفعل لم يَر ولم يسمع قطّ بأحسن منها حتى ينحلّ غضبه وتستحكم شهوته ويمدّ يده اليها فتكفّه وتنازعه في أمري، فإذا أبى وتشدّد عليها قامتْ ورامتْ الخروج. فلم يزل كذلك إلى أنْ قال لها: (استدعيه)، فاستدعتني وقالت لي: (إدخلْ فنلْ منه غاية بُغيتك)، ثم خرجتْ وأغلقتْ الباب فقال لي: (إقنعْ، ويحكَ، بتكبيس رجلي ولا تطلبْ غير ذلك لئلاّ تعدمني البَتّة).

(قال):

فأنعمتُ له بذلك، ومَنْ لي به عند نفسي؟، ثم أكببتُ على رجليه أمرّغ وجهي عليهما وأترشّفهما ساعةً، وهي تنظر من خلل الباب ونحن لا نشعر، ثم خرجتُ فقلتُ لها: (قد قضيتُ أرَبي)، فقالت: (لا شيء، وكلّ يمين منزلة في عنقي، إنْ رآني ابداً كما يريد، ولا نالَ مني غرضاً لو اقام ما اقام الدّهرَ، ولا جَمعهُ معي سقف بيت بعد هذا اليوم، إلاّ أنْ تنال منه بعيني ومحضري غايةَ أملَك).

فلما رأى تصمّمها على ذلك وتحقّق جَزْم نيّتها فيه، استسلمَ وأَمرَها فخرجتْ وتجرّد وقال لي (دونكَ وما قَسَم اللّهُ لكَ)، فنلتُ منه فوق الأمل، ثم دخلتْ فمكّنَتْه من نفسها. ولمّا كان عند الانفصال في آخر النهار استدعتني وجزمتْ عليَّ في المعاودة، وقالت: (إنّك كنتَ داهشاً مضطرباً في الأوّل)، فلم يسعْه خلافها وعاودتُ، ثم قالتْ لي: (نحن عندك في كلّ شهر مرّتين، وذلك أوان خروجي إلى الحمّام).

(قال) فأقمتُ على ذلك أجمع بينهما في كل شهر مرّتين، أباشره في كلّ يوم مرتين، كذلك ثلاثة أعوام، وليس ببغداد من ذوي المال والجاه العريض مَنْ لم يتقطّع عليه حسرات، وهو لا يناله.

* * *

ومن أمثالهم: «مِنْ سعادة اللايط أنْ يُسمّى بَغى»، والسبب عندهم في ذلك أنّهم إذا اشتهر أحدهم بهذا لم تنفر منه الغلمان، فيتمكّن له فيهم ما يريده.

* * *

ومن الحكايات في هذا الباب:

إنّ رجلاً تعرّض لغلام حَسَن الصورة، فنفَرَ منه. فأوهمه أنّه بَغى، فلمّا رأى الغلامُ ذلك ساعده، فصار به الى منزله. فلمّا خلا به طلب الغلامُ من الرجل تمام ما كان بينهما، فكشف له الأمر وعرّفه إنّه إنّما حصّله ليقضي غرضه عنه، فامتنع الغلام من ذلك وقام فرأى في الدهليز رداءً فاحتال حتى أخذه. فلما رجع صاحب المنزل التمس الرّداء فلم يجده، فصار الى منزل الغلام فقرع الباب فخرج اليه فقال له: (يا ولدي، رفعتُك على أنَّكَ علْق فخرجتَ، بحمدِ اللّه، حرّاً. وجئتَ معي على أنّي بغى فخرجتُ، والشكر للّهِ، فحلاً. الرداء بيننا في أيّ شيء يخرج؟)، ولم يزل حتى أخذ الرداء.

* * *

ومن هؤلاء مَنْ يحتال على الغلمان، فإذا حصل الغلام معه اضطجعَ له وكشف عن استه. فإذا جرّد الغلام سراويله وجلس على فخذيه أمسكَ خصيتي الغلام وعصرهما عصراً قوياً فلا يستطيع لنفسه دفعاً ولا منعاً. ثم يستدير عليه فيقضي غرضه منه، وخصيتاه في يده يعصرهما وهو لا يستطيع كلاماً.

* * *

وقد اتّفق في هذه المُعافصة[١٤] قصة غريبة لم يُسمع بأحسن منها،

---

(١٤) المعافصة: المصارعة.

وذلك أنّه حدّثني رجل من أهل الاسكندريّة، قال:

كان لي رفيق عشق غلاماً من أبناء المحتشمين بها، وتبعه سنين عدّة فلم يزده على السبّ والثّلب[15] والوعيد، فدسّ عليه من ذكر أنّه بَغى وأنّ غرضه منه أنْ يفعل به، فانحلّت عقدة الغلام لسماع ذلك ثم الحّ عليه في الطلب وشافهه بذلك فلانَ له. ولم يزل يواعده يوماً يخرجان فيه الى الرّمل، وهذا موضع بظاهر الاسكندرية مشرف على ساحل البحر فيه مغارات نديّة ذات رمل كثير يخرج اليها شباب الاسكندرية يتنزّهون، فخرج الغلام معه وخرج الرجل بسُفرة طعام وإناء فيه ماء، فإنّ الماء الحلو معدوم هناك.

(قـال):

ووصف لي الغـار الذي يدخـلان فيـه وقال: (تعال اليه حتى تقضي غرضك منه)، فقلتُ له: (وكيف يتصـوّر ذلك؟)، فقال: (لا عليك)، فخرجا وتبعتهما من بُعد إلى أنْ دخلا الغار فجئتُ وجلستُ ناحيةً من باب الغار، فلم أمكث إلّا يسيراً والرجل خرج منزعجاً فقال لي: (ادخل فاقضِ غرضك منه قبل أنْ يردّ)، وولّى فارّاً. فلم أدرِ معنى قوله، فدخلتُ الغارَ فوجدتُ الغلام ملقىً مكشوفاً لا نفس فيه، فدنوت منه فلم أشكّ في موته فسقطتْ قوتي ولم أدرِ ما أصنعُ، غير أنّي قلتُ: (قد كنتُ جالساً بالقرب من هذا الموضع وربّما يكون أحد أبصرَ الغلام لمّا دخل المغارة ورآني ههنا. فإن وُجد ميّتاً فيها قُتلتُ به لا محالة)، ومع ذلك فلا أدري ما سبب موت هذا الغَلام، ولا ما اتّفق بينهما.

فبـادرتُ وتجرّدتُ من ثيابي وحفرتُ في الرمل حفيراً عظيماً على هيئة القبر، ثم عمدتُ إلى الغلام فجررته وألقيته في الحفيرة، ثم أخذتُ السُّفرة بطعامها فألقيتها في القبر، ثم أخذت الإناءَ الماء وألقيته على السُّفرة، فلمّا سقط الأناء على صدر الغلام إهْريقَ ماؤها فأصاب وجهه، فلم أشعر به

---

(١٥) الثلب: الاهانة.

إلّا جالساً في القبر. فلما رأيته قام سقطتُ مغشياً عليّ لا أدري أين أنا ولا ما أنا فيه. فقام الغلام وتحاملَ حتى طلع من القبر، ثم شال رأسي وكلّمني ولم يزل يلطف بي حتى تراجعتْ روحي اليّ، ثم قال لي: (كيف وجدتني؟ ومَنْ أنزلني في هذا القبر؟)، فحكيتُ له صورة الحال لم أغادر منها شيئاً، ثم سألته كيف اتّفق له فقال: (دخلتُ معه الى الغار فطعمتُ يسيراً، ثم قام فنزع سراويله وانبطح، ثم نزعتُ سراويلي وجلستُ عليه لأفعلَ به فأدخل يده من بين فخذيه وفرجهما وقبض على أنثييّ[16] وعصرهما عصرةً عظيمة بيده الواحدة، ثم ضربهما باليد الأخرى ضربةً لم أشعر إلّا بروحي قد خرجتْ معها، ولم أدرِ ما كان بعد ذلك حتى أحسستُ ببرد الماء على وجهي، وأنتَ كنتَ السببَ في حياتي بعد، فلا ترع.

ثم دخل المدينة فطلب الرجل فلم يجده، وأقام ذلك الرجل أربعة أعوام لم يدخل الاسكندرية.

* * *

ومن أكبر حيل اللّاطة على الغلمان التحيّل عليهم بالنساء، وذلك أن الغلام عند البلوغ لا بدّ أن تطمح نفسه للنساء. فإن لم تكن لوليّه مكنة لعصمته بزوجة أو سَريّة نظرَ في الزّنا لا محالة، لا سيما إن كان طبعه مائلاً إلى النساء. فإن كان أبوه من الجهل بحيث يظنّ به العصمةَ في هذا السنّ، أو مِنَ البُخل بحيث يضيّق عليه ويسوّف به في الزواج ووقعَ عليه من تحيّل له بصورة امرأة، مَلَك قياده وبلغَ منه مراده.

* * *

كان بالمغرب رجل لائط عشقَ أمردَ وتعرّض له غير مرة فلم يزده على السبّ والشتم والتهدّد والتوعد. وكان الغلام ينتمي إلى الفتوّة والشّطارة ويأنف بنفسه عمّا يُطلب منه. فلما بالغ في سبّ الرجل وتنقيصه والاشارة بتقبيح إسمه وشتمه، لم يجد وسيلة إلّا أخته، وكانت بارعة الجمال

---

(١٦) الانثيان: الخصيتان.

موصوفة بالصيانة، فتطارحَ عليها وعرّفها أنّه ميتٌ من عشق ذلك الغلام وأنّ غرضه الاستمتاع بالنظَر إليه والقُرب منه، في غير حَرامٍ. وعرّفها أنه ميّت إن لم ينل ذلك، فوعدَتْه بتحصيله.

ثم لبستْ أفخر ثيابها وأخذت معها عجوزة وتعرّضت له، فرأى ما اذهله فتبعها وتحدّث معها، فواعدته يوماً معلوماً في موضع معلوم وواطأتْ أخاها عليه. فذهب أخوها في ذلك اليوم فواعدَ خمسة عشر رجلاً من انحس ما يكون في المدينة، من مشاعليّة[17] وكتافة[18] وسودان مرقّصين القرود، وأدخلهم الدار في اليوم الموعود وأخته لا تشعر. ثم خرجت من بيتها وتعرّضت للغلام فتبعها والعجوز معه حتى دخلت به وخرجت هي لما حصل في البيت كأنها تقضي شغلاً، فخرجت عن الدار ودخل أخوها ومعه الجماعة ففتكوا بالغلام جميعهم بأسرهم، وهتكوه أقبح هتك، وأُشهرَ أمره في المدينة، فلزمه عارٌ لا ينفصل مدى الدّهر.

* * *

وأما ما حصل منهم بالنساء على وجه الطيّبة والرضى فما نحصيهم بعدد، وإنما ذكرنا هذه الحكاية الشنيعة ليتحفّظ الغلمان المؤثرون الصيانة من الوقوع في هذا الباب. كما يجب ان يتحفّظوا من المتحيّلين عليهم بباب البَغى المستفعل، المتقدّم ذكره.

* * *

وبالمغرب[19] مدينة تسمّى تونس لها ثمانية أبواب، وفي هذه المدينة شيوخ ثمانية لاطة يُعرفون بشيوخ الطريق. ليس منهم إلّا طاعن في السّن، بيض اللّحى، لكل واحد منهم باب من أبواب المدينة معلوم، فإذا طلع الفجر بكّر كل واحد منهم فخرج من الباب ثم بعُد قليلاً وقعد على قارعة الطريق من حيث يعبر الرّفاق المدينة، فلا بد ان تعبر رفْقةٌ أو رفاق

---

(١٧) المشاعليّة: حاملو المشاعل.

(١٨) ج: وسيّاس.

(١٩) ا: بالمغرب.

كل يوم جائية للمدينة، من أي جهة كانت من الجهات القريبة أو البعيدة.

فإن كان في الرفقة غلام، وقلّما تخلو رفقة من ذلك، نظَر في وجهه نظرَ متوسّم فيه أو مشبّه له ثم سأله عن بلده ونسبه، فإذا عرّفه به قال له: (ألك أبٌ او أخ؟) فإذا قال: (نعم)، قال له: (هذا الحقّ، ما خفي عنّي الدم، فإني لما رأيتُك شبّهتك به، ذاك أخي وأعزّ الناس عليَّ)، إن كان أباه. وإن كان أخاه قال له: (ذلك ولدي، أنا ربّيته)، وقد يكون لم يرَ ذلك الرجل قطّ، وقد يكون رآه مرة في الطريق او في السوق، وإن اتّفق ذلك حتى يذكر بعض صفته، استسلم إليه على الفور.

ثم يسأله عمّا أتى به، فإن كان الغلام تاجراً ومعه قماش دخلَ معه المدينة وانزله في أجودها خاناً واوصى عليه الخانيّ، وأتاه من الحمّالين بمَنْ يدخل له قماشه بكراء مُستصلح، ووقف معه عند صاحب الزّكاة، وهو يعرف الشّيخ، فيراعي الغلام بسببه ويذكر[20] انه إبن قريبه، أو صديقه. ثم يجتمع ببعض الدلّالين ويقول لهم: (هذا قماش كثير، لا بد أن يُخدم صاحبه)، فيجعل الدلّال يصنع طعاماً. فلا يستقر الغلام حتى يظهر له ظهوراً لا يستريب فيه ان الشيخ قد نفعه منفعة كثيرة واستصلح عليه جُملة كبيرة. فإذا استقرّ قدّم له الطعام وأوهمه انه من عنده، وفي الحقيقة لولاه ما صُنـع. ثم يرجع إلى أمر البيع والشّراء، فيأخذه ويمضي به إلى السـوق فيجمع بينه وبين الأمين والعدول ويوصيهم عليه ويحذّره من البيع على مفلسي الأسواق، ويعرّفه من يلد ومن يمطل منهم، ويوضّح له جميع وجوه مصالحه ويحذّره عن جميع مضارّه، فيرى الغلام انه قد رُحِمَ به وما يدري انه رُجِمَ به، ولا يبقى يخالفه في دقيق ولا جليل.

فإذا استقر به القرار إستدعاه لمنزله وأحضر غداءه الخاص به ولا يزيـد عليـه شيئاً، وكذلك من الشراب، فأكل معه وشرب ووضع يده في الغـلام، فلا يزال يستمتع به مدّة مقامه في المدينة. وإن كان الغلام لم

---

(٢٠) وذكر.

يصل بتجارة كان الأمر عليه فيه أهون، فلا يحتاج إلّا ان يأخذ بيده ويمضي به إلى منزله.

وبين هؤلاء الشيوخ شروط منها:

أنْ لا سبيل لأحد منهم أنْ يدفع للأمرد درهماً واحداً، ولا ينفق عليه شيئاً، ولا يزيد، إذا حضر عنده، على طعامه وشرابه المعتاد إلّا ما لا يخرج من كيسه. بل إن أمكنهم ان يستفيدوا من جهته شيئاً استفادوه، مثل أن يقسموا مع الدلّالين الأجرة على بيع قماشه، أو أن يكون غرّاً فيواطئوا على صاحب دكان في البيع والشراء ويقتسمون معه الفائدة، أو غير ذلك من الوجوه التي تُهيّأ لهم بحسب الأحوال. فهم إذا لم يستفيدوا من جهة الغلمان فلا يخسرون شيئاً أصلاً.

ومن شروطهم:

إن أحدهم لا يستبدّ على الآخر بالغلام ولا بالفائدة الحاصلة من جهته، بل إذا حصل الغلام في منزل أحدهم جاء كل واحد منهم بطعامه وشرابه المعلوم، لكفايته خاصّة، ونَقْله وقدحه وجميع ما يحتاج إليه بلا زيادة ولا نقصان، فيجتمع من ذلك مقام، ويتذاكرون أبا الغلام أو أخاه، فيقول أحدهم: (هو فلان الذي بتنا معه في الموضع الفلاني واتّفق له كَيْت وكَيْت)، كأنهم كلهم، أو أكثرهم، كانوا أصحابه. ولا يظنّ الغلام ولا يخطر بباله أن مثل أولئك الجماعة من الشيوخ يتواطئون على الكذب والبهتان. وقد حُدّثتُ عنهم أنهم تجري بينهم على الشراب عجائب من المصارفة في الطعام والشراب والنَقل، حتى ان القدح الذي يشربون به له طوق معلوم ينتهي الشّراب إليه لا يتعدّاه. ولا يشرب أحد في غير دوره أصلاً، ولا يمكن ان يتناول من النقل إلّا قدَراً معلوماً عند آخر القدح. ويتقاسمون قطع اللحم والعصافير وغير ذلك، مما يمكن أن تقع فيه العين، بالقُرْعة؛ ومؤونة الغلام بينهم على الرؤوس. ولا تقع بينهم مسامحة في شيء من الأشياء أصلاً إلّا في الغلام خاصة، فإنه بينهم كالفريسة بين الأسود، ومَنْ شاء منهم انتهشه، وكلّ مَنْ بسط يده إليه افترسه.

وبهذه المدينة جماعة آخرون من اللاطة يُسمّون: الأمشاطيين. وهؤلاء يستعمل أحدهم من الأمشاط الطرائحيّة جُملة كبيرة، مما يُباع منها العشرين والأكثر بينهم بدرهم واحد، فيجعلها في سلّة عندهم ثم يأخذ جملة من طين الحمّام، وليس هو الطين المغربي وإنما عندهم طين يشبه الأندلسي ويغشّ به يُباع منه حمل حمار بربع درهم، فيأخذ منه سلّة أخرى ثم يخرج بعد العتمة يتصيّد الغلمان المؤاجرين، فإذا وقع له أحدهم حمَلَه إلى منزله على غير طعام ولا شراب، فإن الوقت يكون ممسيّاً جداً ويكون الغلام ضرورة قد تعشّى، ولا يترك في بيته شيئاً يدور عليه الضرس. ويعتذر للغلام أنّه جاء في غير وقت طعام ولا شراب ولا وقت متسّع لإعداد ذلك.

ثم يلبثُ به الليل كلّه ويعده أن يصطبح معه على حالة عظيمة يخلف عليه فيها جميع ما فاته في ليلته، فإذا سمع النداء للفجر وهو عنده وقت قد عوّد نفسه القيام فيه ضرورة، فيقوم ويقول له: (عادتي أن لا تفوتني صلاة الغداة، لكن هلّم بنا إلى الحمّام ونرجع إلى البيت في الظلام)، ثم يدفع له مشطاً وصرّة فيها طين ويقول له: (تقدمْ إلى[21] الحمّام الفلانيّ حتى أبدل ثيابي والحقك)، فيسبق الغلام للحمّام ويدخله فيكون آخر عهده بالرجل. ومن أعظم المصائب على الغلام أُجرة الحمّامي، فبعضهم يعطي من كيسه، ومَنْ لا يكون معه شيء فيرهن فيها بعض قماشه.

***

وهذا تقليد[22] من قاضي الفَسَقة
لنائبه بالاسكندرية، نسباً: الوهراني[23]، تجاوز الله عنه،
فيه مُلَح تتعلّق بهذا الباب رأيتُ أن أختمه به

الحمد للّه الذي تجاوز عن كلّ غيّ، ووعدَ بالمغفرة كلّ حيّ، وقال:

---

(٢١) الى: ناقصة من ا، وهي في ب، ج.

(٢٢) التقليد: ما يكتبه السلطان او الأمير للحاكم مصرّحاً له به تقليده الحكم.

(٢٣) ا: [اسا الوهراني].
ب، ج: [انساناً يسمّى الوهراني].

(ورحمتي وسعت كلّ شيء)[٢٤]، أحمـدُه حمدَ الثّرى للمطر، والمحبّ على بلوغ الوطَر، وأشهد أنْ لا إله إلاّ الله، وحده لا شريك له، شهادةً تُوصل إلى وَصْل الولدان، وتجمعني في الجنّة مع المُرْدان، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله، الوفيّ بذمّته، والشفيع للمذنبين من أمّته، صلّى اللّه عليه وعلى عِتْرته.

هذا ما عهده قاضي قضاة الفاسقين، وناصر دِيْن العاشقين، وإمام العُصاة والمنافقين، جَمال البرود والدّساكر[٢٥]، زينُ الخرابات والمَوَاجر، فخـرُ العلوق والمســاخر، ذو القرنين الحاضر، مسخرة غلام نعّاظ أمير المؤمنين، أبقاه اللّه للقيادة يتلو صُحفها، ويصطفي تحفها، وللاّطة يطفي علوقهـا، ويفتح مغلوقها، وللسدود يغري قحابها، ويحمي رحابها، وهو يومئذٍ متولّي قضاء الفسق بالاسلام، نافذ القول في الأعسام[٢٦]، قاضي الحُكم في المغرب والعراق والشام.

إليـك أيّهـا القاضي الأحمّ[٢٧]، فخر القضاة وتاجها، وطِيْب المعاصي وسراجهـا، عزّ العُلوق وعمـادهـا، رُكن اللاطة وزنادها، جمالُ الفسَقة وعينها، شرف الزّناة وزينها، أدام الله سرورك وأفراحك، وكثّر في المعصية مراحـك، وسخّـر لك علوقـك وراحك، ولا زالت همّتك مصروفة للمحاب، وأكتـافـك مصطبة لأقدام القحاب، ومنزلك مغموراً بالعلوق، وعارضك مصفّراً بالخَلوق[٢٨]، تقضي في الحقوق، وتنهى عن العقوق، إلى يوم يُنفخ في البوق.

ولما انتهى إلينا، أيها القاضي، أطال الله قرونك، وعلّق في الخمر رهونك، ما أنت عليه من سوء الخلائق، ودميم الطرائق، وإنهماكك في المعاصي،

---

(٢٤) سورة الاعراف ـ آية ١٥٦.

(٢٥) الدساكر: بيوت يكون فيها الشراب والملاهي.

(٢٦) الاعسام: الجسم والخلقة.

(٢٧) الاحمّ: الاخصّ والاقرب.

(٢٨) الخلوق: ضربٌ من الطيب، اعظم أجزائه الزعفران.

وضربك بالمخاصي، وفسقك في الأداني والأقاصي، وأنّك من أكذب الناس لهجة، وأبعدهم في المعرفة حسّاً، وأبخلهم على المال نفساً، تتلو صحف الأكاذيب، وتدأب في المعاصي مثل الذيب، استخرتُ اللّه تعالى وقدّمتك على القضـايا السرّية، بثغر الأسكندرية، فإحذر من الأضطهاد، وشَمّرْ عن ساق الاجتهاد، ولا تترك شيئاً من أمور الفسق مطلقاً، ولا باباً من أبواب المعاصي مغلقاً.

فأول ما أذكر لك، أيها القاضي، تقوى اللّه تعالى، الذي إن دخلت فيه بالأتيـا، استعجلتَ العـذاب في الحياة الدّنيا، وحطّك وهدّمك[٢٩]، وقطع لذّاتـك وحرمك، فجانبْه[٣٠] مجانبة الأسد الكاسر، واجعلْه بمنزلة العدوّ الناسر، ولا تلمّ به إلّا من بعيد، ولا تبصره ولو في يوم عيد، وحسّنْ ظنّك باللّه العظيم، وثق بعفو الغفور الرحيم، فإنّه لا وصول لجنّته، إلّا بمنّته، ولا مخلّص من عذابه، إلّا برحمته وثوابه، وإذا أراد الله أمراً يسّره، وإذا كره شيئـاً عسّره، فصِـل من المعاصي ما قطعتَ، وحمّل شفاعة نبيّك ما استطعتَ، وإن كنتَ لا بد لك من التقوى، فاجعل التوبة، آخر النوبة.

(بيت مفرد):

وكثّرْ مـا استطعتَ مـن الخطايا إذا كـان القدومُ علـى كريمِ

وأوّل ما آمركَ به ان تنظر في أبواب الخمر، فمَنْ صَرَقها[٣١] صرّقْه[٣٢] في أعمالك، ومَنْ قَبَلها فاقبلْه تبْعاً لك، ومن دلَّس[٣٣] في جرْياله[٣٤]، أو نقصَ في مكياله، فافس في سباله[٣٥]، واحمل الكلب على عياله.

---

(٢٩) ا: وحطل وهديتك. والتصحيح من ج.

(٣٠) فجانبه: ساقطة من ا.

(٣١) صرقَها: شربها صِرقاً، اي لم يمزجها.

(٣٢) صرّقه: فوّض الأمر اليه.

(٣٣) دلّس: خادع.

(٣٤) الجريال: الخمر.

(٣٥) الفَسْو معروف، والسبال: ما على الشارب من الشعر.

وآمرُ أن تحكم في الشّرب بهواك، ولا تتّكل فيه على سواك، ولا تنادم المعربدين والأثقال، ولا تسامحْ في فعلٍ من الأفعال، وتلقَّ رجيعَ[٣٦] السّكران بكُمّك، وفدّه بأبيك وأمّك، ولا تؤاخذْ نديمك بتجافيه، ولا تعوّلْ في السكر على تصافيه، واطوِ بساط الخمر بما فيه.

وآمرك ان تنظر في الولدان، والصغار من المُردان، فمن بلغك أنه مقصّر، أو أعمى لا يبصر، فخذه بالملاطفة، واحذر عليه من المخالفة، وصبّعْه[٣٧] بالخنصر، ودرّجْه بالبنصر، فإذا ارتقى إلى الترويس، وانتهى إلى درجة التلبيس، فالزقْه بالحَصَى، وادخله عليه إلى الخُصى.

وآمرك ان تجمع بين الصغار والكواسر، وأن تطرّقهم إلى دخول القياسر، وازجرْهم عن الجدال، واعصبْهم عن البذال، وعرّفهم أنّهم من الوَجارة، يرتقون إلى التجارة، وفي البغاية، نيلُ الغاية، لأنها دأب الملوك، وشأن أرباب السلوك[٣٨].

وآمرك ان تنظر في أمر الأحاريش[٣٩]، والعلوق النّكاريش[٤٠]، فمَنْ نَتف عن ساقٍ شَعْره، أو رفع على اللاطة سعره، أو حلق بالزجاجة خدّه، أو تجاوزَ عن المعلوم حدّه، فحذّر منه العاشقين، وافضحْه في ملأ من الفاسقين، واكتبْه في ديوان المنافقين.

وآمرُك ان تنظر في أعداء الدين، من فقهاء القوّادين، فمن بلغك أنه يشرخ درهماً من عاشق، أو تآخى برجل فاسق، فشهدَ له بزُور، أو دلّاه بغرور، فاصفع قفاه، وانزل به من التنكيل أوفاه.

وآمرُك ان تنظر في باب الصّفاع، وتذكر ما فيه من الانتفاع، فإنه محلّ

---

(٣٦) الرجيع: العَرَق.

(٣٧) صَبَع (الشيء): ادخل فيه اصبعه.

(٣٨) وشأن ارباب السلوك: ناقصة في ا وبدلها: (وعلّة الكتّاب).
ب: (وعلّة الكبار). وهي إضافة من ج.

(٣٩) حرَش: جامَعَه مستلقياً.

(٤٠) النكاريش: جمع نكريش وهي من الفارسية (نيك: جميل، ريش: اللحية) أي بمعنى ذي اللحية الجميلة أو جميل اللحية.

للأخلاط، ومسهّل للظراط، فقدّم إلى أصحابك باستعماله، وحضّ الرعية على احتماله، وانظر في مشكلات نوائله، وترتيب منازله، واحكمْ في التخيير والتخيّر، وفي التعمير والتعمّر، ولا تهيّت[41] في اللحميّة بالمظنّة، ولا في المكشوفة بالمفطنة، ولا تأمر في استيفاء البغاويّة إلاّ في مكانها، ولا في التعانقيّة إلاّ في أعكانها، وبعد هذا فلا تأمَن الجهّال بهذه المسألة، وأنتَ بحمد الله من ذوي الألباب، في هذا الباب، فمشّه بفقهك وحكمك، فتنظر فيه بفضل علمك.

وآمرك ان تنظر في المُساحِقات، وفي القحاب المتعاشقات، فإنهنّ إذا تُركن كذلك، إكتفى بعضهنّ ببعض، واشتغلنَ بالنافلة[42] عن الفَرْض، فيكون ذلك سبباً للفساد، وداعية إلى الكساد، فاردعْهم بالتنكيل، وحسبنا اللّه ونعم الوكيل.

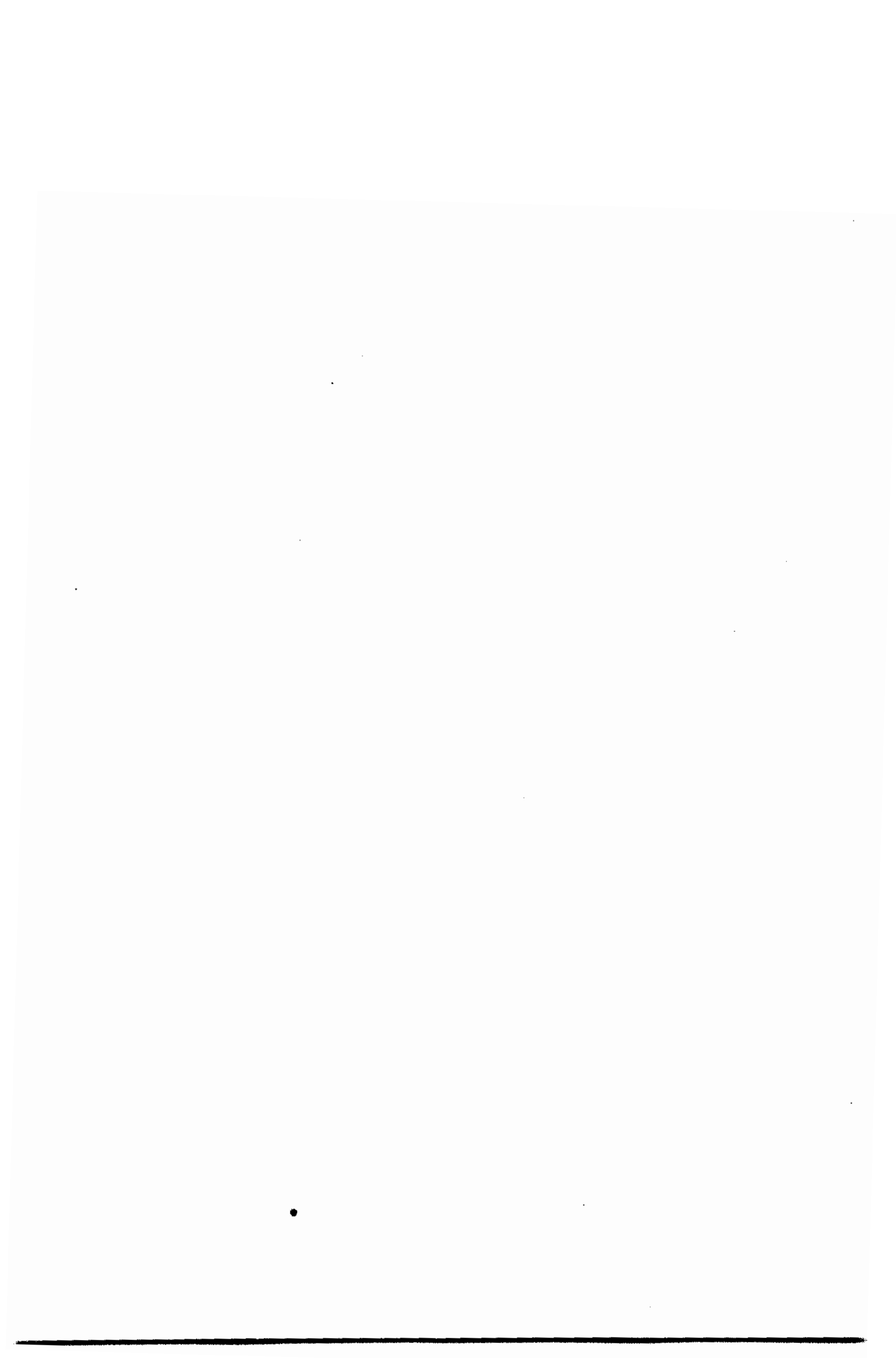
* * *

(٤١) هيّت: صاح به، ومن هنا الى (في أعكانها) اجتهاد من عندنا لان النصّ غير واضح في ا ومختلّة في ب، ج. (م).

(٤٢) النافلة: ما تفعله ممّا لم يُفرَض ولم يجب عليك فعله.

الباب التاسع

في أدب الدبّ
ونوادر أخباره
وملح أشعاره



أول شروط الدابّ: أن يكـون صغـير الأير، فإنّ كِبْر الأير والدبّ لا يجتمعان. فإن دبّ كبير الأير عرّض نفسه إلى صفْعِ القَذَال[1] ونتْفِ السّبال.

ومما حُكي في ذلك:

أن رجـلًا عظيم الأير دبّ على أمرد ظريف فاستيقظ لعظم ما أحسّ فأمسكه واستغاث، فجيء بالسّراج وأير الرجل في يده قائم كأير الحمار، فقال لهم: (يا أصحابنا، نشدتُكم الله، هذا أير من يدبّ؟ وهل[2] أنا وغيري يحتمل هذا وهو يقظان؟ فكيف مَنْ يكون نائماً؟)، فتناولته الأكف من كل جانب.

* * *

ثمّ يجب على الدبّاب بعد ذلك الاستعداد بعشرة أشياء، وهي[3]:

[١] سنّارة فيها خيط طويل

[٢] ودرج ورق

[٣] وثلاث حُصيّات

---

(١) القذال: ما بين الأذنين من مؤخّرة الرأس.

(٢) أ: وها أنا.

(٣) الترقيم التالي وما سيليه من عندنا (المؤلف).

[٤] وتراب ليّن
[٥] ورَقّ صغير
[٦] ومقراض
[٧] وجَعْبة فيها دهن
[٨] وكلوتة[٤] فرو
[٩] ودراهم زُيُوف
[١٠] وبيضة نيئة.

[١] فأما السنّارة والخيط

ففائدتهما ان العادة جرت إذا نام غلام مع قوم واستراب منهم تركهم إلى ان يناموا ويُطفأ السّراج، قام من الموضع الذي هو فيه إلى موضع آخر ونام[٥] فيه. فإذا أُلتُمِس في موضعه لم يوجد، وربّما وقع المُلتَمِس له على غيره فافتضحَ وسلمَ الغلام، فيستعد الدّاب بأن يجعل السنّارة في ذيل الغلام ويكون طرف الخيط في يده. فإذا قام إلى موضع آخر بقي الخيط دلالة له، فيقوم ويتبع الخيط حتى يهديه عليه، ثم إذا وصل إليه قصّر الخيطَ وشبكَ السنّارة في الحصير أو في البساط، فإذا استيقظ وقام يتبعه عاقَه الخيطُ عنه إلى ان يصير إلى مأمنه.

* * *

[٢] وأما درج الورق

فإنه يمدّه كالقصبة ويطفىء به السراج إذا نام أهل المجلس.

* * *

[٣] وأما الثلاث خُصيّات

فإنه يرمي بإحداهن على آنية نحاس أو غير ذلك، كأنّها سقطت من

---

(٤) الكلوتة: قبّعة.
(٥) أ: نام. ب: فنام.

السقف، فيختبر هل نام الناس. فإن رفع أحدٌ رأسه تناوم ساعةً وإلاَّ[٦] فيعلم أنّهم ناموا.

* * *

[٤] وأما التراب الليّن

فإنه إذا وصل الغلام فربّما وجده مستلقياً على قفاه أو على جانبه، فيذرُّ على عينيه من التراب فيظنّ انه سقط من السقف، فيمسح وجهه وينفتل[٧]، فيتمكّن منه.

* * *

[٥] وأما الزقّ الصغير[٨]

فإنه إذا كان المدبوب عليه ملاصقاً لجانب شخص آخر فيجعل الزقّ بينهما وينفخ فيه إلى ان يتّسع له موضعاً.

* * *

[٦] وأما المقراض

فإنه يقطع به التكّة أوي فتح به مَقْعدة[٩] السراويل.

* * *

[٧] وأما الجَعْبة التي فيها الدهن

فإنه ربما يجفّ ريقهُ في فمه من الخوف والدهش، فيستعين الدهن.

* * *

[٨] وأما كلوتة الفرو

فإنه يتعرّى من ثيابه ويلبسها على رأسه مقلوبة والصوف ظاهره. وقد جرت عادة الغلمان إذا قام أحدهم للدابّ يمسكه بثيابه فلا يجد ثوباً

---

(٦) وإلاّ: ناقصة من ا، وهي إضافة من ب.

(٧) ينفتل: يستدير.

(٨) هذا الفصل ساقط بكامله من ا، و(فإنه) إضافة من عندنا اقتضاها سياق الأسلوب.

(٩) المقْعْدة ـ مكان القعود، اي اسفل السروال.

يتشبّث به، فيبادر إلى رأسه ليمسك شعره، فتقع يده في الصوف فيظنّه شعراً فيقبض عليه، فيملص الدابّ من يده وتبقى الكلوتة في يد الغلام، ويسلم.

* * *

[٩] وأما الدراهم الزُيوف

فإنه تكون مُعدّة معه، فإذا استيقظ الغلام بادر بوضعها في يده. فإن رضي فاستقرّ قضى أربه منه، ثم لا يحصل بالغداة[١٠] على شيء.

* * *

[١٠] وأما البيضة النينة

فإنه يبادر ويستلقي على وجهه ويكشف أسْته ويضع شيئاً من بياض البيضة[١١] بين فخذيه ويتناوم. فإذا جاء السراج ووجد على تلك الحالة قيل: (وهذا أيضاً ممن دُبّ عليه)، فسلم بذلك من ان يُتّهم بالدبّ.

* * *

---

(١٠) الغداة: أوّل النهار.

(١١) إضافة في ج: (إذا تنبه له).

النـوادر في هذا الباب

دبّ غلام على آخر ففطن له، فقال: (وردَّ اللّه الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً)[1].

فانتظره حتى نام ودبّ له ثانية فأولج فيه وقال: (ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها)[2].

* * *

دبّ انســان على آخر فانتبه وأيره في اسْته، فقال: (ما هذا؟) فقال: (والله الذي لا إله إلاَّ هو، ما علمتُ)، فقال: (يا ابن الفاعلةِ، إخرجه)، فقال: الآن، تمّم النعمة واجعلْها يداً[3].

* * *

نام الجمّاز مع قوم فدبّ إليه انسان غلطاً، فانتبه الجمّاز فأخذ شيئاً من ريقــه وقــال: (يــا سيدي، استعن بهذا في سفرك)، فخجل صاحبه وانصرف عنه.

* * *

وحكى السّجتاني، قال:

كان أبو بكر بسجستان مضحكاً للأمير ومنادماً له. وكان إذا سكر ونام أهل المجلس دبَّ حيث كان ولم يُبق على أحد. وكان كثيراً ما يبيت في دار الأمـير، فيقـوم على رسمه[4] وربماَ وقع على الأمير، فقال له الأمير يوماً: (ويحك، أنا رجل شيخ، وفي داري من الغلمان ما تَرى، فدُب على مَنْ شئت منهم ودعْني)، قال: (أيها الأمير، إني لا اتعمّد ولكني من أين أميّزك من

---

(١) سورة الاحزاب، آية ٢٥.
(٢) سورة القصص ـ آية ١٥.
(٣) اليد: النعمة والاحسان.
(٤) الرسْم: الأمر.

غيرك في تلك الحال؟) فقال الحسين، نديم آخر كان للأمير: (مرْ غلامك ان يجعل عند رِجلك سيفاً مسلولاً، حتى إذا وقع عليك عرفك وعدل عنك). فاتّفقوا على هذا.

فلما نام الأمير في بعض الليالي والسيف مسلول حيث اتّفقوا عليه، قام الحسين وأخذ السيف ونحّاه، وجاء أبو بكر فأخذ في العمل فانتبه الأمير ولم يحرد[5]، وقال: (ويحك، انا الأمير)، قال: (فأين العلامة التي كانت بيننا؟) فضحك الأمير وعلم أن الحسين نحّى السيف.

* * *

وقال الجاحظ:

نزل بي ضيف فنوّمته في الدار فوجدته في بعض الليالي معي على السرير ينيكني فقلت: (ويحك، ما هذا؟ ولِمَ دخلتَ هنا؟) فقال: (وجدتُ البرد)، فقلت: (فلِمَ طلعتَ على السرير؟) فقال: (من البراغيث)، فقلتُ: (فلِمَ تنيكني؟) فقال: (ليس هذا موضع المسألة).

* * *

وحدّث محمد بن موسى، وكان شيخاً من أبناء تسعين سنة، قال:

كنّا في مجلس فيه جماعة وعندنا مغنّ أمرد، فلم نزل نشرب إلى ان أمسينا واخذ كلّ واحد منا مضجعه وفي قلبي أنّي أدبّ إلى المغني. فجاءني واحد ليحل سراويلي فأخذت يده فجعلتها على لحيتي فتركني وذهب. ثم جاء آخر فتخوّفت أن لا يدعوني أنام ويفوتني المغني، فتناومت حتى ناكني وقام.

فلما قام جاء آخر وتغافلتُ له أيضاً، ثم جاء صاحب البيت. فلما طال عليَّ قلتُ: (ويحكم، انا أُناك إلى الغداة)، فقال صاحب البيت: (هذا انتَ يا أبا جعفر؟) وقام إلى المغني وقال: (أنا كافرٌ إن تركتُك او ينيكَك أبو

---

(٥) يحرد: يغضب.

جعفر، فقد ناكوه بسببك، وبيننا وبينه مودّة منذ سبعين سنة).

* * *

وحدّث بعضهم، قال:

دبّ واحد إلى غلام فانتبه الغلام وأخذ حجراً ورماه به فشجّه وجرى الدم، فلما أصبح قيل له: (إستعدِ[٦] عليه)، فقال: (يا قوم، أنيكهم من غير ان استأذنهم وأستعدي عليهم إذا ضربوني؟ هذا لا يجوز).

* * *

وشرب أبو سعيد الحديثي عند قوم وعندهم غلام حسن الوجه ومعه أبوه، فقام أبو سعيد في جوف الليل يدبّ على الغلام فوقع على الأب، فقال: (مَنْ هذا؟) فقال أبو سعيد: (أليس قلتُ لك إذهب إلى السوق؟ لِمَ لا تذهب؟) فقال: (يا سيدي، فمَنْ يقال له إذهب إلى السوق وما يذهب، ينيكوه؟).

* * *

اجتمع قوم على شراب ومعهم مغنّ أمرد، وكل واحد منهم قد وضع عينه عليه، وكان الغلام عيّاراً. فلما ناموا وأطفأوا السراج قام الغلام من موضعه الى موضع آخر فنام، وكان شيخ نام عند موضع الغلام فدبّ عليه واحد من القوم فانتبه الشيخ وعلى ظهره رجل وأيره في اسْته، فقال: (يجب أن يكون هذا غلطَ). فأخذ يده فوضعها على لحيته، فلما مسّها، وقد، قارب الفراغ، جعل يجيء ويذهب ويقول: (يا سيدي، أنتَ أولى مَنْ قبل العذر. فوالله ما علمتُ أنك هو؟) فقال الشيخ: (يا أخي أيرك في اسْتي، عافاك الله، وأنت تجيء وتذهب وأنت تعتذر، فكيف أعذرك؟).

* * *

ودبّ الصّخري إلى غلام فانتبه الغلام وقبض على أير الصّخري، وقال:

---

(٦) استعدِ عليه: استنصرْ بغيرك عليه.

(مَنْ ذا؟) قال الصّخري: (ليس أنا)، قال الغلام: (فهذا في يدي حتى يجيء صاحبه الكِشْخان).

* * *

قال مؤلف الكتاب:

جرى يوماً ذكر العجائز وغُلْمتهنّ(٧) بيني وبين صديق لي بالاسكندرية، فقال: (سأحدّثك بما شاهدته في ذلك مما يكون لك فيه أعظم بصيرة. كنت في ريعان شبيبتي أبيتُ في دار صديق لي شاب، وكان يبيتُ عندي يشرب تارة ويلعب الشطرنج تارة. وله أم عجوز ولي أيضاً أُمٌّ كذلك. فجئته ذات ليلة لأبيت عنده على العادة، فوجدته قد دعاه صديق له وامسكه ليبيت عنده. فجلست انتظره إلى ان مضى صدر من الليل، وكانت ليلة ذات شتاء ومطر ولم يمكنني العود إلى منزلي، فبتّ في الدار والعجوز إلى زاوية البيت، وهي عندي بمنزلة والدتي.

فلما جنّ الليل ودفئتُ في الفراش تحرك عليّ ساكن ووقفتُ على صدق قول الصّادق الأمين: «لا يخلونّ رجل بامرأة إلّا كان الشيطان ثالثهما»، فخطر ببالي نيك العجوز ثم لعنتُ الشيطان وصرفتُ هذا الخاطر عني وطيبتُ(٨) نفسي بالنوم فامتنع عليّ واهتجتُ وحرّكني لذلك نَفَسُها معي في البيت وخلو الموضع، ولا يلمني اللائمُ حركةً لم أملك معها نفسي، فقمتُ ودنوتُ منها ومددتُ يدي إليها وكشفتُ ذيلها ووضعت يدي على كسّها وإذا به كقنفذ ملتفّ في شوكه من الشّعر، فلعنتُ نفسي ورجع العقل إلى رأسي فتركتها وأردت النوم فلم استطع، وحصل إنعاظ شديد وأُجبر الخاطر فتركتها وأردت النوم فلم استطع، فاستيقظتُ وعاد الخاطر الأول أشد ما كان أضعافاً مضاعفة، فتقدّمت ومددتُ يدي وحرّكتها، فقمتُ إليها على نيّة غشيانها على تلك الحالة، فمددتُ يدي إلى كسّها فإذا به أنقى من الرّاحة، ليس فيه زغب ولا شعر. وعلمتُ انها احسّت بي أولاً

---

(٧) الغلمة: استحكام الشهوة.

(٨) ب، ج: وطمّعت.

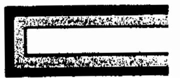
وعلمت ان رجوعي كان استقداراً لها بالشَّعر فما أعلم كيف أزالته في تلك اللحظة كأنه لم يكن فيه قطّ نبت شعر، فوقعتُ عليها بشهوة مستحكمة وعـزيمـة قوية، الليل كلّه إلى الصباح، وانصرفت إلى بيتي فقفلتُ على عجوزي الباب وصرت أغار عليها غيرتي على الكواعب الأتراب.

* * *

وشرب جماعة في مجلس رئيس من الرؤساء بالمغرب، وفي المجلس غلام لربّ المجلس. فلمـا نامـوا دبّ أحـدهـم إلى الغلام. فلما أحسّ به، وهو سكران، قال بأعلى صوته: (سبحان الله)، كالمفكّر. فانتبه صاحب المنزل فقال: (مَنْ هذا يقرأ القرآن؟) فرفع رجل ظريف، كان في القوم، رأسه في الظلام وكـان قد فهم القضيـة فقـال على الفـور: (فلولا أنـه كان من المسبّحين. للبثَ في بطنه إلى يوم يُبعثون)[9].

* * *

(٩) سورة الصافات، الآيتان ١٤٣ ـ ١٤٤.



مُلَح الأشعار في هذا الباب

قال أبو حليمة: أنشد أبو اسحاق الكوفيّ في غلام دبّ إليه فتناوم له حتى قضى غرضه منه، لبعضهم[1]:

ومنتبهٍ بيـن الندامى رايتــهُ ... وقد نام اهل البيت دبّ إلى السّاقي
فلما انتحى[2] فيه تحرّك واتّكا ... واطرقَ، عند الرّهز، ايّة إطراق
ولو لم يكنْ يقظان ما قام ايرهُ ... ولا لَفَّ عند النيكِ ساقاً على ساقِ[3]

* * *

ولـــه:

يا ليلةَ الوصلِ من احبابنا عودي ... إليّ، فقد اذوى الاسى عودي
لم اسنُ ليليَ والواشون قد هجعوا ... وللكرى كلُّ فضلٍ غير مجحودِ
[ ][4] ... كالماء بين لحى الأشجار والعودِ
وللكـرى فتكاتٌ فيـه بالغةٌ ... بيْ منهُ غايـة آمالي ومقصـودي
يا ليلةَ الوصلِ عودي للمتيّم، بلْ ... يا غلطةَ الدهرِ مِنْ احبابنا عودي

* * *

(١) الابيات التالية منسوبة الى ابي نؤاس، وترد هكذا:

ومنتبهٍ بين الندامى رايته ... وقد نام اهل البيت، دبّ الى السّاقي
فاولجَ فيه مثل اسود سالح ... اصمّ، من الحيّاتِ، ليس له راقِ
اشقّ لريح الاست من حدّ شفرةٍ ... وانفذ في الخصيين من راسِ مِزْراقِ
فلمّا انتحى فيه تحرّك وانثنى ... واطرقَ عند النيك احسن إطراقِ
فقلتُ له: لا تلفينّ مقصّراً ... ولا مشفقاً في غيرِ موضع إشفاقِ
اجذ عصرَ خصييه فانّ سكونه ... سكون فتى صبّ، إلى النيك مشتاقِ
ولو لم يكن يقظان ما قام ايرهُ ... ولا ضمّ، عند النيكِ، ساقاً إلى ساقِ

ـ الفكاهة والائتناس ـ طبعة مصر ١٣١٦ هـ ـ

(السالح: حامل السلاح، الراقي: مَن يصنع الرُّقية، المِزْراق: الرمح القصير).

(٢) ب، ج: انتهى.

(٣) ا: ساقي.

(٤) الشطر ممحو في ا، والأبيات الثلاثة الأخيرة ناقصة من ب، ج.

وأنشد جلال الدين مكرم بن أبي الحسن الأنصاري:

وحبيبٍ سألتُه الوصلَ او وغـ ـداً اداوي بـه الفؤادَ العليلا
فابى، فاستعنتُ بالرّاحِ حتـى رضْتُ منـه خُلقاً كريماً جميـلا
ثمّ راودتهُ فاعرضَ وازورَّ وابـ ـدى نكْـراً عريضـاً طويـلا
فتغافلتُ ثم عاطيتُه الرّاحَ فـا غفـى، ونـامَ نومـاً ثقيـلا
فبلغتُ المُرادَ، إذْ نـامَ، منهُ حيـن لا يستطيع قـالاً وقيـلا
ثمّ احسستُ بالنشاط فعاودتُ إليــه، لـمّا وجـدتُ سبيـلا
وتخـوّفـت انْ يكابـرَ يقـ ـظانَ فنبّهتُـه قليـلاً قليـلا
فراى ما جرى واصبحتُ فـي الصـ ـحو غنيّـاً عن انْ اقيمَ دليلا
هكذا يفعل المحبُّ بمن يهـ ـوىَ إذا كـان بالوصـال بخيـلا

* * *

وقال أبـو تمّـام:

ولمّـا تمـلّا مـن سكـرهِ ونـام ونامتْ عيونُ العسَسْ
دنـوتُ إليـهِ على بُعـدهِ دنـوّ رفيقٍ درى مـا التمسْ
أدبُّ إليــه دبيبَ الكـرى واسمو إليـه سموُّ النفـسْ
وبـتُّ بـه ليلتي نـاعمـاً إلى ان تبسّمَ ثغـرُ الغَلَـسْ
أُقبّلُ منــه بياضَ الطـلا وارشف منــه سوادَ اللّعَسْ[٥]

* * *

قال محمد بن الصّولي:

حدّثني علي بن محمد بن بسّام، قال: كنتُ أتعشق خادماً لخالي أحمد بن حمدون فقمتُ إلي لأدبّ عليه فلما قربتُ منه لسعتني عقرب فصرختُ، فقال لي خالي: (ما تصنع ههنا؟) فقلت: (جئت لأبول)، فقال: (تبولُ في استِ غلامي؟) وأنشدتُ:

ولقد سريتُ مع الظلامِ لموعدٍ حصّلتُه مـن غادرٍ كذّاب

---

(٥) اللّعَس: السواد في الشفاه.

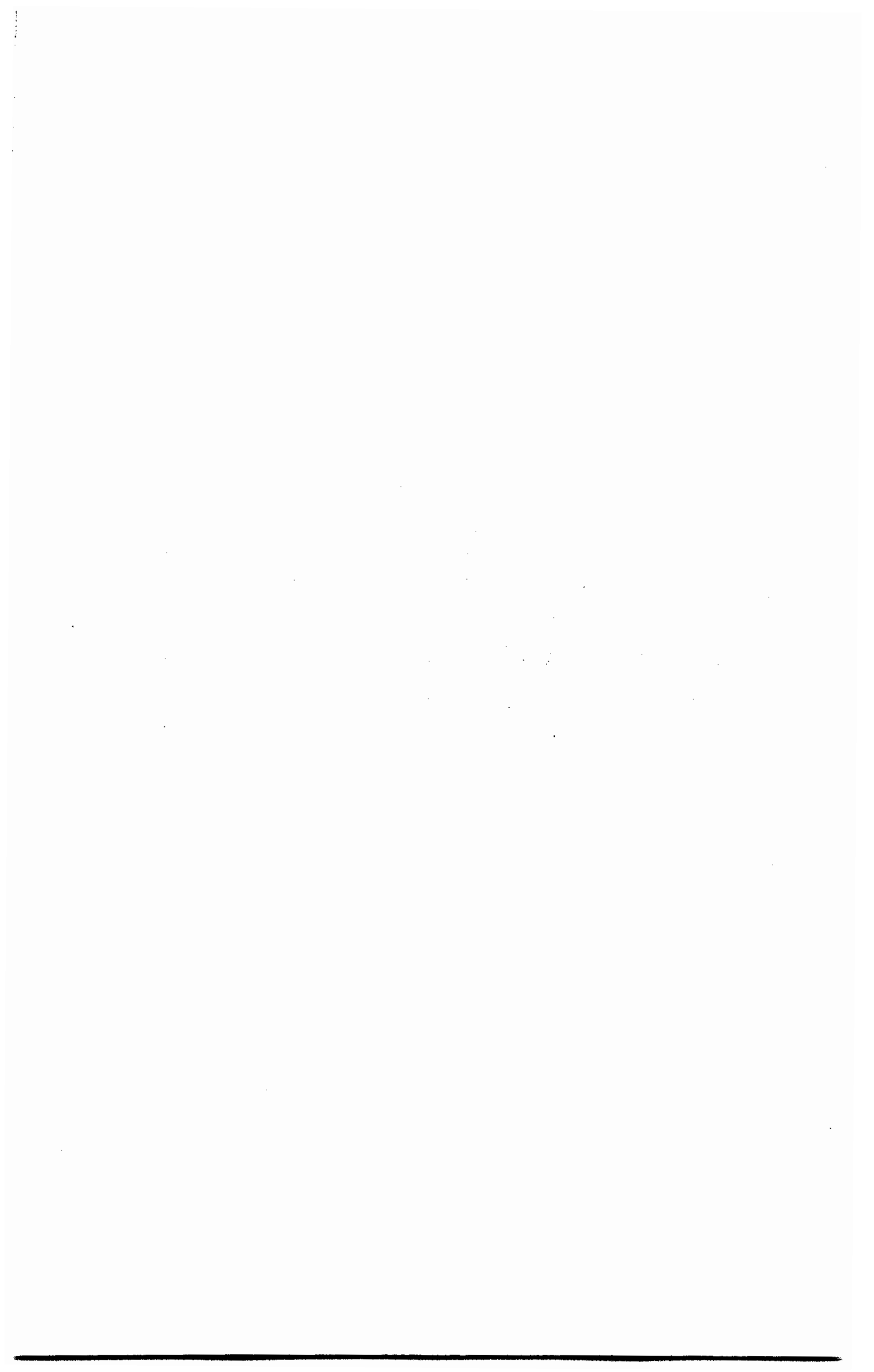
فإذا على ظهر الغلام معدّة سوداء، قد عرفتْ اوانَ ذهابيَ
لا باركَ الرحمن فيها عقرباً دبّابةً دبّت إلى دبّابِ

فقال خالي: (قبّحك الله، فلو تركتَ المجون يوماً لتركتَه في هذه الحالة).

(تمّ الباب التاسع من هذا الكتاب)

الباب العاشر

في إتيان الاناث
كما في الذكور
وما قيل فيه
من نوادر وأخبار
وملح الأشعار



ذكر الأطباء:

إن كثرة غشيان المرأة الحامل في الدُّبر يُوجب خروج الولد بَغي. ورأيتُ كلاماً لبعض الحكماء يعضده، قال: (مَن نكَح امرأة في الدُّبر وهي حامل فأتته بولدٍ بَغي، فلا يلومَنَّ إلاَّ نفسه).

* * *

فأما هذا الفعل فيُسمى المسمّى: المذهب المالكيّ، وتسمى المرأة المساعدة عليه: مالكيّة. وسبب تسميته بهذا الاسم هو ان مالكاً[1]، رحمه الله، روي عنه جواز ذلك، وإن في جملة المسائل التي سأله عنها هارون الرشيد ان قال له: (ما تقول في نكاح المرأة في الدُّبر؟) فقال: (روى محمد بن سحنون وغيره من أصحابه، جواز ذلك).

ويُحكى عنه أنه قيل له في آخر عمره، عندما خالفه كثير من فقهاء الأمصار في ذلك: (هلاّ رجعتَ عنه)، فقال: (كيف وقد سارت به الرُّكبان؟)[2].

* * *

(١) يعني به الامام مالكاً بن انس (٩٣ ـ ١٧٩ هـ)، صاحب «الموطأ» الذي هو أساس المذهب المالكيّ. وللطرافة فانّ لمذهب مالك المكانة الكبرى في المغرب (م).

(٢) ا ـ هامش في ا بخط يبدو انه تعليق لاحد مالكي الكتاب: [ما نسب الى الامام مالك من الكلام فيه (.....) ومين وبهتان صريح. قال ابن.... (الجوزي؟) في مختصره ونصّ ونسب (كليل.!؟)

ولمحمد بن سحنون، عنه، في رسالة استدلّ فيها على جواز ذلك أيضاً وقياساً في حديث فلانة عن عبدالرحمن بن القاسم عن مالك، رحمه الله، عن نافع عن ابن عُمر، رضي الله عنه، قال:

أتى رجل[٣] إلى النبي، صلى الله عليه وسلم، فقال له: (يا رسول الله، إنّي حوّلتُ الرحْلَ)، فقال: (وما ذاك؟) فقال: (نكحتُ امرأتي في دُبرها).

(قال):
فقرأ: (نساؤكم حرَثٌ لكم فأتوا حرثكم أنّى شئتم)[٤].

(قال):
ونافع عند المحدّثين ثقةٌ لا شك فيه. (قال): ولم يردْ حديث يعارض هذا الحديث ولا يدلّ على نقضه. (وقال): وأما القياس فهو بقوله، صلى الله عليه وسلم، في الحائض: (يُشدّ إزارُها وشأنك بأعلاها)، فأُبيح ما دون الفـرْج من جميع الجسد، ومُنعَ الفرْجان[٥] بحكم الحيض. وإذا ارتفع الحيض أستبيح ما حُضرَ بسببه منهما، إذْ لا تخصيص.

* * *

وأخـرج أبـو محمد عبد الحق بن عطيّة في كتابه الملقب بـ (المحرز الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز) أنّ فرقة ممن فسّر قوله تعالى: (فأتوا

= في كتاب «السرّ» وهو مجهول وعن (لد...؟!) وهب سألت مالكاً فقلت: انك (....) نزل، فقال: معاذ الله، وتلا من الآية (نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شئتم) والحرث لا يكون إلاّ في موضع الزرع]، انتهى التعليق واحسبه واضحاً رغم انني لم اثبت بعض الكلمات لانها ممحوّة تماماً (م).

ب ـ هامش آخر فوق وبخطّ مختلف: [ورد في الحديث النبويّ: ملعون مَنْ اتى امراة في دبرها]، وقربه هامش إضافي يكاد ان يكون ممحوّاً تماماً، لم نتبيّنه (م).

(٣) في (اسباب النزول) للسيوطي يذكر، مستنداً إلى ابي داود والترمذي، انّ هذا الرجل هو: عمر بن الخـطاب. راجع (تفسير الجلالين، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٣ ـ ص ٧٥) كذلك راجع تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ص ٢٦١ طبعة دار الدعوة ـ استانبول.

(٤) سورة البقرة، آية ٢٢٣.

(٥) الفرجان: الفرْج والدّبْر.

حرثكم أنّى شئتم) ذهبَ إلى ان الوطء في الدُّبر جائز.

* * *

(قال):

وأما سيبويه فـ (أنّى) عنده تجمع معنى (كيف) و (أين).

(قال):

ورُويت الإباحة فيه عن ابن أبي مليكة ومحمد بن المنكدر، ورواها مالك عن قدّ بن رومان عن سالم عن ابن عُمر، قال: (وروى بعضهم أن رجلاً فعل ذلك في عهد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فتكلّم الناس فيه، فنزلت هذه الآية).

(قال):

وروي عن مالك شيء في نحوه، وبالجملة فهي مسألة خلاف.

* * *

نـوادر هـذا البـاب

رفعتْ امرأةٌ قصّة إلى قاضي القضاة عبدالجبار بأن زوجها يأتيها في دُبـرها، فدعاه القاضي، وكان في حداثته غلاماً له، فعرض عليه القصّة، فقـال: (نعم، أنيكهـا في دُبرها، وذلك مذهبي ومذهب القاضي)، فخجل القاضي من قوله ولم يجبه بشيء.

* * *

ورفع رجلٌ إلى ابن سمحون قصّة، وكان يتولّى النظر في الرعية بنفسه؛ وكان في القصة: إبنتي تحبّ فلاناً التركي، وهو يسومُها في دُبرها.

فدعـاه القـاضي وقـال: (ما هذا؟)، وكان ذلك مملوكاً للقاضي، فقال للقاضي: (تعلمُ اني حملتُ ذلك من الناس، إذْ هم ينيكوني في اسْتي، ثم إلى خرايَ، ثم إلى بطني، ثم حُملتُ إليك فكنتَ تنيكني في إسْتي، فما علمتُ أن هذا لا يفعلونه)، فخجل كل الخجل من قوله وقال للصهر: (قمْ عافاكَ الله يا غافل).

* * *

قال رجل لزوجته: (دعيني أنيكِك في اسْتِك)، قالت: (أنا لا أجعل اسْتي ضرّة لِحِرّي[1]، مع قُرب ما بينهما).

* * *

وسُئل بعض الفقهاء عن إتيان المرأة في دُبرها، فقال: (إن الله تعالى يقول: (نساؤكم حَرَث لكم)[2] والاسْتُ مزرعة الفرْج، فمنْ حلّت له القرية حلّت له المزرعة).

* * *

(١) الحِرّ: الفرج، وهو تخفيف (الحِرْح) لغةً.

(٢) سورة البقرة، آية ٢٢٣.

حدث محمد بن عياض الحمصيّ، قال:

دخلتُ مدينـة السّـلام بتجارة من تجارات الشام، فبعتُ واشتريتُ وافضلتُ[٣]. فبينما أنا مارّ في بعض أزقّة بغداد إذا أنا بعجوز قد أتتني، فقالت: (يا ولدي، ههنا جارية تريد أن تكلّمك بشيءٍ)، فسرتُ معها الى دار، فلما دخلتُ إذا بالجارية كأنها الهلال أو خطّ المنال، وعليها حلل لم أرَ مثلها. فأذهلني حسنها وما رأيتُ من جمالها وكمالها وبقيتُ حائر الطّرف لا أنـطق بشيء غير أن أردّد طرفي في محـاسن وجهها لقوامها وبهجتها وزهرتها. فلما رأتْ ذلك مني قالت: (أتدري لِمَ دعوتك؟)، قلت: (لا والله يا سيدتي)، قالت: (إني رأيتُك قد أرقتَ الماء في الموضع الفلاني فنظرتُ الى رأس ذَكَرك فإذا هو لا يصلح إلاّ أن يكون صمّاماً لعَفْجي[٤]، فهل لكَ في بيعه؟)، فقلت لها: «هذا من بيوع الأعيان، وقد رأيتِ عينَ سلعتي فأريني عينَ سلعتكِ، فإن وافقتني عينها وهبتها لكِ ولم أمتنعْ)، فقالت العجوز: (صدقَ الفتى)، فإذا هي قد استلقتْ ورفعت رجليها وضمّتهما كأشد ما يكون، ثم قالت: (ذرْني ولأيّاه آخذه بيدي فأضعه على الحلقة، فإن كان يصلح لها اشتريته)، فقلت لها: (شأنكِ وهو)، فكشفتْ عن عجيزتها فإذا هي في بياض اللبن الحليب ونظرتُ إلى ما بين ألْيَتها فإذا رائحة المسْك تسطع، وإذا هي قد أخذتْ ذريرة[٥] ممسّكة فأذافتها[٦] بماء ورد ولطّخت به أليتها لطخاً كثيراً إلاّ الحلقة نفسها.

فلمـا رأيتُ ذلك لم أتمـالك ان قبّلتُ أليتهـا، وأصابني من الشّهوة والشّبق ما لم يصبني قطّ مثله. فلمـا رأت ذلك أخذتْ دهناً فدهنت به حلقتها، ثم أخذته بيدها فوضعته على رأس الحَلقة ثم قالت: (يا سيدي اطبقْه)، فأطبقتُه ورَهَزتني بعجيزتها رَهزةً غاب إلى أصله، وأفضيتُ إلى

---

(٣) افضلَ: زاد.

(٤) الصمّام: السداد. والعَفْج: النكاح من الدّبر.

(٥) الذرّيرة: نوع من الطيوب.

(٦) اذافتها: خلطتها.

حرارة شديدة وضيق. ورأيتُ من النخير[٧] والرّهز ما لم أتوهّم انه يكون في امـرأة، فمـا نزلتُ عنها إلاّ عن أربعة. فخرجتُ من عندها وأنا أتلفّتُ، فســألت العجـوز عنها فقالت: (هي جارية قُصْريّة[٨] ليس لها عمل غير هذا)، وإذا هي كثيرة المال. قلت: (أفتتزوج؟) قالت: (نعم)، (قال):

فعدتُ إليها وخطبْتُها لي العجوز، فتزوجتُها وبقيتُ معها في لذّة وطيبة عيش.

وحدث الزياديّ قال:

تعشّقت جارية بطبرستان، فأقمتُ أحاول إليها الوصول دهراً حتى ظفرتُ بها. فكانت لا تبيحني نفسها إلاّ في الأيام مرة، وكانت لي جارة كنتُ ألاطفها وأبرّها لحاجتي إليها، وربما خلوتُ بالجارية في بيتها. فوجّهتْ إليّ تلك الجارة ذات يوم فأخبرتني ان الجارية عندها، فسرتُ إليها ومعي طعام وشراب فأكلنا وشربنا، وكانت ذات ردفٍ لم أر على امرأة مثله، فقامت في غلالة تريد حاجة، فلما رأيتُ ما خلفها هجتُ لذاك وحدّثتُ نفسي بوطئها هنالك ولم أذكر شيئاً، فتحاملتُ عليها بالشّراب حتى نحلتْ ورقدتْ، ثم بطحتُها على وجهها وكشفتُ عن إليتها فلم أتمالك انْ دلكتُ الحَلقةَ بأيري دلكاً جيداً ثم أولجته فكأنما وقع في تنّور مائع الحرارة، فهبّت وصاحتْ ونخـرتْ فانكببتُ عليها حتى هدأتْ، وسددتُ عليها فأحسستُ بقبض حلقها على أيري. فلم أزلْ كذلك حتى سكنتْ. وتابعتُ الرّهز حتى فرغتُ ثمّ قمتُ عنها وقد ندمتُ على فعلي بها، وأنا أتوهّم أنها القطيعة فيما بيني وبينها، ثم افترقنا.

فلمـا كان العشـاء أرسلت جارتهـا تسألني المصير[٩] إليها ففعلتُ، فناولتني ثوباً مُزَوْرَباً[١٠] وجبّة خزٍّ ومنديلاً من دِقّ مصر، وقالت: (إنها تقول

---

(٧) النخير: مدّ الصوت من الخياشيم.

(٨) قُصريّة: خاصّة.

(٩) المصير: الرجوع.

(١٠) مزورب: مذهّب.

لك هذه جائزتك على النّيكِ في الأسْت، فإن أدمتَ لنا ما أذقتنا دامَ لك ما بذلْنا).

(قال):

فوالله ما انتفعتْ بعد ذلك طول ما كان بيننا بدرهم واحد منّي، ولا كانت تقبله بعد ذلك، بل هي تبذل لي ما يكون عندها. وبقيتُ معها بعد ذلك في ألذّ عيش تدرّ هداياها عليّ.

* * *

وحدّثت امرأة لأخرى، قالت لها: (لو ذقتِ النيكَ في الأسْت لردّيتِ بابَ الحرّ).

* * *

وقالت وُهَيْبَة ابنة عُمير التغلبيّة: (النيكُ في الأسْت وتدُ العشقِ).

* * *

قدمت امرأة زوجها إلى القاضي، فقالت: (أعزّك الله، إن زوجي هذا إذا قدّمت له الطعام ليأكله قلبَ المائدة وأكل على ظهرها)، فقال القاضي: (الطعام والمائدة له والبيت بيته، دعيه يفعل ما أراد)، قالت: (ليس هذا عنيتُ وإنما أردتُ انه لا يأخذ في الطريق المستقيم)، قال: (وما عليكِ منه؟ دعيه يمش حسب شأنه، فإن الأرض كلّها لله تعالى)، قالت: (ما هذا أردتُ وإنما هو ينيكني في استي)، فقال: (والله طيّبٌ وأيش بقيَ أحسن من هذا؟) فقامت المرأة وقالت: (قطع الله ظهرك بين القضاة، ماذا أقول لزوجي بعد هذا؟)

* * *

ارتفع إلى أبي ضمْضم رجل وامرأته، وفي وجه المرأة خدش، فذكرت انه ضربها وشجّها. فقال الزوج: (أصلح الله القاضي، هذه امراتي تكذب، إنما ذهبتُ لآخذها في الأسْت على أربعة فوقعتْ على وجهها)، فقال أبو

ضمْضم: (يا هذه، إنما كان مبدأُ السبب من قِبَلكِ، فكوني شدّي ركبتيكِ حتى لا تقعي على وجهكِ، فليس له عندي ذنب).

* * *

مُلَح الأشعار في هذا الباب

هَمّـام:

ومذعورةٍ جاءتْ علـى غير موعدٍ تقنّصتُها والنجم قـد كادَ يطلعُ
فقلتُ لهـا، لَمّا استمرّ حديثُها ونفسي إلـى اشياء منها تطَلّعُ
ابيني لنا هـل تؤمنين بمالكٍ؟ فإنّي بحـبِّ المالكيّة مولـعُ
فقالتْ: نعمْ، إنّي ادين بدينه ومذهبُـه عدْلٌ لديّ ومُقنـعُ
فبتنا إلى الاصباحِ ندعو لمـالكٍ ونؤثرهُ فيمـا احتسبنا ونتبـعُ

* * *

لابن الحجّاج:

حاضتْ وكانتْ لـي ديونٌ مضتْ عنـد اسْتِها مـن مُدّةٍ طائلهْ
فبتُّ فـي الوقتِ على سُرْمِهـا وديّـة النَّيـكِ علـى العاقلـهْ

* * *

وأنشد مكرم بن أبي الحسن الأنصاري:

سالـتُ منكِ مُباحاً عند بعضهمُ ومالـك لو سالنا فيه[1] يفتينـا
فمـا اجبتِ واهلُ البيتِ قاطبةً قـد الحقوه بنا ظَنّـاً وتخمينا[2]
ماذا تقولينَ في تحقيقِ ظنّهمُ؟ مِنَ المروءةِ الّا ياثموا فينا

* * *

ولـه:

توهّمَ فينا الناسُ امراً وصرّحتْ به السنّ واستيقنتهُ قلوبُ
وظنّوا، وبعض الظنّ إثمٌ، وكلّهمْ بحديثـه فينا عليه ذنـوبُ
تعالـي نحقّقْ ظنّهم لنريحَهـمْ مـن الاثـمِ فينا، مرّةً، ونتـوبُ

* * *

---

(١) ا: منه. ب، ج: فيه.
(٢) ا: وتحسينا.

محمود الورّاق[3]

رأتْ زيَّ الغـلامِ اتمّ حُسْنـاً ... وادعـى للفسـوق وللآثـامِ
ترجّـلُ شعرَها وَتطيل صُدْغـاً ... وتلـوي كُمّهـا فعْلَ الغـلامِ
وتغـدو للصوالج[4] كلّ يـومٍ ... وتـرمي بالبنـادق والسهـامِ
فكيف لهـا بحيلَةٍ سدُّ حـرٍّ ... بعيدِ القعرِ ليـس بذي التيامِ ؟

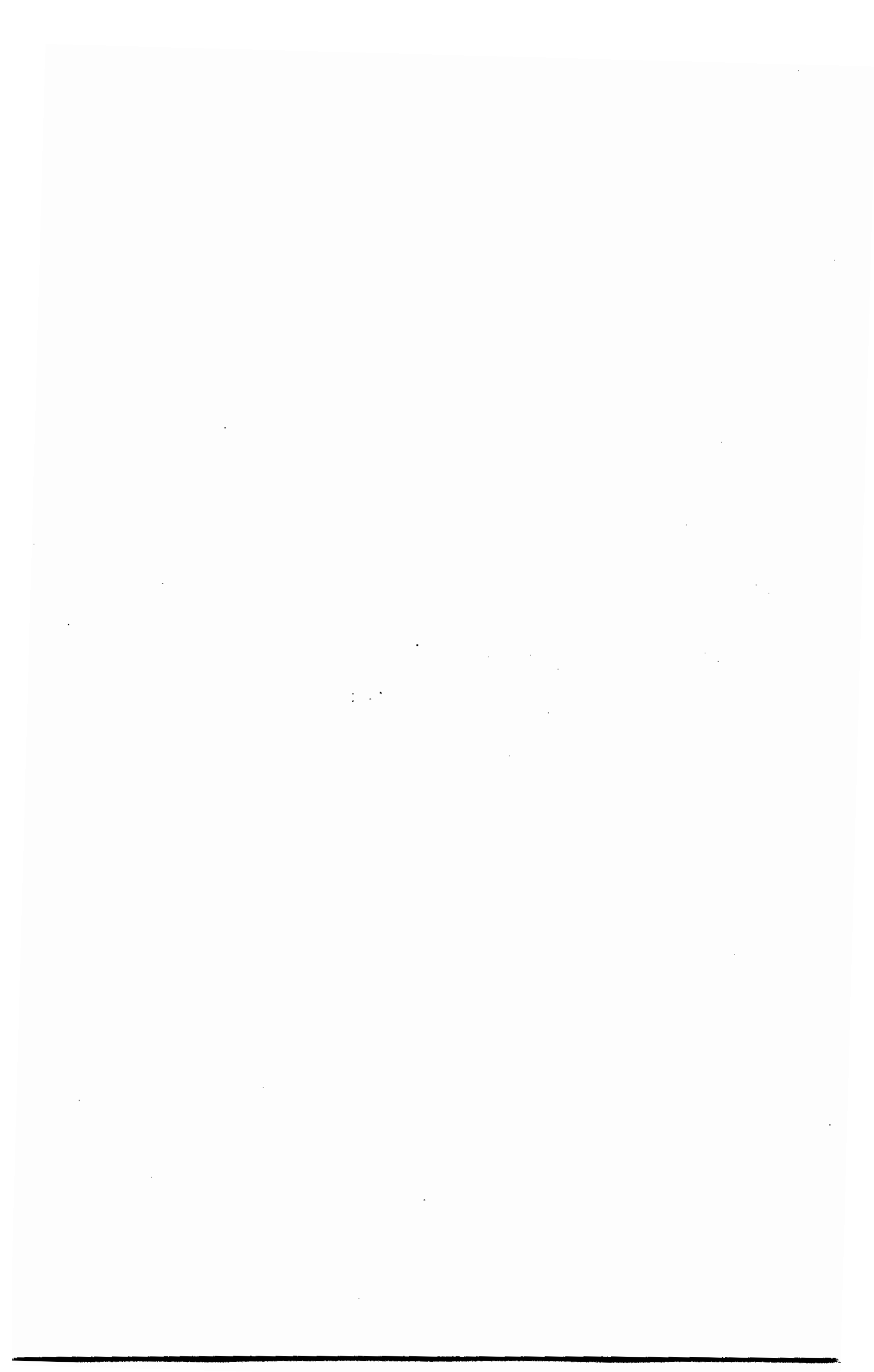
* * *

(٣) هكذا في ا، ب، ج: والشعر ينسب الى أبي نؤاس.

(٤) الصوالج (الصوالجة): جمع صولجان، والمراد اللعب المعروف بالكرة والصولجان.

الباب الحادي عشر

في أدب السّحق
والمساحقات
ونوادر أخبارهن
ومُلَح الأشعار فيهنّ



ذكـر الأطبـاء أن أصل هذا الداء خِلْقة[1] في النساء، ثم اختُلف في السبب في ذلك. فذكر بعضهم أن هيئة الرحم قالب، وذلك إن رَحِم المرأة في الخلقة على هيئة ذَكَر الرجل، لا فرق بينهما في الصورة. إلاّ أن ذكر الرجـل بارز إلى الخارج ضيّقُ المجرى، ورحم المرأة مقلوب إلى داخل، واسـع المجرى. وإن ذَكَر الرجل إذا ولج في رحم المرأة سدّه من جميع جوانبه طولاً وعرضاً. ولذلك تجد المرأة والرجل لذّة ملامسة العضوين عند الجماع.

(قالوا): ثم إن كان ذَكَر الرجل يختلف في الطول والقصر، فكذلك رحم المرأة أيضاً. فإذا اتفق أن مقدار رحم المرأة على مقدار ذَكَر الرجل أحبته، وإن كان مخالفاً لها أبغضته.

مثال ذلك: أن تكون مسافة فرجها قصيرة وذَكَر الرجل طويلاً، فإنها تتأذّى به وتكره الرجال وتحب السّحاق. أو مَن يكون قصير الذَكَر وكانت[2] مسافة رحمها طويلة، فإنها لا تشتفي من الرجال إلاّ بمَنْ يكون طويل الآلة جداً.

ومـا يكـون من السحاق شبيه قصر مسافة الرحم، فكراهة الرجال

(١) الخِلْقة: الفطرة والهيئة.

(٢) ا: كانت.

لصاحبته دائمة، والعلّة لها في ذلك ملازمة.

* * *

وحُكي عن ابن ماسويه أنّه قال:

قرأت في الكتب القديمة أن السحق يتولّد من تغذي المرضعة الكرفس والجَرْجير[٣] والحندقوق، فإنها إذا أكثرت منه وأرضعت صار عاديةُ[٤] ذلك إلى شُفْرَي المولودة. فتتولد هناك الحكّة، وهذا الداء هو بغاء النساء، لأنه حكّة تعرض في شرج الرجل.

وربمـا كان السحـاق عادةً من الولع باستعمال الجواري لذلك، في صغرهنّ، حتى يبلغن عليه، فيبقين يشتهينّه. كما انّ البغاء أيضاً يكون من مثل هذا الحال، كما سنبينه بعد، وما كان من السحاق تولّد فهو سريع الزوال سهل الانتقال، وما كان خِلْقةً فهو عَسِرُ البُرءِ وبعيد القبول للعلاج كما ذكرنا.

* * *

وقال بعض الحكماء:

السّحق شهوة طبيعيّة، تكون بين الشُفْرين منعكسة كالدمل المنلقب، فتتولّد منه بخارات تتكاثف فتتولّد حرارة وحكّة في أصول شَعْر الشُفْرين، فلا ينحلّ ولا يبرد إلّا بالدلك والإنزال عليها من امرأة أخرى. فإذا كان ذلك بردتْ تلك الحكّة وانطفأتْ، لأن ماء المرأة، الذي يكون من السحق، بارد. والذي يخرج من الرجل حارّ، فلهذا لا تنتفع إلّا بماء المرأة الذي لا يخرج إلّا بالسّحق.

* * *

واعلمْ إن هذا الأمر مبنيٌّ عنـد أربـابه على الظرف، وبهذا الاسم يسمّون، يعني أنهن يسمّينّ أنفسهنّ: الظراف. فإذا قلن فلانة «ظريفة»

---

(٣) الجرجير: بقلة من فصيلة الصليبيّات، تُستعمل للسُّلطَة فتعطيها طعماً لذيذاً.

(٤) العادية: الضرر.

عُلمَ بينهنّ أنها «سحّاقة». وهن يتعاشقن كما يتعاشق الرجال، بل أشد. وتنفق إحداهن على الأخرى كما ينفق الرجل على عشيقته، بل أكثر أضعافاً مضاعفة حتى يبلغن فيه، على الانفاق، الألوف والمئين.

ولقد شاهدتُ امرأة منهن بالمغرب، كان لها مال كثير وعقار واسع، فأنفقت على عشيقتها المال الناضر[٥]. فلما فرغ وأكثر الناس عليها من العتب والملامة، سوّغت[٦] لها جميع العقار فحصلت على نحو خمسة آلاف دينار.

* * *

ثم انهن يستعملن كثرة العطر الخارج عن الحدّ، ونظافة الثياب الزائدة على الصفة، ومن الفرش والأطعمة والآلة أحسن وأجمل ما يبلغه الامكان ويحمله الزمان والمكان.

* * *

ومن شرطهن:

أن تكون العاشقة أعلى والمعشوقة أسفل، إلَّا إن كانت العاشقة نحيفة الجسم والمعشوقة بدينة، فإنهن حينئذٍ تُجعل النحيفة سفلى والبدينة عُليا، ليكون ثقل جَنْبها أشفى في الحك وأمكن لذلك.

* * *

وصفة عملهن:

أن تنام السفلى على ظهرها وتمدّ فخذها الواحد وساقها، وتضم الآخر وتفرج عن فرجها مائلة لاحدى شقّها. وتأتي العُلياء فتحتضن الفخذ المشتال وتضع أحد شفريها بين شفري السفلى وتحكّ ذاهبة وجائية في طول البدن، سفلاً وعلواً. ولذلك يشبّهونه بسحق الزعفران، لأن الزعفران كذلك يُسحق على المنال.

(٥) النَضْر: الذهب والفضّة.

(٦) سوّغت لها: اعطتها وتركته خالصاً لها.

وإذا بدأت بوضــع الشفر الأيمن، مثلاً، حكّت به ساعة ثم تحولت فحكّت بالأيسر، ولا تزال كذلك[7] إلى أن تقضي المرأتان[8] نهمتيهما.

فأما إطباق الشّفرين على الشّفرين فإنه لا منفعة فيه عندهن ولا متعة به. وسبب ذلك ان محلّ اللذة يبقى فارغاً من شاغلٍ، وربما استُعين في العمل بقليل دهن بانٍ[9] ممسّك.

ثم ان أوكد شروطهنّ فيه وأكثر أبوابه عندهنّ الذي لا بد منه ولا غنى عنه، إحكام الغنج وجودة النخير والشخير واتقان صنعة الكلام المطرب المهيّج للشهوة في ذلك الوقت. حتى انهن يتطارحن ذلك ويُعلّمنه ويتعلّمنه ويبذلن الرغائب للحكيمات فيه حتى يعلّمنه لَمنْ لا تحسنه.

* * *

حكي عن حُبّى[10] المـدنيـة، وكانت من كبار السحّاقات، انها قالت لابنتها: (عليكِ بصحة الشخير عند الرهز، واعلمي أني نخرتُ بالبادية نخرة أجفلتْ منها جِمال عثمان بن عفّان، رضي الله عنه، فلم تجتمع إلى الآن).

* * *

حدّثني بعض الأدباء بدمشق، قال: أخبرني قاض من قضاة المصريين وأكابر أهلها المتصدّرين، قال:

خرجتُ ذات ليلة إلى القَـرافَـة، وهـذا الموضع هو مقبرة أهل الديار المصريـة وفيـه يجتمعـون مع صديقـاتهم من النسـاء لأنـه موضـع الجبـانـات[11]، تجتمع إليه النساء في كل اسبوع فلا يُحرج عليهن في ملازمته والمبيت فيه، ومبنيّ فيه مساكن يُنفق عليها نفقات صالحة.

---

(٧) ا: الا.
(٨) ا: الزوجتان. والتصحيح المثبت جاء في الهامش.
(٩) البان: شجر معتدل القوام وورقه لين كورق الصفصاف، يؤخذ من حبّه دهنٌ طيّب.
(١٠) ا: حبّة.
(١١) الجبّانة: المقبرة.

(قال): فاتفق أن خرجتُ من منزلي بنيّة المبيت فيه مع أهلي وقدمت الفراش بما احتاج إليه من فرش وطعام وعلف الدابّة وغير ذلك. وغلقت باب داري وتقدّم الغلام بمصباحه وسرتُ وحدي راكباً على بغل وقد ضاق الوقت، فوصلتُ إلى القرافة بعد المغرب عند اختلاط الظلام. فبينما أنا أسير بين الجبانات في موضع منقطع بطرف من أطراف القرافة، حتى سمعتُ في تربة من الترب شخيراً ونخيراً وشهيقاً يسلب العقول ويأخذ بمجامع القلوب، لم أسمعَ قطّ بمثله ولا ظننت أن أحداً يفعله، بحركات موزونة ونغمات مطبوعة وألفاظ مسجوعة يُنسى لها نغمات الأوتار وتستخفى لديها ريّات المزمار.

فسقتُ دابّتي إلى حائط التربة ثم تطاولتُ وأشرفتُ وإذا بامرأتين، السفلى جارية تركيّة تُخجل البدر كمالاً والغصن اعتدالاً، بيضاء، غضّة[١٢]، ناهد. وعليها امرأة نصيفة، بدينة، حسنة، نظيفة الزي، شكلة إلّا انها ليست كالسفلى، وهي تساحقها وتطارحها ذلك الكلام. والسفلى تجيبها جواب مقصّر كأنها متعلمة لها.

فلما رأيتُ ذلك لم أتمالك أن صرختُ عليهما وقلتُ: (قوْما، لعنكما الله)، وسقتُ نحو باب التُربة[١٣] بنيّة أن أقفل عليهما ثم استدعي بعض المارين يؤدبهما، فلما صرتُ على الباب قامت العليا وهمّت السفلى بالقيام فقالت لها: (مكانكِ كما أنتِ)، فبقيتْ مستلقية على ظهرها ثم كشفتْ عن بطنها وسرّتها وصدرها ثوباً أزرق كان عليها، فبان لها صدر كالمرمر ونهدان كالرمانتين وبطن كأنه عَرَمة ثلج[١٤] فيه سرّة كمُدْهُن[١٥] بلّور إلى حرٍ راب، أبيض، مشرب بحمرة لم أشاهد قط عظمه ولا نقاه[١٦]، ثم قالت لي: (ويحكَ

---

(١٢) أ، ب، ج: غضا.

(١٣) التُربة: المقبرة.

(١٤) ب، ج: عرمة ملح. (العرمة: الكدْس).

(١٥) المدهن: قارورة الدهن.

(١٦) النقا: كل عظمْ فيه مخّ.

يا وحش يا ثقيل، رأيتَ قطّ مثل هذا؟)، فقلت لها: (لا والله)، قالت لي: (فدونك غنيمة نادرة هيّأها الله لك، وانصرف بحال سبيلك).

(قال): فلما شاهدتُ ذلك وسمعته سُلب مني العقل والدين ولم أملك نفسي، فقلت لها: (ويحكِ، معي هذا البغل)، قالت: (فأنا أمسكه).

(قال): فنزلتُ، ويشهد الله أني خالفتُ سجيّتي في ذلك، ثم دفعتُ لها عنان البغل والسوط ودخلتُ التربة، فحللتُ عُقَد الرايات وألقيتها على ساقي ثم حللتُ السراويل وألقيتُ طرف الطيلسان من وراء كتفي وأدخلت يدي فشلتُ ذيولي وقربتُ من الجارية فانحنيتُ عليها، فعندما افضيتُ برأس ذَكَري إلى شُفري فرجها ووجدتُ نعومته وحرارته لم أشعر إلاّ بحوافر البغل غادياً والمرأة تصرخ وتقول: (أفلت البغلُ)، فقمتُ وأنا واله العقل وخرجتُ فإذا البغل غادٍ بين الجبانات في اختلاط الظلام، لا أعلم ان غاب عن بصري حيث ذهب، فعدوتُ وراءه وأنا على تلك الحالة، منعظ الذَكَر، محلول السراويل، ملقى الرايات على وجوه أقدامي، مختلّ الطيلسان، أقوم مرة وأقع أخرى.

وبقي البغل غادياً وأنا غادٍ وراءه، وإن الملعونة لما أفلتته ضربته بالسّوط في خاصرته فصار البغل يدنو ويرمح[17] مَن يدنو منه. فلما ذهبتُ خلفه وأنا على حالة لو صوّرتْ في ورقة لكان شكلها يضحك الثكلان ويستوقف العجلان، فكيف وذلك حقيقة.

واتّفق ان كان البغل قد جاوز وقتَ عليقه[18]، وكان أهدى لطريق المدينة من القطاة، فلم يزل يعدو وأنا أعدو وراءه لئلا يفوتني شخصه فيذهب عني في الظلام أو يلقاه أحد فيركبه، فلا أبصر إلاّ الغبار. ولقيتُ الناس فرأوني على تلك الحالة، يخاطبوني فلا أعقل، وأكبر ذلك ما تمّ عليّ من تلاهي[19] المرأة الفاجرة. وكنت عندما عدوت وراء البغل سمعت ضحكهما

---

(١٧) يرمح: يرفس.

(١٨) العَليق: علف الدابّة من شعير ونحوه.

(١٩) التلاهي: التلاعب.

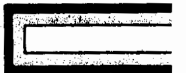
ورائي وهي تصرخ بي وتقول: (ارجع يا قاضي، تعالَ! أين أنت رائح؟)، والأخرى تضحك وأنا ذاهب على وجهي.

فلم يقف البغل حتى وضع رأسه في باب الدار. وقد لقيني خلق كثير على تلك الصورة، منهم مَنْ يعرفني ومنهم مَنْ لا يعرفني.

* * *

قال بعض الرؤساء لبعض المجّان، وقد جرى بينهما ذكر السّحاق: (والله إني لأشتهي أن أعلم كيف تتساحق النساء؟)، قال: (إذا أحببتَ ذلك فادخلْ بيتَك قليلاً قليلاً).

* * *



في مدح السّحق والاحتجاج له

قالوا:

إنما ذهب إليه النساء خوفاً من الحبَل والشّناعة[1].

* * *

وحدّث اسماعيل بن محمد قال: حدّثتني قريش القوّادة، قالت:

قلتُ لجارية مرة: (فلانٌ يحبك)، قالت: (وأنا أحبه)، قلتُ: (فلِمَ لا تزورينه؟)، قالت: (خوفاً من ان نصير ثلاثة).

* * *

وقيل لرجل: (امرأتكَ تساحق)، قال: (إذا أعفتني من الذي يعمل الفِطام في الجوف دعْها تفعل ما أحبّت).

* * *

وقيل لمزيد: (امرأتك تساحق)، قال: (نعم، انا أمرتها بذلك)، فقيل: (ولِمَ؟)، قال: (لأنها أنعم لشفرها[2]، وأنقى لفم فرجها، وأجدر إذا وردَ عليها الأير ان تعرف فضله).

* * *

قالت وردة السحّاقة:

نحن معاشر السحّاقات تُجمع الواحدة منا مع الناعمة البيضاء، الغنجة، الغضّة، البضّة التي كأنها قضيب الخيزران، بثغر كالاقحوان، وذوائب كالأرنبانيّ[3]، وخد كشقائق النعمان وتفاح لبنان، وثدي كالرمان،

---

(١) الشناعة: القبح.

(٢) أ: لشعرها.

(٣) الارنبانيّ: الخزّ الادكن. وفي أ: الارنبان.

وبطن بأربعة أعكان، وكسّ كامن فيه النيران، بشفرين أغلظ من شفتي بقرة بني اسرائيل، وحدبة كأنها سنام ناقة ثمود، ووطأ كأنه ألية كبش اسماعيل، في لون العاج، ولين الديباج، محلوق مخلّق[٤]، مضمّخ بالمسك والزعفران، كأنه كسرى أنو شروان وسط الايوان، بالأصداغ المزَرْفنَة[٥]، والنحور المزينة بالدرّ والياقوت والغلائل اليمنيّة والمعاجر[٦] المصرية. فنخلوا بهنّ بمعاتبات شَجية، ونغمة عدنيّة[٧]، وجفون ساحرة، سالبة لتامور[٨] القلب، ثم إذا تطابقنا بالصدور على الصدور، وانضمّت النحور على النحور، وتراكبت الشفران على الشفرين، واختلج كلّ منهما على الآخر، حتى إذا تعالت الأنفاس، وتشاغلت الحواس، وارتفعت الحرارة عن الرأس، وبطل عند ذلك كل قياس، نظرتَ إلى الحركات الحسيّة، والضمائر الوهميّة، والصنائع الغريزية، والأخلاق العشقية، بين مصّ وقرص، ورهز ونهز، وشهيق وخفيق، وشخير وخرير، ونخير لو سمعه أهل ملطية لصاحوا: النفير! مع رفع ووضْع، وغمز ولمز، وضمّ وشمّ والتزام، وقُبَل وطيْب عمل، وانقلاب حرْف[٩] من غير قلق.

كل ذلك بأدب ملوكيّ، وأنين زاكي[١٠]، حتى إذا حان الفراغ، وخفّ المصاغ، شممتَ كنسيم الأنوار[١١] في آذار، وروائح الراح في حانوت خمّار، ونظرتَ إلى اهتزاز غصن البان من الأمطار. فلو نظرت الفلاسفة إلى ما نحن فيه لحاروا، وأرباب اللهو والطرب لطاروا.

* * *

---

(٤) مخلّق: متطيّب بالخَلوق، وهو ضربٌ من الطيْب اعظم اجزائه الزعفران.

(٥) زَرْفَنَ: جعل شعره كالزرافين، وهي الحَلَق الصغيرة.

(٦) المِعْجَر: ثوب تشدّه المرأة على رأسها.

(٧) العدنيّ: الكريم الأخلاق، وربّما هي نسبة الى عدن.

(٨) التامور: حبّة القلب وهي سويداؤه.. وربما كانت ؟ الناموس أي الدم.

(٩) الحرف: هو طرف كل شيء وشفيره وحدّه وجانبه.

(١٠) ج: بأدب سلوكي وانين ملوكي.

(١١) الأنوار: جمع نَوْر، وهو الزهر الأبيض منه.

النظم في ذلك

قال بعضهم[١٢]:

مِنْ اعجب الأشياء في دهرها   واللّه لا ناسٍ ولا ناكثُ
إثنان باتَا في فراشٍ مَعاً   فاصبحا بينهما ثالثُ

* * *

غيره:

شربتُ النبيذَ لحبِّ الغَزَلْ   وملتُ إلى السّحق خوفَ الحبَلْ
فضاجعتُ في خلوةٍ حِبّتي[١٣]   وفقتُ الرجالَ بَطيْبِ العملْ
إذا كان سحْقي[١٤] مُقنعاً   غنيتُ بِهِ ورفضتُ الرجلْ

غيره:

وكمْ قد سحقنا، اختُ[١٥]، تسعينَ حجّةً   اسرّ واخفى من دخول الفياشل[١٦]
ومن حبَل يُرضي العدوَّ ظهورُهُ   واعظمُ مِنْ هذا ملامُ العواذلِ
وليس علينا الحدُّ في السّحقِ كالزّنا   وإنْ كان اشهى منه عند القوابلِ

* * *

غيره:

قنعتُ بحبّتي ورفضتُ ايراً   عواقبه بذات القذْر تزري
إذا ما قيلَ قد حبلتْ فسُحقاً   لأولاد الزناء يضيقَ صدري
فما عذري إلى الأبوين فيه؟   فقد قطعَ الزناءُ حبالَ ظهري

* * *

---

(١٢) البيتان التاليان من لزوميات المعرّي، وقد وردا هكذا:

من اعجب الأشياء في دهرنا   واللّهُ لا ناسٍ ولا والثُ
إثنان باتا في فراشٍ معاً   فاصبح بينهما ثالثُ

(الوالث: من ولث: العهد الضعيف غير الأكيد).

راجع اللزوميات ـ الجزء الأول ـ طبعة دار الكتب العلمية ١٩٨٣.

(١٣) الحِبّ: المحبوب.

(١٤) ج: لها.

(١٥) ا، ب، ج: يا اخت. وقد حذفناها لتقويم الوزن (م).

(١٦) الفَيْشلة: الحشفة، طرف الذَّكَر.

في ذمّ السّحق

حكت هشيمة، قالت:

كتبتْ واحدة إلى حِبّة لها، وقد تزوجت وقطعتها: (يا أختي، لو كان كل من رأى عصاً توكّأ عليها، لما فيه من الضعف، واستحسنها لكنتُ قد عذرتكِ في ضعفكِ عن المشي إلّا بعصا. فلا يحملكِ الاعجاب بذلك على ترك ما ليس عليه طبعك من المشي في الظّلم فإنه أحوج لبدنك). فكتبتْ إليها الجواب: (يا أختي، كنتُ أستلذّ وقع الدفوف قبل أن أتلذذ بصوت النايات. فلما سمعتُها عقدت في قلبي شيئاً لا يحلّه غير الموت. فهوّني عليكِ ترك مصيري إليكِ، فقد هان عليَّ لما في يدي من الفضل).

* * *

وكتبتْ أخرى إلى حِبّة لها قد ذاقت رجلاً ولزمته: (لو كان المؤذن لا ينزل عن المنارة ما صلّى أحد بإقامة، فما هذا الاعجاب بدلو قد دُلّي في ألف بئر ثم صار إليك وقد تخرّق عذَبه[1] ورثّ رِشَاؤه[2]؟ ولو رجعتِ إلى الحق لوجدتِ المشي في الرياض أهون منه في العِقاب[3]). فكتبت الجواب: (يا أختي، كنتُ آكل البصليّة وأنا لا أعرف طعمَ الجوريّة والفجْليّة، فلما أكلتها حلفتُ لا آكل شيئاً غيرها. لا وحياتك، لا جئتِ في بيتي أبداً، فاخرجي حُبّي من قلبكِ فقد وضعتُ مكان حبّك شيئاً لا يخرج إلّا مع النفس).

* * *

وقيل لسحّاقة، وقد تزوجت: (كيف كانت ليلتكِ البارحة؟)، قالت: (كنتُ

---

(١) عذَبه: طرفه.

(٢) الرِشاء: حبل الدلو.

(٣) العِقاب: جمع عَقَبة، وهي المرقى الصعب من الجبال.

أشتهي اللحم منذ عشرين سنة فما شبعتُ منه إلاَّ البارحة).

* * *

ونـظرتْ سحّاقة إلى رجل كبير الأير، فقالت: (مثل هذه المِدَقّة)[4] في الدنيا وأنا أدقّ ثيابي بيدي؟ لا كان هذا أبداً)، فتزوجت.

* * *

النظم في ذلك

بعضهم:

لعنَ الإلهُ سواحقَ الوَرْسِ[5]   فلقد فضحنَ حرائر الأُنسِ
هيّجنَ حرباً لا طعانَ بها   إلاَّ قراع الترسِ بالتُّرْسِ

* * *

لغـيـره:

امـا واللّه لو يلقاكِ أيري   غداةَ الدُّجْنِ[6] في وقت السّحورِ
علمتِ بان كل السّحق زور   وان الحقَّ في طرَفِ الأيورَ

* * *

آخر[7]:

ويلك يا قحبةُ يا خيّانة[8]   كـمْ تدلكينَ عانةً بعانـةْ
وكلَّ بيتٍ حـواهُ سقفُ   لا بـدّ في وسَطِهِ اسطوانـةْ

* * *

غيـره:

الا يا ذوات السّحقِ في الغرب والشرقِ   افقنَ فإن النيكَ احلى من السّحْقِ

---

(٤) المِدقّة: ما يُدقّ به.
(٥) الورْس: نبات كالسمسم اصفر يُصبغ به وتُتّخذ منه الغمرة، اي الزعفران.
(٦) الدجن: الظلمة.
(٧) آخر: ناقصة من أ.
(٨) يا: ناقصة من أ وهي في ب، ج.

افقن فإن الأدْمَ بالخبزِ يُشتهى | وليس يسوغ الخبزُ بالخبزِ في الحلْقِ
إذا كنّ يرقعنَ الخروقَ بمثلها | فأيّ لبيبٍ يرقعُ الخرقَ بالخرْقِ؟
وهل يصلحُ القَدّوم[9] إلّا بعُودهِ؟ | إذا احتيجَ فيه ذات يومٍ إلى الدَقِّ

* * *

غيـره:

دعي السّحقَ الذي عنّاكِ زوراً | فلم تستشفِ ساحقةٌ بسحْقِ
ودونكِ فَيْشةٌ غلظتْ وطالتْ | بها ما شئتِ من حرَقٍ ورقِّ
متى ابصرتِ ويحكِ قطّ خرْقاً | يُحاول سدّه ابداً بخرْقِ؟

* * *

آخـر[10]

قولوا لمـنْ تهوى السحاقَ الذي | حرّمـه الـلّهُ فما فيه خيـرْ
اخطاتِ يا كاملـةَ الحسْنِ إذ | أقمـتِ اسحاقَ مقـامَ الزبيـرْ

* * *

---

(٩) القدّوم: آلة للنحت والنجْر.

(١٠) البيتان التاليان ناقصان في أ، وهما في ب، ج.

الباب الثاني عشر

في الخناث والمخنّثين وما جاء فيهم من نوادر وأخبار ومُلَح وأشعار



يشتمل هذا الباب[1] على ثمانية أنواع

النوع الأول: في معنى الخناث وسببه، على رأي الفلاسفة.

النوع الثاني: في أسماء المخنّثين من كفّار قريش ومَنْ ضُرب به المثل.

النوع الثالث: في أخبار مُجّان المخانثة المتهتّكين في الدولتين الأموية والعباسية[2].

النوع الرابع: في طُرَف أخبار المخنّثين العصريّة.

النوع الخامس: في مسائل سألتُ[3] عنها في هذا الباب فأُجبتُ عنها.

النوع السادس: في نوادر المخنّثين ومُلَحهم.

النوع السابع: في مُلَح ما جاء من الأشعار[4] في المخنّثين والاحتجاج بها لهم وعليهم.

النوع الثامن: في سبب الخناث وعلاجه، على رأي محمد بن زكريا الرازي.

---

(١) [هذا الباب]: إضافة من عندنا. (المؤلف).

(٢) أ، ب، ج: العباسية والأموية.

(٣) أ، ب، ج: سئلت.

(٤) في الأشعار من.

النوع الأول
في معنى الخناث وسببه، على رأي الفلاسفة

قال بعض الفلاسفة:

إذا مال مزاج الأنثيين الطبيعي في سن الطفولة إلى البرودة والرطوبة حتى تضعف عن مشاركة أحد الأعضاء الرئيسية الثلاثة التي هي الدماغ والكبد والقلب، أو اثنين منها أو ثلاثتها، عرضت من ذلك آفات كثيرة في الصورة التي هي الذكر أو الأنثى، وفي اختلاف النفسين الناطقة والحيوانيّة، وفي فعل التناسل وفيما[٥] جاء في واحد من هذه الأحوال الثلاثة أو اثنين منها أو جميعها.

فمن ذلك انه متى غلب البرد والرطوبة على مزاج الانثيين من طفل، واضرّ ذلك بالقوة المتصلة منهما ما ليس للطبيعة، لحق بمزاج الخصيّ وصورته، وكانت الاصلاب الباقيات على حكمها في الفحولة لم يمسسها سوء واعتاضت الخلقة عن استثناء الصورة. ومعلوم ان الذَكَر من الناس إذا نقص عن صورة الرجل لحق بصورة الخصيّ دون صورة الأنثى لأن التأنيث صورة تنبعث عن أعضاء التأنيث، والخصيّ ليس له صورة تخصّه غير عدم الفحولة لا غير. وإذا كان الأمر كذلك فمَن كانت هذه حاله كان أيضاً لا لحية له.

وإذا كانت هذه الآفة قد لحقته في مشاركتها النفس الحيوانية فقط، كان مخنّثاً، ليّناً، مؤنّثاً، يؤثر ما تؤثره النساء، وكانت صورته صورة الرجال وعقله وتدبيره سالم. وإن كانت الآفة من الأنثيين قد لحقت في مشاركتها النفس الناطقة فقط، كان أغنّ، مفكّكاً، رخيم الدلّ، قليل التصوّن، مؤثراً في افعاله طلب القبيح، سمحاً بمروءته، هيّنة عليه نفسه، غير مكرم لها، يلتمس معاشه في نفسه وعَرْضه وبدنه ومونته.

فإن كانت هذه الآفة لاحقة بأكثر من أصيل واحد وجَد الأمر بحسب

---

(٥) ا، ب، ج: وسيما.

ذلك. وإن كانت لاحقـة بالأصول الثلاثة كان الأمر أيضاً بحسب ذلك المزاج. فمزاج المخنّث بالجملة خارج عن مزاج الرجال في معناهم، داخل في مزاج النساء. إلَّا ان ذلك يختلف في القوّة والضعف بحسب ما بيّناه.

النوع الثاني
في أسماء المخنّثين
من كفّار قريش والمغنّين بالحجاز
ومَن ضُربَ به المَثل

منهم:

الحَكَم بن أبي العاص.

ومسافع بن شيبة، من بني عبد الدار بن قصي.

وأبو جهل بن هشام.

وهبّار بن الأسود.

وهشام بن الوليد بن المغيرة.

وجعفر بن رباعة العائذي، من بني مخزوم.

والغريض بن وائل السهمي.

وخالد بن أُسَيد بن العيص.

والنضر بن حارث بن كلدة، من بني عبدالدار، وكان النضر هذا يضرب بالعود.

ذكر مَن ضُربَ بهِ المثل منهم

قالوا: (اخـنثُ من هيت) و (اخنثُ من طُوَيس) و (اخنثُ من دلال) و (اخنثُ من مصفّر استه).

فامـا هيت: فإنه على عهد النبيّ، صلّى الله عليه وسلّم، وكان مولى عبـدالله بن أبي أميّة المخزومي. وهذا عبدالله هو أخو أم سلمة زوج النبي، صلّى الله عليه وسلّم، وكان رسول الله يضحك من كلامه، وكان المخنّثون يدخلون على أزواجه فلا يُحجبون.

فدخل هيتُ يوماً دار أم سلمة والنبي، صلّى الله عليه وسلّم، عندها فقال لعبدالله، أخي أم سلمة: (يا سيدي، إن فتحَ الله عليك الطائفَ فسلْ أن تنفّل[٦] بادية بنت غيلان بن سلمة الثقفي، فإنها هيفاء، شموع، نجلاء، إن تكلّمت تغنّت، وإن قامت فتنت، وإن جلست تبنّت[٧]، تقبل بأربع وتدبر بثمان، مع ثغر كالاقحوان، وبين رجليها كالقَعْب[٨] المكفأ).

فقال له النبي، صلى الله عليه وسلم: (لقد علقتَ النظر يا عدوّ الله)، وكان يظنّ نقصاً في عقله. ثم أمر أن لا يدخل على نسائه وأجلاه إلى الحِمى[٩]، فلم يزل بها إلى خلافة عثمان بن عفان.

وقيل انه قال: (ما كنتُ أحسبكَ إلاّ من غير أولي الأَرَبة من الرجال، فلذا كنتُ لا أحجبكَ عن نسائي).

قال سعيد بن جبير: (غير أولي الأربة: المعتنّ).

وقال مجاهد: (هو الذي لا أرب له في النساء).

وقول سعيد أحسن، وعليه يخرّج الحديث، فإنه قد يكون لا أرب له فيهنّ وهو يعرف محاسنهن ومساوئهن. والنبي، صلى الله عليه وسلم، لما رآه عَقَلَ ذلك أخرجه ولم يعتبر فيه وجود الأرْب من عدمه.

تفسير ما مرّ في هذا الحديث من اللغة

الهيفاء: الضامرة البطن.

والشّموع: اللعوب، الضحوك.

والنجلاء: الواسعة العينين.

وتبنّت: أي كأن معها إبناً، يريد كبر عجيزتها.

---

(٦) نفّل: طلبَ.

(٧) تبنّت: أي صارت كالبيت المبنيّ في تمكنها في جلستها، وهذا وجه في المعنى والوجه الآخر سيوضحه التيفاشي فيما بعد.

(٨) القَعْب: القدح الضخم.

(٩) الحمى: الموضع فيه كلأ يحمى من الناس أنْ يرعى، خارج المدينة.

وقوله (تقبل بأربع وتدبر بثمان): يريد أنّك إذا استقبلتها نظرتَ إلى أربع عُكَن[10] في بطنها، فإذا تولّت فالأربع تصير ثمان، لأنها من الجانبين. والمكفأ: المكبوب.

* * *

وأما طُوَيس[11]: فإنه يضربون به المثل في الشؤم. وذلك أنه ولد في الليلة التي مات فيها رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وفُطم في اليوم الذي مات فيه أبو بكر الصديق، رضي الله عنه، وخُتنَ في اليوم الذي قُتل فيه عثمان، رضي الله عنه، وولد له يوم قُتل علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، وهو أول من غنّى بالعربي بالمدينة وأول من ألقى الخنثَ بها.

* * *

وقيل إنه كان بالمدينة مخنّث، يقال له: النقاشي، فقيل لمروان بن الحكم، وهو والٍ عليها: (إنه لا يقرأ من القرآن شيئاً)، فأمر باحضاره وقال له: (إقرأ أُمّ القرآن[12])، فقال: (والله ما معي بناتها، فأنا لا أقرأ البنات فكيف أقرأ امّهاتهنّ؟)، فأمر به فقُتل، وقال: (مَنْ جاءني بمخنّث فله عشرة دنانير)، فبلغ ذلك طويس فقال: (أمّا فضّلني الأمير عليهم بفضل)، ثم خرج حتى نزل المربد على ليلتين بالمدينة حتى مات في ولاية الوليد بن عبد الملك بن مروان.

* * *

وأما الدلّال: فهو مدنيّ، والدلال لقبٌ له، واسمه: ماجد، ولم يكن في المخنّثين أحسن وجهاً ولا أنظف ثوباً ولا أظرف منه، ولذلك لُقّب بالدلّال.

---

(١٠) العكن: جمع عُكْنة، ما انطوى وتثنّى من لحم البطن.

(١١) يقال إنّ اسمه كان (طاوُساً) فلما تخنّث تسمّى بـ (طويس) ويكنى بأبي عبد النعيم، وهو أوّل من غنّى في الاسلام. وقيل إنّ اول ما غنّى به طويس قول الشاعر:

وإخوانٍ على شربٍ جميعاً ... دلفتُ لهم بباطيةٍ هذورِ
فلا تشربْ بلا طربٍ فانّي ... رايتُ الخيلَ تشربُ بالصفيرِ

راجع (محيط المحيط للبستاني ـ مادة: طاس).

(١٢) امّ القرآن (ام الكتاب): يعني بها سورة الفاتحة، لانه يُبتدا بها في كلّ صلاة.

وهو أحد مَنْ خُصي من المخنَّثين بالمدينة. ولما فُعلَ به ذلك قال: (الآن تمّ الخنثُ)، وسبب خصائه مذكور في كتب التأريخ، تركناه إذ من شرطنا في هذا الكتاب إيراد غرائب النوادر العزيزة الوجود في كتب المصنِّفين[١٣].

* * *

وروي أن الدلّال أُخذَ مع غلام فأُتي بهما أمير المؤمنين فقال له: (يا فاسق)، فقال: (من فمكَ إلى أبواب السماء)، فقال: (يا عدوّ الله، ما وسعكَ بيتكَ حتى خرجتَ بهذا الغلام إلى الصحراء تفسق به؟)، قال: (لو علمتُ ان الأمير يغار علينا ويشتهي أن يَفسَق به ما خرجتُ من بيتي)، قال: (جرّدوه واضربوه الحدّ)، قال: (وأيش حدّك وأنا أُضرب كل يوم حدوداً؟)، قال: (ومَنْ يضربك؟) قال: (أيور المسلمين)، فقال: (ابطحوه واجلسوا على ظهـره)، قال: (أحسب ان الأمـير يشتهي أن يرى كيف أُنـاك)، قال: (أقيموه، لعنه الله، واشهروه بالمدينة مع الغلام)، فأُخرجا فدار بهما، فقال له قائل: (ما هذا يا دلّال؟) فقال: (اشتهى الأمير ان يجمع بين الرأسين فجمـع بيني وبين هذا الغلام ونادى علينا، وإن قيل له الآن إنه قوّادٌ غضبْ)، فبلغ قوله الوالي فقال: (خلّوا سبيلهما، لعنهما الله).

* * *

وامـا مصفّـر استــه: فهـو أبو جهل. يقال إنه كان يردع[١٤] استه بالزعفران تطيّباً لنائكه، والمهاجرون ينكرون ذلك ويقولون: (إن مصفّر

(١٣) يقول صاحب «تحفة العروس ونزهة النفوس» فيما يذكره من روايات اخصاء المخنثين بالمدينة: [إنّ سليمان بن عبدالملك كتب الى عامله بالمدينة ان يُحصي المخنّثين بالمدينة ـ بالحاء المهملة ـ فوقعت من الكاتب نقطة على الحاء فصيرتها خاءً معجمة فلما وصل الكتاب الى عامله اخصاهم جميعاً]، وهذه رواية مدرسيّة لا نعتقد بصحتها، والأرجح انّه اخصاهم جميعاً بشكل متعمّد. (المؤلف).

وقيل إنّه لما خصي طويس قال:

ـ الآن اعيد علينا الختان الأكبر الذي لا بدّ منه، فليت هذا من اول كان.

فقال الدلال:

ـ بل هو الختان الأكبر الذي لا بدّ منه لكلّ مخنّثٍ ابتر.

(١٤) هامش للناسخ في نسخة أ: [أي يلطخها].

اسْته كلمة تقولها العرب لذي النعمة والرفاهية). ويقولون: إن أبا جهل كان إذا هاج به داؤه ركب بعيراً، عُرياناً، وعدا به ليحكَّ اسْته بسنامه. وكان يأخذ حجارة الرمضاء فيحكّ بها اسْته حامية ويقول: (اقنعي بهذه، فواللّات لا علاك رجلٌ أبداً).

* * *

خبرُ مخنّث مع عمر بن عبد العزيز

رُوي أنه كان بالمدينة مخنث قد أفسد أهلها فقيل لعمر في ذلك، فأرسل لعامله بالمدينة أن احملْه إليَّ، ففعل. فلما دخل عليه ونظره فإذا هو شيخٌ خضيب اللحيـة والأطراف. فلمـا وقف بين يديـه صعّد عُمَر بصره فيه وصوّبه وقال: (سوءةً لهذه الشّيبة. أتحفظ القرآن؟) قال: (لا يابأبَا[١٥])، قال: (قبّح الله ابيك وقبّحك)، ثم قال له: (اتقرأ من المفصّل[١٦] شيئاً؟) قال: (ومـا المفصّـل؟) قال: (سـور القـرآن القصار)، قال: (نعم، أقرأ «الحمـد»[١٧] وأخـطىء فيهـا في موضعين، وأقرأ «أعوذ بربّ الفلق»[١٨] واخـطىء فيهـا في ثلاثة مواضـع، واقرأ «قل هو الله أحد»[١٩] مثل الماء الجـاري)، فقال: (ضعوه في السجن ووكّلوا به معلماً يعلمه القرآن وما تحتاج إليه الطهارةُ والصلاةُ، واجروا عليه في كل يوم ثلاثة دراهم وعلى معلّمه مثلها، ولا يخرج حتى يحفظ القرآن).

فكان كلما عُلّم سورة نسي التي قبلها، فلما طال ذلك على المخنّث بعث رسـولاً إلى عُمر يقول له: (يا أمير المؤمنين، وجّه إليَّ منْ يحمل اليكَ ما أتعلّمه أولاً فأولاً، فإني لا أقدر على حمله جُملة واحدة)، فيئس عُمَر من

---

(١٥) يا بابا: (يا) بابي انت.

(١٦) المفصّل (من القرآن): من سورة «الحجرات» إلى آخره، وسمّي بذلك لكثرة الفصول في سُوَرِه أو لقلّة المنسوخ فيه. والبعض يقول إنّه من «الضحى» إلى آخره، وقد اختلف في ذلك.

(١٧) يعني سورة «الفاتحة».

(١٨) يعني سورة «الفلق».

(١٩) يعني سورة «الإخلاص».

فلاحه ثم قال: (ما أرى هذه الدراهم إلاَّ ضائعة، ولو أطعمنا بها جائعاً أو كسونا بها عرياناً، أو أعطيناها محتاجاً لكان أصلح)، ثم دعا به وقال له: (إقرأْ: قلْ يا أيها الكافرون)، فقال: (أسأل الله العافية، ادخلتَ يدكَ في الجراب فأخرجتَ أشدّ ما فيه وأصعبه)، فأمر به فصُفعت عنقه وقفاه وأمر بردّه إلى الحبس.

فلما توجّهوا به إلى الحبس اندفع يغني:

عوجي عليّ فسلّمي خبرا

وهو صوت مذكور في (الأغاني)، فلما سمعَ المتوكلون به حُسْنَ ترنّمه بهذا الصوت خلّوه.

وقالوا: (إذهبْ حيث شئتَ مُصاحباً[٢٠]).

* * *

النوع الثالث
في أخبار
مُجّان المخانثة المتهتّكين وخلفائهم
في الدولتين الأموية والعباسية

قال سهيل بن مهيندار الكردي، وكان طبيباً ببغداد:

جاءني رجل من المؤنّثين يُعرف بحدسه، من رؤساء المخنّثين ببغداد، فقال لي: (يا سيدي، وُصفتْ لي معرفتك وما خصصتَ به من العلم والنظر فقصدتُك لتداويني بصفة تصفها لي من دواء يشدّني ويضبطني، فإني لم أتناه في كبر السن الى مقدار أصير فيه الى هذا الاسترخاء في الشّرج الذي صار لا ينضبط اتساعاً، ولا ينسدّ انفتاحاً. واظن أن ذلك عن عارض عرض لي، لا عدمتُه مِنْ عارضٍ)، قلتُ له: (متى أنكرتَ ذلك من نفسك؟ وما الذي كان العارض؟) فقال: (منذ ثلاثة شهور، وكان السبب في هذا أن البساتين، ذي قوام كامل ووجه فاتن، فخلوتُ به وسألته أن ينيكني في ذلك

(٢٠) مُصاحباً: مسلّماً معافىً.

المكان وأبذلتُ له ما كان حاضراً معي من ذلك الوقت من الورق، فأجاب عن ذلك. فكشف عن أير كأنه ذراع بَكْر[٢١] براس كأنّه راس جرو كلب فدفعه فيَّ دفعاً لم أشكّ عند حصوله فيَّ وتركه إيّاه في جوفي، كأنه فخذ صبيّ أو ساق ثور.

ولم يزل يوالي رهزه ودفعه في الواحد الذي عمله مقدار ثلاث ساعات وما زاد، وأنا قد غشي عليَّ وذهب عقلي من طيْب نيكه وكثرة بقائه فيَّ وتحرّده[٢٢] في بطني وطغيانه في جوفي، ثم صبّه صبّاً وافراً غزيراً أحسستُ بفؤادي وقد شربه وأعضائي وقد قبلته، ثم انتزعه مني وقد خرّاني ولم أعلم، وأدماني ولم أفطن. ولفرط شهوته واحتراق القلب بلذّته لم أتأذّ به ذلك اليوم. فلما هدأتْ غُلمتي وفترتْ شهوتي آلمني وأنا في استرخاءٍ لا ينضبط وانفتاح لا يُسدّ ودم يسيل ولا يرقأ). فوصفتُ له ما تستعمله النساء، عند افتراعهنّ[٢٣]، من التغسّل بالخمر والآس وما شابههما من المقبضات. وأعجبني وصفه لمعاني دائه فأردتُ مطاولته فقلتُ له: (وآمرك أنْ لا تعاود ذلك مرة أخرى)، فقال لي: (إني على ما تراني من التألّم بما شكوته، لحريص على معاودته لو رأيته. وكيف لي عنه صبر وفي نفسي من ذلك الأمر الجليل النبيل عند لحي له وقد أخرجه مني؟ شيء لا أنساه إلى الممات، من الطول الراجح على كل طول، والامتلاء والعرض الزائد على كل إمتلاء وعرض[٢٤]. قد امتلأ رأسه، وزاد انتفاخه، وعرض وجهه، وانقلبت حروفه، وأبرزت أطواقه، وربا خرطومه، وكثر بريقه، وانفتح فمه، وخفا[٢٥] قذاله، وكملتْ أوداجه، وظهرت أعكانه، وتعقّدت عروقه، وورمتْ أحشاؤه، وغيّبت حواصله وغلاصمه، ولم ينعسْه الفعلُ ولا كسّله الصبُّ ولا أذبله الفراغ بل أشدّه وصوّاه[٢٦] وأهاجه وقوّاه. ولئن كان الألم، يا سيدي، قد

---

(٢١) البكْر: الفتيّ من الإبل.
(٢٢) تحرّد: التوى.
(٢٣) الافتراع: فضّ البكارة.
(٢٤) هكذا في ج، وفي ا: (على كل طول وعرض).
(٢٥) خفا: ظهر. وفي ب، ج: خفى.
(٢٦) صوّاه: انشطهُ، قوّاه.

اضعفني ومـا شكوته إليك قد أحرقني، فإن سروري إذا تأمّلتَ حالي، وابتهاجي إذا صححتَ مآلي، ليأتي على أضعاف ما بي من العلّة).

قلت له: (وما هذا السرور والابتهاج اللذان قد زادا على مقدار علّتك وما تقاسيه من مرضك وتعانيه من ألمك)، فقال: (بمساكنة[٢٧] هذا الأير الجليل محلّه لديّ، العظيم خطره عندي، وحصوله في أحشائي وجوارحي، وجولاته في كامن لذّتي، وما خصصتُ به من القدرة على إدخاله، والقوة لحومه[٢٨]، والاستطاعة لوروده، والاتّساع لوفوده)، قلت له: (قاتلك الله، فما أوصفك لشغفك، وأمدحك لعضو شهوتك)، وتركته ومضيت.

* * *

النوع الرابع
في طُرَف أخبار المخنّثين العصرية

حدّثني بعضُ الأدبـاء بمصر، وهذا الاقليم يعرض لأهله هذا الداء كثيراً، قال:

كان عنـدنا شيخ متطبّب مبتلى بهذا الداء، وكان متعاظماً في نفسه، شديد الكِبَر والتّيه في صناعته. وكان له دكّان يجلس فيه، يقف عليه أكابر الدولة ورؤساء المدينة فلا يعرض على أحد منهم الجلوس ولا يخاطبهم إلّا من السماء. وكان له بخاصّ جلوسه فيه مصطبة صغيرة عليها مُضرَّبَة[٢٩] لا تسع غيره، فبينما هو ذات يوم جالس إذ وقف عليه رجل من أهل مصر فقال له: (يا سيدي، أُريد أن اسألك عن شيء)، فقال: (قل)، فقال: (إنّي أجد أكلاً وحكّة في فم المَقْعَدة)، فلما سمع ذلك منه أقبل عليه بكليّته، ثم قا له: (وكم لكَ بذلك؟) فقال: (مدة، إلّا اني احتشمتُ ان أسأل عن مثل هذا الداء)، فقال: (يا سيدي، وهذا شيء يُحتشم منه؟ والله ما ثبتَ عندي فضل المولى إلّا الآن. ولقد ظهر لي في وجهه وسيمائه وفي شمائله ومخايله

(٢٧) ساكَنَ: سكن وايّاه.

(٢٨) الحوم: الدوران. والحومة: القتال.

(٢٩) المضرّبة: كساء كاللحاف ذو طاقتين مخيطين، بينهما قطن او غيره.

أنّه رجل كبير. وهل يوجد هذا إلّا في أفضل الناس وأرفعهم قدراً؟ إجلس يا سيدي).

ثم انحطَّ له عن مرتبته[30] التي لا ينحطّ عنها لوزير كبير ولا عالم خطير، وأقسم عليه ان يجلس فيها. وجلس بين يديه ثم أقبل عليه بكلّيّته فقال له: (إيهِ يا سيدي، هذا الأكال الذي يجده المولى، أبقاه الله، إذا نضحه بالماء الحار يسكن، أو إذا نضحه بالماء البارد؟)، ففكّر الرجل قليلاً ثم قال له: (لا والله، إلّا إذا نضحته بالماء البارد)، فوضع كفّه في صدر الرجل ثم دفعه دفعة ألقاه بها على قفاه في الأرض وهو يقول له بحدة وانحراف وصوت عال: (ذا خليط)، ثم وثب فجلس في مكانه وأعرض عنه بالجُملة كأنه لم يره، فقام الرجل حائراً وقد كاد أن تُدقّ عنقه وهو لا يدري ما سبب الاقبال أولاً والادبار آخراً، وهو يقول: (يا شيخ، يجعلك الله في حلّ كدتَ واللهِ تقتلني، فما شأنك وما قصّتك؟ وأي شيء اعتراكَ؟ وما الذي أنكرتَ؟) وهو في ذلك مقبل على دكانه ومعرض عنه بالجُملة، كأن ليس أحد يخاطبه. فلما أكثرَ عليه وضع المِذبّة[31] في إناء فيه ماء بين يديه، فيها غُسالة الأقداح، حتى ابتلّ ورقُها ثم نفضها في وجهه ولحيته وثيابه فشوّه بذلك خلقته وبزّته، فلم يسع الرجل إلّا الفرار من بين يديه.

* * *

وكان هذا الشيخ، في هذا الباب، آية للسائلين. أدركتُ من رآه بمصر وخالطه وكان يحدّثني عنه بالعجائب من هذا النوع، وذكر أنه كان في مدّته شيخ آخر من كبار الكتّاب وأعيانهم، مسمّى مشهور الاسم، وكانا يتباريان في هذا الفن ويتفاخران به ويتظاهران فيه ولا يباليان بنبز نابز ولا بطعن طاعن، وكانا كثيراً ما يجتمعان لا يكادان يفترقان. وكانا يتغايران على الحُرَفاء ذوي الآلات الوافرة ويتسابقان إليهم ويبذلان الرغائب.

---

(٣٠) المرتبة: الوسادة.

(٣١) المذبّة: ما يُذبّ به كالمروحة وغيرها.

ومنْ[٣٢] تظاهر الكاتب منهما بهذا الفنّ أنه كان يكتب ذات يوم بين يدي القاضي[٣٣] الفاضل، وكان يعلم ان الناس ينهون له عنه ما هو فيه من ذلك، فاتّفق ان استدعاه القاضي الفاضل وأمره ان يكتب[٣٤] له كتاباً لبعض الآفاق، فاعتزل ناحية ثم كتب كتاباً بأحسن خط وأجود لفظ وأصحّ معنى وأسرع وقت ثم قام يجثي على ركبتيه بين يدي القاضي وقال له: (تأمّل هذا الكتاب)، فنظر فيه فإذا هو مما رضيَه واستجاده خطّاً ولفظاً، فقال له: (أصبت وأحسنت)، فقال له: (يا مولانا، عندي شيء أقوله)، فقال له: (قل)، فقال له: (إذا كنتُ في خدمتك وخدمة هذا السلطان، بحيث تجيء تجدني قد سبقتُ إلى الديوان وتنصرف وأنا فيه، وإن أمرتني بكتب كتاب كتبته هكذا، وإن أمرتني بعمل حساب أتقنته وحرّرته، كما في كريم علمك، وان أمرتَني بعمل زمام عملته بحيث لا يوجد في كتّابك مَن يعمل مثله، وإن استودعتني سراً من أسرار سلطانك كتمتهُ وكتبتُه، فهل يكون عليك أو على سلطانك خلل في أموركم إذا انصرفتُ إلى منزلي ينيكني فيه مَنْ شئتُ؟)، فقال له: (لا والله يا أخي)، فقبّل الأرض بين يديه ثم خرج من عنده فوقف على باب الديوان، وفيه رجال الدولة بأسرهم من كتّاب وحسّاب وغيرهم، فقال بأعلى صوته: (يا أصحابنا، مَنْ شاء منكم ان يقول للقاضي الفاضل، أبقاه الله، إن فلاناً بغى فليقلْ)، ثم تركهم وانصرف.

* * *

ومما يُحكى من مجالس هذين الشيخين الفاضلين، أن الطبيب منهما دخل ذات يوم على الكاتب في داره، وعنده رجل مشهور بكبر الآلة، كان الطبيب يسمع به ولا يراه ولا يقدر على تحصيله، فلما رآه معه كاد يجنّ حسداً وحنقاً وجلس إلى جانب الرجل يشاكله وينبسط معه ويستميله طمعاً في تحصيله في منزله وقتاً آخر، ففهم الكاتب ذلك وغار منه فأخذ بيد

---

(٣٢) الواو: اضافة من عندنا.

(٣٣) القاضي: ناقصة في ا، وهي في ج. ب: القاضي الوزير الفاضل.

(٣٤) ا: أن لا يكتب (!).

الرجل وقام إلى خزانة في البيت فدخلها وأغلق الباب واستوثق منه في وجه الطبيب وأقبل الرجل بغنجه، والطبيب قد كشف استه وهو يحكّها في الباب الذي للخزانة ويتلو: (فضُربَ بينهم بسور له بابٌ باطنهُ فيه الرحمة وظاهرُهُ من قِبَلِهِ العذابُ)[٣٥].

ولم يزل يفعل ذلك إلى ان أدركته فترة[٣٦] واسترخاءُ أعضاء من شدّة الاستلذاذ بسماع حركتهما، فتطارح كالمغشيّ عليه، ففتح الكاتب الباب وأزعج الرجل الذي كان معه بعد قضي غرضه منه.

* * *

ومما يُحكى عن هذا الكاتب انه كان له غلام أمرد روميّ يسمّى: جوهر، نظيف الهيئة، حسن الصورة، يصيد له أرباب الآلات الوافرة العظام بوجوه من الحيل منها: إنه يتعرّض للّاطة ويطمعهم في نفسه، فمَن استدعاه منهم ساعده ثم يعدل به إلى موضع خال قبل الوصول إلى منزله فيقول له: (لا أسير معكَ حتى أرى آلتك)، فيجسّها فإن رآها صغيرة تركه وانصرف، وان رآها وافرة، بحيث يعلم انها تُرضي استاذه، قال له: (موضعي خال فسرْ معي إلى منزلي)، فيسير معه إلى منزله فيُدخله على استاذه.

وكان هذا الغلام عنده في غاية الرفاهيّة والتمتّع، يتصرّف فيه وفي حاله وماله كيف يشاء، وكان مع ذلك متبرّماً به لشدّة ما تكلّفه مِنْ هذا الأمر على الدوام ومِنْ نَيْكه إذا لم يحمل إليه أحداً، فكان يفدي نفسه بمَنْ يحمله إليه.

ومما كان يتصيّد أولئك الصنف أيضاً أن يقف في حَلَق القصّاص والمُشَعْبَذين بالنهار، وقاعات الأفراح بالليل في زمن القيظ وهو في غلالة رقيقة، فيزحم الناس وهو وقوف، فيزحم استُه أير الرجل فلا بد ان يتحرك

---

(٣٥) سورة الحديد، آية ١٣.

(٣٦) الفترة: الخمود والوهن.

ذلك الرجل وليس بينهما حائل كبير، فإذا أحسّ ذلك زاده لصوقاً بعجيزته حتى يستحكم انتشاره[٣٧] ثم يردّ إليه فيجسّه، فإن رضيه جذبه وخرج به من بين الناس، وإن لم يرضه انتقل عنه لغيره. فاتفق أن قال له استاذه يوماً: (يا جوهر، إن أنتَ جئتني برجل له آلة وافرة لم أرَ أكبر منها قط فأنتَ حرّ لوجه الله تعالى، وأنتَ تعلم أنّي لا أكذبك، وتعلم أيضاً أنه لم تكن آلة إلّا وقد رأيتها قبلي ولا يمكنني الجحود). فسار الغلام وهو طائر العقل من الفرح بعتقه والخلاص من يده ان هو ظفر ببُغيته، فعمد إلى مَوْردة[٣٨] الجسر بمصر فجلس عليها إلى أن رأى مركباً منحدراً من قُوص[٣٩] فيه جماعة من أهل الصّعيد، ومن شأن مَنْ ينزل من المركب إلى الساحل أن يشمّر ثيابه لئلّا تبتلّ، فإن كان موسراً في آلته فلا بد ان تظهر منها فضلة من تحت ثيابه.

فبينما هو جالس والناس ينزلون من المركب إذا هو برجل جافي الخلقة، عظيم الجثّة، أسمر اللون، قد شمّر ثيابه لينزل فبقي بين ركبتيه شيء كأنه ساق بعير مشطّب العقب، فلمّا رآه الغلام بادر إلى الرجل فأخذ بيده، ولم يكن له في المركب من المتاع إلّا ما حمله في يده فحمله عنه ثم قال له: (يا سيدي، أريد الليلة ان تكون من أضيافي)، وأوهمه انه هو البغى، فقال له: (حبّاً وكرامة)، فسار معه ثم قال له في الطريق: (يا مولاي، ما الاسم؟) فقال له: (ميمون)، فتقدم بين يديه إلى دار مولاه، وكانت له غرفة في الدهليز يخلو بنفسه فيها، فلما حصلا على الباب ومولاه في الطاق يرقب الطريق انتظارَ أن يجيئه بشيء، فأخرج رأسه من الطاق فحين وقع بصره على الرجل قال له: (مولاي أبو وكيل، السّلامة، السّلامة. إصعدْ هذا يوم مبارك وليلة سعيدة)، فالتفت الرجل إلى الغلام وقال له: (وعسى أنتَ عبد مولاي ابن فلان؟ «باسم الرجل وكنيته»، مولاك أعرفه قبل ان تكون أنتَ

(٣٧) انتشاره: انتصابه.

(٣٨) الموردة: مأتاة الماء والطريق اليه.

(٣٩) قُوص: مدينة مصريّة على النيل في محافظة قنا.

عنده بعشرين سنة)، فلما رأى الغلام ذلك وتحقّق تعارفهما من قبل قال له: (اصعدْ)، فصعد ثم دخل على استاذه فقال: (يا مولاي، أوصِ بي عقبَكَ خيراً، فوالله لا عُتقتُ من مُلكِك إلى النفخ في الصُّور)، وخرج وتركهما.

* * *

ويُحكى أنّ هذا الكاتب كان ذات يوم جالساً مع جماعة من الكتّاب وقد قالوا: (ليقترحْ كل واحد منكم أمنيته)، كما جرت العادة في ذلك عند مكاتب النـاس في خلوتهم، فقـال أحدهم: (اتمنى على الله الجنة)، وقال آخر: (اتمنى الوزارة)، وقال آخر: (اتمنى خَراج الفيّوم)، وقال آخر: (اتمنى الصحة والفراغ وألف دينار كل يوم، وأن أعيش مائة عام). وافضى الأمر إليه فقيل له: (تمَنّ)، فقال: (اتمنى زبّاً يكون عندي وفي منزلي وتحت يدي، يكون قدر صومعة جامع ابن طولون)، فقالت له الجماعة: (والله لقد جئتَ بارداً، ثقيلاً، جارحاً[40]، بغيضاً، فإنّ هذا لا متعة فيه ولا أرب لك منه)، فقال لهم: (يا جهال، أما رأيتم في جهاز العروس إبريقاً من الصّفر زنته أربع قناطر، وطستاً زنته قنطارين؟ فذلك الطست والابريق تتصرّف فيهما أو تستمتع بهما؟) فقالوا له: (ألا إنّ ذلك يكون للتجمّل به والزينة والفخر والمباهـاة والسمعـة)، فقال لهم: (وكذلك أنا في هذا سواء، إنما أردته للتجمّل به والزينة والفخر والمباهاة وأن يقال: فلان مَلَكَ من هذا النوعِ شيئاً لم يملكه أحد غيره ولا قدرَ على تحصيله بشر سواه)، فقالوا له: (أنتَ أعلم بما تمنّيت).

* * *

ويُحكى أنه كان بمصر شيخ من أعيانها وذوي أقدارها، معروف بهذا الداء إلّا أنه يتكتّم فيه قليلاً، فأتينا حمّاماً وكانت له فيه خلوة منعزلة، فكـان يدخلها ويستدعي خَدَمةَ الحمّام فيخلو بهم على أنّهم يخدمونه،

---

(٤٠) ب، ج: خارجاً.

فلا بدّ أن ينكشف الخديم في التصرّف في الحمّام فيظهر له في الحمّام، فمن يرضيه استدعاه لنفسه. فكان يتكتّم أمره لكونه لا واسطة له في ذلك فلا يُطلع عليه إلّا من يتناوله لا غيره. إلّا أنه كثر ذلك منه وفُهم عنه فكان كثير المال، متسع الحال، محسناً لمن يفعل به ذلك، فصار كل ذي آلة عظيمة من الصعاليك يتقصّد الخدمة في ذلك الحمّام.

فاتفق ذات يوم أن دخل الخلوة على عادته فبادر له خديمٌ حديث عهد بخدمة الحمّام يتصرّف بين يديه، فلمّا خلا الموضع أقبل يخدمه ثم أوهَم أنه يربط المئزر في وسطه ففرَجّه فانكشفَ له عن داهية عظمى، كما قيل:

كقدّكَ في العمامة حين يُحذى وعَرْضكَ في الكبورة والجِباب

فلما وقع نظر الرجل عليه رأى شيئاً لا يحتمله حيوان ناطق ولا غير ناطق فزوى وجهه عنه لشِقّ جانبه الأيمن واستدار له من تلك الناحية ثم أعاد عرضه عليه فزوى وجهه عنه لشقٍّ الجانب الأيسر فاستدار وعرضَه عليه، فقال له: (يا أخي، الذي بلغك صحيح إلّا انه ولا بهذا كله، فإن هذا شيء لا يُطاق)، ثم وهبه شيئاً وصرفه.

* * *

ومن أهل هذا الداء مَنْ يقول بالسّودان ولا يقول بغيرهم، ولهم في ذلك حجج كثيرة، فمنها أنهم يقولون: (إن الأسود يجمع ثلاث خصال لا تجتمع في الأبيض، وذلك أنهم أرطب شفاهاً، وأكبر أيوراً، وأبعد ماءً).

* * *

ومنهم من يقول بالمردان، يفعل بهم ويفعلون به.

فمن مُلَح الحكايات في ذلك: إن أحداً من هؤلاء القائلين بالمردان كان شيخاً من هذه الطبقة، فرفع غلاماً وشارطه على انه يَفعل به ويُفعل به. فابتدأ الغلام، فلما أخذ في العمل تحرّك على الشيخ فقال له: (إنزل)[٤١]،

---

(٤١) ا: انزل انزل.

فنزل وطلع الشيخ على ظهر الغلام، فلما بدأ بالعمل قام عليه فقال للغلام: (إطلعْ)، فطلع وانبطح له، فلما أخذ في العمل تحرّك على الشيخ فقال له: (إنزلْ)، فلما طال ذلك على الغلام قام يشدّ سراويله وقال: (أنا جئتُ انيك وأُناك، ما جئتُ أعمل في الدّولاب)[٤٢].

* * *

حدّثني بعض ظرفاء المغرب قال:

كنتُ ليلة أشرب عند كاتب من مشاهير الكتّاب يُنسب إلى البغاء، وكان له غلام حسن الصورة معذّرٌ ومعنا مغنّ مشهور بالنادرة المليحة وخفّة الروح، غير منكر عليه ما يأتي به من هذا الجنس. فلما أخذ منّا الشّراب وقمنا إلى المنام صعد الكاتب إلى الأعاني[٤٣] واستدعى غلامه إليه كأنّه هو الفاعل، وطفئت السُّرُج ثم أخذا في العمل ونحن نسمع حركتهما.

وطالت الحركة بينهما أكثر الليل، فلما عيل صبر المغنّي مما يسمع من حركتهما، رفع رأسه في الظلام ثم قال: (يا أصحابنا، لعنة الله على الكاذب إن كان النيك في اسْتٍ واحدٍ).

* * *

كان بعض الأشراف بَغّى وكـان يجلس على باب داره ويجمع إليه ناساً من أهل هذه العلّة وغيرهم، فوقف عليه رجل يوماً، راكب على بغل وقد أدلى وكانوا في حديث إنسان فقال بعضُ مَنْ حضر: (أيرُ هذا البغل في اسْت فلان)، فقال صاحب المجلس: (ما انصفْتنا، تقعد عندنا وتتمنّى الخير لغيرنا!؟)

* * *

ورأى مخنّث حماراً قد نزا على حمارة فغلظت الفَيْشلة فدخلت في اسْت الحمارة فاعتقد المخنّث أن ذلك تعمّدا من الحمار فقال: (سبحان الله، ما

(٤٢) الدّولاب: الآلة التي تديرها الدابّة ليستقى بها الماء، وهي فارسية مركّبة من (دولا: إناء) و(آب: ماء).

(٤٣) عنان الدار: جوانبها، وربما كانت (الاعالي) مصحفةً.

أعقل هذا الحمار وما أحسن فعله. والله أعقل من كثير من الناس).

* * *

كان بالمغرب رجل عظيم القدر، كبير المنصب، شريف البيت، كثير المال والجاه، وكان شديد البغاء. وكان له إسطبل على باب داره، فيه جملة دواب وعدة سوّاس من بيض وسود كالعفاريت. فجمع اولئك السوّاس يوماً وقال: (بلغني أن ههنا امرأة فاجرة تقف بالليل على باب الأسطبل تتعرّض للغلمان تفسدهم، وهي من بيت كبير تقبح أن تكشف وجهها حتى تُعرف، فأشتهي إذا أحسستم بها أن تطفئوا السّراج وتدخلوها ولا تكشفوا عن وجهها ولا تتعرضوا منها لشيء أكثر من ان تنيموها على وجهها وتنيكوها كلّكم في الاسْت أشد نيك تقدرون عليه حتى أتوّب هذه الفاجرة عن التحرّش بغلماني، ولكم عندي الكرامة والصّلة)، ثم تركهم إلى الليل وارسل إليهم النبيذ والفاكهة واللحم إلى الاسطبل.

ولمّا جنّ الليل وعَلمَ أن الشراب قد أخذ منهم تزيّا بزي امرأة وتنقّب وخرج بلا سراويل فجاء بالقرب من باب الأسطبل بحيث يحسّونه فيقومون إليه ويدخلونه الأسطبل ويبطحونه على وجهه وينيكونه أشد نيك كما أمرهم، ولا يتعدون التصرّف في استه، فإذا أشبعوه نيكاً قام فانصرف. فكان هذا دأبه معهم على الدوام والاستمرار.

* * *

قال مصنّف الكتاب: والبغاء أيضاً يكون في الحيوان الغير الناطق كما يكون في الانسان. رأيت حماراً بغى، وذلك أني شاهدتُ حماراً ينيك حماراً. والحمار المنيوك يرجع بأسته للحمار النائك ويفجج[٤٤] ساقيه ويلتذّ بفعله. فلما أخرج منه الحمار أيره خرج سرمه معه، فأقام أياماً ونَفَق[٤٥].

* * *

---

(٤٤) فجّ: فرج ما بين ساقيه.

(٤٥) في ب، ج ثلاث حكايات اضافية تلي هذه الحكاية مباشرة ونعتقد لضعفها وعاميّتها انها موضوعة على الكاتب: [وحكى بعضهم قال: مرّ ذئب بروضة من الرياض فاذا فيها حمار قائم يرعى. فلما =

ورأيتُ سِنَّـوراً[٤٦] بغَى، وذلك أني حضرتُ مجلسـاً عند كاتب كبير، أديب، شاعر، ظريف، من أهل المغرب، فجرى ذكر البغاء، وكان الكاتب المذكور ممّن يُتّهم بذلك، وقال هو نفسه: (سنّور ي هذا بغى)، لسنّور كان بين أيدينا، فتعجّبنا من ذلك واستبعدناه فأخذ أصل رازيانَج[٤٧] كان بين أيدينا، فصار يدخله في إسْته ويخرجه والسنّور يفجج ساقيه ويدير إسْته ويرجع إليه التذاذاً بفعله، فتعجبنا كلّنا من هذا الاتفاق[٤٨].

* * *

النوع الخامس
في مسائلٍ سألتُ عنها في هذا الشأن
وأجبتُ عنها بالبيان

قال سهل بن مهيندار: اجتمعتُ يوماً بوجهٍ من وجوه المخنّثين ببغداد وشيـخ من شيـوخهـا العلمـاء بشأنهم، الفقهاء في أسرارهم، البُصراء

= رآه الحمار ايقن بالهلكة فقال في نفسه لاعملنّ الحيلة فان عشتُ فهو المقصود، وأن فطن لها الذئب فما ثمّ إلاّ الموت، وهو حاصل إنْ فعلها او لم يفعل. فقام الحمار ومشى قليلاً قليلاً إلى الذئب فقال: اهلاً بمن جعلني الله تعالى رزقه. اعلم ايها الذئب أنك ضيفي وقد اضفتك بنفسي، ولا شيء اعزّ عليّ منها.. ومن كان مثلي فإنّ مقصوده الشكر في حياته وموته، وقد دخلتْ حافري شوكة طويلة وصلت الى ساقي واشير عليك بقلعها قبل انْ تاكلني. فاني اخاف ان تشتبك في حلقك فتؤلك وتشتمني بعد موتي. فقال الذئب: لعمري لقد نصحت، ارني حافرك. فاندار له الحمار وعليه زبّ كذراع، فتعجّب الذئب من ذلك واطال النظر إلى زبّ الحمار وقد نسي روحه بالنظر، وإذا بالحمار قد شدّ رجله ورمحه رمحةً بتر اسنانه كلها وهشّم خرطومه فخرّ مغشياً عليه وهرب الحمار. فلما افاق الذئب لام نفسه وقال: كنتُ جزّاراً صرتُ بيطاراً وانا انظر واشتهي اير هذا الحمار.

وقال أبو العيناء: اجتاز عليّ مخنث يعدو، فقلت له: إلى أين يا خرا؟ قال: إلى شاربك.

قال ابن المكرم يوماً في مجلس وكان به مخنث (قال؟) ما في الدنيا أعقل من القحبة، لأنها تطعم اطيب الطعام وتُسقى اشهى الشراب وتعطى الدراهم وتلتذّ] انتهى، واوردنا الحكايات تبعاً لنسخة ج (المحقق).

(٤٦) السِنَّور: الهرّ.

(٤٧) الرازيانج: الأنيسون، نبات ذو رائحة عطرة تسميتُه العاميّة «يانسون».

(٤٨) هامش للناسخ في ا: [اخبرني مَنْ اثقُ به، راى سنّوراً يأتيه مثله فيمكنه ويلتذّ بفعله ويتبعه من مكان لمكان].

بأمورهم، فقلتُ: (إني مسائلك عن أشياء من معانيكم في أبواب شبقكم وفنـون آرابكم)، فقال لي: (إسألْني عمّا بدا لكَ فإني أشرحه لكَ شرحاً، فإني بمـا تريـده خبـير، وله محصّـل. لكن قيّدْ ما يجري بيني وبينك بالكتابة)، فدعوتُ بورق ودواة فقال: (إسألْ الآن عما بدا لكَ)، فسألته: (أيّ الأحاليل أعجب في نفوسكم؟ وأي الناس أحب إليكم؟ والزم[٤٩] لشهواتكم؟)

قال: (لسنـا مجتمعـين على صنف بعينه، فإنّ بعضنا يقول بالشُقر الحمر من شبّان الروم، وبعضنا يقول بالأحداث منهم، وبعضنا يقول بالخُـوز[٥٠]، وبعضنـا يقول بالحُبشان[٥١] من السودان والمخطّطين من السودان والزنوج. وسأشرح لك معنى كلّ منا في اختياره لما اختاره:

ـ أمّـا الذين وقع اختيارهم منّا على شبّان الروم فإنهم يزعمون ان الشباب في فعله هو اقوى وأحكم وأحزم وأبقى، وليس هو كالغلام السريع الانزال ولا كالشيخ المستضعف في ذلك الحال.

ـ وأمّا الذين قالوا بالأحداث فإنهم قالوا: بأن الحَدَث هو بين المراهق وبين الشباب فله حدّة المراهقين وقوّة الشباب.

ـ وأمّا الذين قالوا بالخُوز فإنهم لم يحتجّوا بأكثر من الخُوزيّ في فعله وطول عمله وكثرة صبّه وغزارة مائه، إذ كان الإبطاء عندنا في أعلى المراتب، وكثرة صبّ المنيّ من الطف سبب.

ـ وأمّـا الذين قالوا بالحبشـان والمخـطّطين من أصنـاف الزنـوج والسودان، فإنهم قالوا: إن الحبشة في خلقتهم أكبر إيوراً، وأسرعها قياماً، وأبعدها نوماً. والمخطّطين منهم، ومن سائر الناس، اوفر إيوراً من غيرهم

---

(٤٩) ا: واللوم. ب، ج: والزم.

(٥٠) الخُـوْز: اهـل خوزستان، وفي «محيط المحيط» للبستاني: جيلٌ من الناس يوصفون بالخسّة والدناءة، الواحد منهم: خوزيّ، وهو ممّا يُشتم به.

(٥١) الحُبْشان: جمع الحَبَش، جنس من السودان واحده: حَبَشيّ، نسبةٌ للحبشة.

وأشبق. والزنوج منهم فأملأ إيوراً، وأشدها تدويراً، وأربا كَمَراً[٥٢]، وإن لهم خاصيّة فيها ليست لغيرهم، وذلك أنهم إذا ناكونا وحصلوه فينا حسسنا منه، في وقت الصبّ، ماءه يملؤنا وينتشر فينا ويتسكرج في أجوافنا كما تتسكرج إيور الدواب، حتى انهم لا يتهيّأ لهم أن يسلّوه منا إلّا بعد ساعة).

(قال) وسألتهُ: (أيّ الأيور أعجب إليكم، والزم لشهوتكم، وأبلغ في مطلوبكم؟)، قال: (إن أصناف الأيور أربعة:

الأول: الطويل الغليظ.

الثاني: الغليظ القصير.

الثالث: الطويل الرقيق.

الرابع: القصير الرقيق.

وقد اختلفنا في إختيارنا لهذه الأصناف، فقال بعضنا بالغليظ القصير، وقال بعضنا بالغليظ الطويل.

ـ فأمّا الذين قالوا بالقصير الغليظ فإنهم زعموا أن الطويل الغليظ قليل المحصول، كثير الفضول، سريع المنام، ضعيف القيم. والقصير الغليظ أشد قياماً وأبعد مناماً، وأملأ للجرح.

ـ وأمّا الذين قالوا بالغليظ الطويل فإنهم قالوا: إن القصير وان كان على ما حكيتموه من أفعاله ورتّبتموه من خصاله في سائر أحواله، أفليس الذي قصر منه عن بلوغ ما سلكه الطويل دليلاً على فضل الطويل على ما هو دونه من القصر والطول؟

ـ وأمّا الطويل الرقيق فليس منّا أحد يحمده إلّا ضعفاناً، وأمّا مَنْ عرض له منّا رياح البواسير فليس يصلح له الغليظ وإلّا آلمه ومَعَطه وأوجعه. وإنما يختار الرقيق ليدخل بعد ألمٍ، ويسلك بهدوء ولَمٍ، ويصل إلى معادن الشهوة بطوله فيرضيها، ويعبر على العلّة فلا ينكيها.

---

(٥٢) الكَمَرة: رأس الذكر.

ـ وامّـا القصير الرقيق فشيء لا يخطر ببال احد منا، ولا يصلح إلاَّ للمتشبّه بنا، الذين ما يقدرون على ما نقدر نحن عليه).

(قال):

وسألتهُ: (الأيور أصناف من المقادير تعرفونها في هيئة كبرها وصغرها، وأيّ المقادير منها أعجب إليكم والزم لشهوتكم؟) فقال: (نعمْ، لها مقادير نعـرفهـا، فالنهاية في صغرها هو ان يكون طوله ستّ اصابع، بأصابع صاحبه، وهذا ممّا لا خير فيه ولا فرج عنده. والذي فوق هذا أن يكون تسع أصابع، والذي فوق هذا هو المتمتّع به أن يكون إثني عشر اصبعاً، وهو الذي يمكن استعماله كلُّ مَنْ كان منّا قد شرب في مسقانا. والخارج عن كل حدّ، المتجاوز كل وصف، فهو أن يكون ستة عشر اصبعاً، وهو الذي لا يطيقـه إلاَّ كلّ رئيس، مذكـور، حليف، ممـارس. ولا يمكن ان يستعمله منـا كل احـد، وانمـا يستعمله منّـا مَن يشكـو الثّقلَ جنبُه، واسترخاء شرجه، وبُعد فهمه. وانعتها عندنا في المدح، وأوقعها في المحبّة، واشفاها للعلّة، وابلغها للعلاج، والذّها للنفس والومها، المراد في كلّ وقت عملها، هو ما غلظ منها وزاد امتلاءً ووفر عرضه وثخن جسمه، وكان ما التفّ عليه عند قبضة رؤوس الأنامل وكلّ ما لم تلتف عليه الأنامل عند قبضها عليه، لزيادة امتلائه ووفر عرضه، فهو أزيد في فضله وأبلغ في مدحه وأجود في معناه إذا كان المراد منه إنما هو الامتلاء والعرض، وذلك هو الغرض المقصود وإليه تشرئبّ النفس.

ـ فأمّا الطويل، وإن كان ممدوحاً، فإنه لا يعادل فضيلة العريض. فإن الطويـل له موضـع يسـع طوله، ممـا عملته الطبيعة الكائنة لا العادة الاكتسـابيّة. وليس المقتدر على استعمال ما طال، ولو تناهى في طوله، ممدوحاً. لأنه إنما اقتدر بالصنع الانسانيّ والطريق الولاديّ لا التكليف الاكتسابيّ والتحمّل المعادي.

ـ فأمّا العريض والغليظ، فلمّا لم تعمل لهما الطبيعة سعة تشتمل على امتلائهما، وجرى الأمر في دخولهما على غير المجرى الطبيعي بل بالعادة

وإلْفِ السـالكـين لها، حتى صار المسلك من السعة على ما أرادوا من الاتضـاح على ما اعتاد، فكان القادر على إدخال الغليظ من الأيور منّا أمرح من القادر على إدخال الطويل على كل حال.

فأمّا ما دون هذه الأقدار الثلاثة فهو لا شيء).

(قال)

فقلتُ له: (إنه قال لي بعض أصحابكم، وقد سألته تعريفي أصحاب كبر الأيور من الناس على ما اختبرَه ومارسَه بطول التجربة، فقال: هو مَنْ أشرقَ لونـه، ونضرَ ماء وجهـه، وتمّتْ خلقتـه، وحسنتْ مشيته ونعمتْ أطرافه. فهل الأمر كذلك أم لا؟) فقال لي: (إيّاك يا سيدي الاغترار بما قاله لك هذا الجاهل القليل الفهم، الناقص المعرفة، غير الخبير بالأمور، العديم التجارب، فتهلك وتضيع مالَك وتتلف عمرك وتشغل قلبكَ. فكم مَنْ غرّته تجارته وخانته فراسته فوقع في الخسران وحصل على الندم حيث لا ينفعه الندم شيئاً. واعلمْ أنّ للأيور جواهر ولها معادن كمعادن الذهب والفضّة واليـاقـوت، فإنـك قد تجـد الواحد من الناس الرديء منظره، الحقيرة صورته، الوسخة كسوته، الدنيّة صناعته، فتستهزىء بمقداره وتستحقر ظاهره، حتى إذا فتّشت مخبره واستنبطتَ باطنه وجدتَ معه جوهراً نفيساً مقداره، يبتهج القلبُ لجماله، ويروق العين بهاؤه، أير نبيل جليل كأنه الملك على السرير.

وكمْ مَنْ تراه بهيّـاً منظره، حسناً زيّه، رائقة كسوته، نبيلة صناعته، فتخـال نفيس باطنـه بعـد الطلب الشـديـد وتقلّب المراسلة والانتظار للمواصلة، ألفيتَ نفسكَ من مرادكَ خالياً، ومن تقديرك فيه فارغاً، ومن كلّ خير آيساً.

وأنا أحكي لك يا مولاي ما اتّفق لي من هذا الباب، وذلك أنّي كنتُ يوماً سائراً مع الأمير أبي النجم بدر وكان ورائي أخواتي[٥٣] من سوق الكرخ

(٥٣) هكذا في الأصل، وسيتحدّث دائماً عنهم بصيغة التأنيث فيما بعد.

إذْ استقبلَنـا غلام في قدّ السروة، مديـد القامة، حسنة شمائله، مليحة إشـارته، بوجه يتلألأ وخدّ أسيل، مختطّ العذارين وشعر أسود، وعليه غلالة شرب، متردّ برداء قد نفضه على رأسه، وسراويل على قدميه وتكّة حريـر ظاهرة من تحت غلالته، وفي رجله نعل كيسانيّ[٥٤] صرّار، خلفه غلمان يتبعونه.

فلما رأيته أُسلب عقلي وقلبي واحتبس نَفَسي وشغفتُ به ولم أدر أين أقصد ولا أين أدرج، فلما رأوا أخواتي حالي وانكشفَ لهن أمري طلبوه لي وسرنَ خلفـه حتى عرفنَ موضعـه وسـألنَ عنـه، فوجـدنه من أولاد الهاشميين وأبوه من صُلبهم قريب عند السلطان. فلم أزل أعمل الحيلة وأقصد مَنْ أعرف ومَنْ لا أعرف وأُهدى وأُضلّ، فذهب مني في هذا الشأن نحو من ألفي درهم، حتى حصل في منزلي مع جماعة من غلمانه، وقد كان وصلهم بَرّي وبـان عليهم فعـلي، فلم أدع جهـداً أتجمّـل به عنده إلاّ وتجمّلتُ، ولا معنىً يسرّه ويبتهج له إلاّ فعلتُ.

فلما أخذ منه الشراب ظهر منه الفرح بغنانا والطرب لرَنْحنا[٥٥] وانبسطَ عن احتشامه وزال منه انقباضه وعرف غلمانه مرادي فخرجوا وخلّونا وحدنا، فمددتُ يدي إلى متاعه لأقبض عليه، وأنا، لويلي المغرور، لا أشكّ في كبـره وزيـادة قدره ووفور عظمه، فإذا يدي قد وقعتْ منه على عمىً وسخام وويل ونكال ودقّ الصدر.

فلم أنتـظر حتى وثبتُ إلى دار لي أخـرى فيها أخواتي وصواحباتي أولول والطم على شؤم بختي وعمى بصري وخراب بيتي من كل ما كنتُ أملكـه وأجنـاه وأدّخـره وأقنـاه، فيمـا كنتُ صرفته إليه وإلى أسبابه، وأصحـابـاتي[٥٦] سكـوت، مع لي وعليَّ، ويتوجّعون توجّعاً لقلبي وتخوفاً لمصيبتي. ولمّا انتظرَنا المشؤوم ولم ير أحداً منا خرج مع غلمانه إلى لعنة

---

(٥٤) الكيسانيّة: جلود حمر غير مدبوغة.

(٥٥) الرنْح: الدوار والاختلاط في السكْر.

(٥٦) هكذا في الأصل، ولعلها طريقة حديث المخنّثين عن بعضهم.

الله، فخسرتُ مالي وشغلتُ قلبي وتركتُ كسبي حتى حصلتُ لا على شيء. فهذا أحد مَنْ غرّني ظاهره وكان كالسراب.

فأمّا مَنْ استزريتُ ظاهره واحتقرتُ خلقته واسترذلتُ صناعته واستوحشتُ كسوته واستعدمتُ الخير منه ومن أمثاله ولا حسبتُ أنّه يخطر على بالي، فكان الأمر بخلاف ذلك، وذلك(٥٧) أن غلاماً زبّالاً(٥٨) أصفر كان يتعهّد اسطبل دوابي في كل يوم لأخذ الزبل منه، وكان ربما جاء معه رجل آخر، قيل لي إنه أستاذه، وربما جاء وحده. إلّا أنّ عيني لم تكد تخلو من نظرها إليه في كثير من الأوقات. وكنتُ لا أملؤ عيني منه، استقذاراً له ولصناعته، ولا خطر لي قطّ على بال.

وإنّي لمشرف يوماً على الاسطبل من كوّة بيت أبصر منها دوابي وأعلم حال خدمة سوّاسي لها، أراهم منها ولا يروني، إذ لمحتُ هذا الغلام الأصفر قائماً يجمع الزبلَ وعلى رأسه فوطة فحلّها ونفضها، فعند حلّه لها ونفضه إيّاها تأملتُ في وسطه أيراً في طول الذراع، ناعماً رطباً، ذهبياً، له بريق ورأس وافرة، وغضاضة ونضارة، فلم أتمالك أن صحتُ بغلماني وأمرتهم أن يدعوه لي فجاؤني به فتأملت خلقته وصورته، وما كنتُ قبل ذلك لأتأمّله(٥٩) ولا ملأتُ عيني منه، فإذا هو من الصفر حسناً، بحاجبين أزجّين، وعينين غنجين، وخدّ أسيل، وجيد سبط، بشفتين رطبتين فيهما امتلاء يسير، وثغر كاللؤلؤ بياضاً ونقاء، وأطراف مرمريّة، ولِبْد(٦٠) به بريق وصقالة ونعومة وصفرة مشبّعة، وسنّه من السبع عشرة سنة إلى الثمان عشرة، بلون ميلَ إلى الخلاسة(٦١) والتفاف اللحم. فسألته عن مولده فذكر إنه من مآليد البصرة وإن أستاذه الزّبال عشقه منذ ثلاث سنين وصار إلى بغداد.

---

(٥٧) وذلك: اضافة من ب، ج. وهي ناقصة في أ.

(٥٨) أي رومي.

(٥٩) أ: لا اتاملهُ.

(٦٠) اللِبْد: الشَعر المتلبّد.

(٦١) الخلاسة: الإحمرار الذي يخالط بياضه السواد.

فأمرتـه بحـلّ فوطته التي في وسطه فأبى استحياءً وخجلاً فأمرتُ غلماني بحلّها ففعلوا، وكشفتُ عن أيره فكان كأير البغل إذا أدلى قبل أن ينعظ، فأمرتهم باقامته عليه فساعة أومىء إلى مسكه قام وانبسط وتوتّر وامتـدّ وتقـوّس إلى فوق من شدّة انعاظه فانتفختْ كمرتُه وعلتْ وربتْ وتسكـرجتْ وبرقتْ، فلما رأيته على هذه الحالة الجليلة والصفة النبيلة والمعـاني الخطيرة، أمرتُ بتنظيفه بالحمّام وألبسته دستاً[٦٢] من ثيابي بغلالة شرب وسراويل دبيقي[٦٣] وتكّة إبريسم، وأفرغت على رأسه منديلاً دبيقيّاً وألبسته نعلاً وبخّرته من بخوري وأطعمتُه معي وسقيتُه وبيّتُه معي فناكني بقيّة يومنا ومسائنا وليلتنا بنحو من خمسة عشر زبّاً، نيكاً طيّباً لذيذاً هشّاً، برهزٍ قويّ ووقع صلب وطول لبْثٍ وابطاء إنزال[٦٤] وغزارة ماء.

فلمّا أصبحنا سلّمتُ إليه كلّ ما أملكه وصار أمره فوق أمري، وكان كل واحد منّا في عيشة راضية، وملكتُه واستأثرتُ به دون كل مخلوق إلى أن عيل وتوفي وفرّق الدهر بيني وبينه فكوى موته قلبي وحزنتُ عليه ما لم أحـزن على مخلوق مثله، وعملتُ له المـأتم الذي يتحدّث الناس به إلى الساعة ولبستُ عليه الحداد ولم أدخل إلى فرح سنة كاملة حتى حلف عليَّ اخواني فنزعتُ الحداد وفي قلبي عليه نار لا تُطفأ إلى الأبد.

وانّما شرحتُ لك، يا سيدي، هذا كلّه لتعلم أنّ الأمر فيما سألتَ عنه شيء ليس[٦٥] مربـوطاً بالقياس فهمه، ولا بالعقل معرفته، لأن الأيور في الناس مواهب تعطيها الحظوظ لمَنْ قُسمتْ له من العباد، وأرزاق ترزقها مَنْ يستحقْ ومَنْ لا يستحقّ. فكم مَنْ تراه في حينه مزْوَرّة اعضاؤه تجد معه منه فخذاً تاماً أو ذراعاً وافراً. ولم يُعط احد علْم هذا السرّ لا بمعرفة ولا بفراسة، ولا يُدرك ذلك بغير المشاهدة).

فقلت له: (ما يصلح من الأيور لمَنْ لم يكن، قطّ، دخل في هذا العلم ولا

---

(٦٢) الدست: اللباس.

(٦٣) الدّبيقيّ: من دِقّ ثياب مصر، معروفة تُنسب الى دَبيق.

(٦٤) ا: وابطال نزال.

(٦٥) ليس: إضافة من عندنا. وفي ج: لا يدرك القياس فهمه. ب: يسامر بوطي بالقياس (!).

ارتاضَ ولا مارسَ؟) قال: (أمّا الداخلون في هذا العلم، الذي لم يكن لهم في الصبا مَنْ يسرّه لهم، فإذا ظهر كامن شهوتهم بعد كبرهم وخشونتهم فليس لهم منها إلّا ما صغر فَلانَ وكان متيقّضاً ناهضاً لا يسوغ النوم. ويكـون رقيق القلب، صغـير الرأس، غليظ الأصل، ناعماً جداً، لتكون مداخله بمنـزلة المُعـالِج الدقيق الذي يُدخل المِيْل[٦٦] في الجرح ليعرف مقدار عمقه، فإن آلمْ أمسكَ عنه، وإنْ لم يؤلم دفعَ برفق. فإذا ارتاضَ بهذا الأير وصلح وسهلَ عليه مدخلُه، عند ذلك يندرج من شيء أصغر إلى شيء أكبر حتى يعلم ويمهر ويتحذّق ويدخل في جملتنا. إلّا أنّه لا يصير إلى الحال التي نحن عليها من السّعة والاقتدار عن المتناهي من الكبر، الزائد في الامتلاء والعرض، في زمن يسير المدة. لأن الواحد منا لا يزال، من صباه إلى شيخـوخته، يزيد عادته ويكثر توسّعه. ثم انهم يرتاضون بعد ذلك بكبـار الأيـور إذا سكـروا، فإنّ شدّة السُّكـرْ ترخي الأشراج وتـوسّع الأعفاج[٦٧] وتخدّر معه الحواس لشدّة النعاس. فإذا ارتاضوا بذلك في السّكْر وحمل عليهم في الدفع وأصبحوا من الغد مفجّجين[٦٨]، ومن هجوم الأيور متألّمين، وارمة أشراجهم، مقلّبة أجحارهم، دووا بالحمّام والزيت الحار. فيسرّع ذلك بغلمتهم ويسهّل اقتدارهم ويزيل تألّمهم ويليّن مستصعبهم).

قلت له: (فـأيّ اللزوجات المستعملة في تسهيل المدخل أحمَدُ، وأيّها أجودُ؟) قال: (أمّا الداخلين في العمل والمتعلّمين فلعاب حبّ السّفرجل[٦٩] والكُسْبرة[٧٠] المحلولة بالماء. وأما لأمثالنا، عندما يعظم علينا ورود ما كبر منها، فالزيت).

---

(٦٦) المِيْل: آلة الجرّاح التي يسبر بها الجرح ونحوه.

(٦٧) الأعفاج: جمع عَفْج، وهو المِعَى.

(٦٨) المفجّج: المشقّق.

(٦٩) لُعـاب السفـرجل: دواء يتخذ من بزره، والسفرجل: شجر مثمر من فصيلة الورديّات مهده الأصلي ايران، تؤكل ثماره نيئة وتطبخ بالسكّر فيصنع منها مربيات.

(٧٠) الكُسبـرة (الكُزبرة): بقلة من فصيلة الخيميات، مهدها الأصلي أوروبا الجنوبية، يُستعمل بزرها كتابل وتركيب بعض المشروبات.

قلتُ له: (فإنْ عَظُمَ حبّ السفرجل والكُسْبرة؟) قال: (فلُعاب بزر الكَتّان إذا كان هذا مليّناً بطبعه، مسلساً بعذوبته، يمنع من الخشونة ويداوى به الشُقق).

قلتُ له: (فما تقول في الخطميّة؟) قال: (هي محمودة وقياماً عند الاضطرار، لكن ليس فيها دهنيّة، إذ الدهنيّة أجلُّ في هذا من كل شيء. فأمّا الذي قد حذق وبصر فليس له غير النخاع، فإنه لزج دهنيّ مبارك).

ثم قال لي: (وليس شيء من هذه المسهّلات للمدخل، يا سيدي، أجود ولا أنفع إلاّ الدهن ولا غيره، من الغلمة والتودّق[٧١]، فإنه إذا تودّق المشتهي منّا ومن غيرنا على أير مَنْ يشتهيه حتى يدلي ويتمدّد وينتفخ وينبسط وتتّسع عروقه وتحمرّ أوداجه ويعرض قفاه وينقلب ظهره إلى فوق من شدّة قيامه، أو ينيك به غيره بين يديه، وهو يتأمّل بعينه دخوله وخروجه ونقنقته في جحر ذلك المنيوك، كأنه نقنقة ضفادع في غدير ماء، أو كأنه نقنقة العجين في وقت عجنه، أو إدارة فخذيه، فأعجبه واشتهاه ونضحت عيناه على شهوته، أخذه صاحبه فدلك بكمرته باب فَقْحته[٧٢]، استرخى لذلك شرجُه واتّسعت جاعرته[٧٣]. فإذا دفعه فيه لم يتألّم له، وان كان مؤلماً، ولم يتوجّع له وان كان موجعاً لغلبة الشبق على قلبه والغلمة على لبّه والوداق[٧٤] على جحره. وقد رأيتُ من غلام، كان مرة معي في وداقته، شيئاً عجيباً شبيهاً بما وصفتُ لك)[٧٥].

---

(٧١) التودّق: الشهوة والرغبة في طلب الفحل.

(٧٢) الفَقْحة: حلقة الدبر لانفتاحها عند الحاجة.

(٧٣) الجعراء: الدُبر.

(٧٤) الوداق: الرغبة، الحرص على طلب الفحل.

(٧٥) هناك اضافة لحكايات في ب، ج واضح انّها مدسوسة، تلي هذا الحديث، نثبتها هنا طبقاً لنسخة ج: [وقيل لبعض البغاة: لِمَ تُناك مع شرفك؟ فقال: ذوقوا ثم لوموا. ودخل رجل إلى دهليز فراى مأبوناً يناك فقال له: تناك في بيتي؟ وجعل يكررها، فقال له المأبون: كم تمنّ علي ببيتك، تعال انتاك في بيتي عشرين مرّة حتى تنظر إنْ كنت امنعك. ونظر بعض البغاة الى بعض العجائز ومعها عنقود حصرم تعصره في أعين الناس فقال لها: لأيّ شيء هذا؟ قالت: ينفع للحكّة. قال: بالله عسى انْ تعطيني إيّاه فأعصره في نقبي فانّ فيها حكّة عظيمة].

قلتُ له: (وما كان من حديث هذا الغلام؟) قال: (إني أكره الاطالة أنْ تعقب ملالة)، قلتُ له: (إنّ في اطالة الحديث فائدة، وفي إيجازه التقصير عنها)، قال: (فاسمعْه وإنْ كان طويلاً، حتى أشرح لك ما كان مِن خبره وخبري أنا أيضاً مع خبره، ولا أدعُ فيه معنى إلّا كشفته، ولا مستوراً إلّا أظهرته)، قلتُ له: (يا فيلسوف هذا الشأن، الكامل الغذوان[٧٦]، المخصوص فيه بالبيان).

قال: تعلم يا أخي أنّي وجّهَ إليَّ شفيعُ الخادمَ يوماً، وكان لا يصبر عنّي ساعة، وقد كنتُ انقطعتُ[٧٧] عنه شهوراً لموجدة قد كنتُ واجدتُها عليه، حتى رأيته يوماً في دار السلطان فصالحني واعتذر مما جرى منه وأخذني مع أصحابي ومضيتُ إليه، وكان معي ممّن أخرجته معنا غلام ولد نعمةٍ من آل وهب بن سليمان قد اشتهى التخنيث ومال إليه فشرد بعد وفاة أبيه عن منزله وأهله وأحبَّ أن يكون معنا ويتزيّا بزيّنا، وكان حسن الدلال والغنج والوجه وبجحره، يا سيدي، من الشّبق والغلمة ما ليس في جحر واحد منا. وقد كان شكى إلينا أنه لم يكن له مَن يروّضه في صغره ولا يفتق رتقه ولا يفتح سدّه ولا يوسع ضيقه. وذكر أن أهل بيته وأبويه كانوا يحصرونه ويمنعونه ولا يبذلونه للخروج عن منزله ولا يتركون أحداً يكلّمه ولا يكلّم هو أحداً، فزعاً عليه أن يفسد أو يصير إلى ما صار إليه أخيراً، والطبع يغلب والقضاء لا يغالب.

وقد كان مع تودّق شهوته وحرقة تودّقه، بالحال التي ذكر من ترك الرياضة وفقد السّعة وضيق الفقحة. وكان كثيراً ما يرى نزو شطّارنا علينا ودفعهم فينا وسهولة ذلك علينا فيبكي تحسّراً، ويتنهّد تفجّعاً، ويشهق تودّقاً. فلقد كنا نرقّ له كلّنا ونرحمه ونعده بالعناية بأمره والحرص على تعلّمه وأن نجيئه بمَن يسوّيه ونبذل له في تسويته دراهم ونجتهد في ذلك. فكان يشكرنا على هذه النيّة وما نظهر له من حسن الطوية.

---

(٧٦) الغَذْوان: السّليط الفاحش.

(٧٧) ا: انعطت.

فمرّ لنا عند شفيع يومٌ طيّبٌ باللعب والفرح والسرور والنعوظ الكثير والخلع، وكان يدور علينا في المجلس غلام روميّ فصيح لم أكن قطّ رأيته قبل ذلك عنده وإنّما اشتراه في أيام جفائي له وانقطاعي عنه، كأنه القمر، بحاجبين أزجّين مقرونين، وعينين مفتنتين ساحرتين ولهما أشفار كأجنحة النسور، وفم وأسنان كاللؤلؤ المنظوم، وعذارين في اخضرار السِّلق، وطرّة منسدلة، وأصداغ مسبلة، بقوام وخصر ونعومة أطراف. وعليه قباء[٧٨] أطلس أحمر وعلى رأسه مقلاعيّة وشي مذهبة، وفي أذنه حلقة ذهب بحبّة لؤلؤ في قدر البندقة الصغيرة، وسراويل مسبل على قدميه. وكان اسمه: فاتن، وإذا بيّن معناه كان كإسمه.

فأمّا أنا فأنهضني جماله وفتنني قوامه وتيّمني غنجه ودلاله، وإنْ كان ليس من شيمتي أمثاله ولا من طوري أشباهه، لغلبة شهوة الرجال عليّ دون الغلمان، وكبار الفحول دون الصبيان. ولم تزل عيني تراعي معانيه وفنون حسنه في أقاصيه وأدانيه، وإذا به وبغلامي الصبيّ المخنّث قد أسروا كل واحد منهما بصاحبه وتغامزا وتصافرا وتناغيا وتواعدا. فلمّا انقضى المجلس رمنا الانصراف فلم يؤذن لنا، وأُفردتْ لنا حجرة وفُرشت فدخلناها والصبيّ معنا. فأقبل علينا يسألنا أنْ ننام، ونحن متشاغلون بالحديث ولا نعلم أيش في نفسه من فاتن ولا في نفس فاتن منه. فلمّا هدأت العيون إذا بفاتن قد دخل علينا فراعنا دخوله واستنكرنا مجيئه إلينا في ذلك الوقت، وإذا هو بغير سراويل وعليه قميص شرب، وهو مما ينام فيه، ورائحة العطر تفوح منه. فقام الغلام إليه وعانقه وجلسا فقلتُ لهما: (ما الذي في رأيكما أن تفعلاه؟ وما عساكما ان تأتياه؟) فقالا: (نتنايك، أعزّك الله) وقد علمتُ من نفسي أن الصبي لا يقوى ثم قلتُ بل يقوى لزّب فاتن، إذ كان فاتن صبيـاً وزبّـه صغير على مقدار سنّه وقرب إدراكه، فقلت: (شأنكما وما تحبّان)، ثم أدركني عقلي فقلتُ امتحن ما معه وأجسّه على جنس الولع لا على جنس القصد، فقلتُ: (بشروط)، فقال لي فاتن: (وما

---

(٧٨) القَباء: ثوب يُلبس فوق الثياب. والأطلس: ثوب من حرير منسوج.

الشروط؟) قلتُ: (على ان تنيكه بحضرتي في ضياء الشمع، لأراكما وأفرح بكما، وإلّا لم أدعْكما). فلما لم يجدا بدّاً أجاباني إلى ذلك. فكشف فاتن عن أير طوله ذراع أو قريب منه في تدوير الساق، برأس كأنه صَبُحة[٧٩] التين، أبيض أشقر أملس، بحروف جافية عالية على بدنه، بنعومة ولين وبريق وصفاء وعروق ظاهرة وغضاضة مع شِعرة لينة كما قد زغبتْ وأوّل ما طلعت، وكلّ شيء جليل ما رأيتُ قطّ أيراً مثله على كثرة ممارستي للأيور وما مرّ على يدي وبصري منها، فقلتُ له: (ومن أين لك هذا كلّه؟)، فإني ما رأيتُ مثل هذا على رجل قط، على كثرة مشاهدتي للأيور وطلبي لمختارها وحصولي على جيّدها. وما ظننتُ أنْ يكون مثل هذا على الآدميين. ورأيتُ قد تحركتْ له جوارحي واشتدّت بي الغلمة وابتدرتني الشهوة، وغلامي الصبي أيضاً على مثل حالي، وهيبته لمكاني تمنعه من ان ينطق فأثرتُ به نفسي وأوثبته عليَّ، فلفرط حدّته ناكني وما أنا في عقل، فدفعه فيّ دفعاً لم ألتذّ بشيء قطّ كلذاذته ولا وقع بقلبي موقعه. وذلك أنّه كان يحرقني بسخونة أيره ويؤلمني احتراره، بتأيّدٍ في الرهز وتثبّت في الدفع ومعرفة بموقع اللذة منّي وبما يحصلها، لا تلحقه حشمة الصبي ولا يقطعه سؤال ولا تدركه هيبة الاحتشام. وذلك انه كان يدخله كله ويغيّبه إلى أصله ويخرجه كلّه ويظهره إلى كمرته ثم يردّه على ذلك بتؤدة ووقار بلا عجلة ولا خوف إلى أنْ يغيّبه فيَّ، وغلامي الصبي في ذلك ينظر، كيف يغيّبه فيَّ كلّه ويخرجه منّي كلّه بعينه ويسمع صوتَ نقيقه في بطني، عند وروده وصدوره، بأذنيه وهو يتمرّغ يمنةً ويسرة ويقوم ويقعد غُلمةً وشَبَقاً وحرصاً على ما رآني به وطَلَباً لفعل ما أنا فيه معه.

فلمّا علَم أنّ فاتن قد صبّه فيَّ وقد اغشتني الشهوة وقد أخرجه منّي كأنّه ساجة[٨٠] معترضة أو جذعة منبطحة، غضّاً، بضّاً، قائماً، منتصباً، يبرق كالسيف ويلمع كالشهاب، عريضاً، مدوّراً، صلّ معجن[٨١]، تناوله

(٧٩) الصبحة: لون يضرب الى الشهبة او الى الصهبة.

(٨٠) الساج: شجر من فصيلة رِغي الحَمَام، وخشبه من اجود وأصلب الأخشاب.

(٨١) في اللغة: (العجان: الأست والقضيب الممدود من الخصية الى حلقة الدبر. العجين: المخنّث. =

بيده وانكفأ على أربع لا يثنيه ثان ولا ينهيه ناه ولا يزجره زاجر. فلمّا رأيتهُ وقد غلبت الغلمة عليه هذه الغلبة، وتمكّنتْ منه هذه المكنة، وقويتْ عليه هذه القوّة، وعلمتُ انه لا يملك عقله ولا يضبط نفسه، وفهمتُ حاله البائس في ضعفه عن حمل ما أطقتُ، وتقصيره في إدراك ما بلغتُ من القدرة على إدخال هذا الأير العظيم شأنه، القويّ سلطانه، وانه لا يحمل ما هو دونه بطبقات، فزعت ان يهلك وخشيت ان يتلف، فقلت لفاتن: (إرحمه، الويل له! واحـذرْ ان يدخل عليه منه شيء، واقض وَطَره منكَ ووطركَ منه بين أفخاذه، وإياك ما سوى ذلك وإلاّ قتلته وأخرجتَنا من دار الاستاذ على قتيل، فإنه الشقيّ البائس لا يطيق ولا يحتمل ولا يقدر لأنه لم يتعوّده، ولا عُلّمه، وإنّما فرطُ شهوته وزيادة غلمته قد حملته على ما ترى منه)، فإذا به قد صاح: (إدفعْـه يا سيدي كما دفعتَه في استاذي، وأولجْه فيَّ كما أولجتَـه فيـه وشقّني وخرّقني وفتّقني ومزّقني واهتكْ ستري وادخله فيَّ بأشـدّ قوّتـك ولا ترحمْني، بحق رأس مولاك عليك، واسمِعْني صوته فيَّ وغطيطه في بطني واقتلني به وأنتَ في حِلٍّ من دمي).

وإذا فرطُ الغلمةِ وشدّة التودّق قد أخرجاه إلى ذهاب العقل حتى تكلّمَ بمـا لا يدري عاقبتـه. فلعهدي بفاتن، يا سيدي، ومتاعه بارز كالذراع المدود أو الساق المنصوب وقد بَزَق[82] على رأسه بزقات، بزقة بعد بزقة، حتى ابتلّ خرطومه، وبرقتْ سقاؤه[83]، ورطب قذاله. ثم جعله على باب مدخل الصبي وسدّ به بدور شرجه، ووضعه وضعاً، ثم القمه لقماً، والزقه لزقاً، ثم دفعه قليلاً قليلاً، دفعاً دفعاً حتى غاب فيه بعض رأسه، ثم أخرجه وأعاد البزاق عليه مثل المرّة الأولى، وأنا ألمح باب سرمه، كلّما أخرجه منه إلى ان يردّه فيه، يختلج وينفتح وينغلق على مثل وَداق الرماك[84] سواء. ثم

= المتعجّن: البعير المكتنز سمناً. والصلّ: ملك الحيّات، وهو حيّة صفراء قصيرة).
ولعلّه أراد تشبيهه بصلّ الحيّات السمين. والكلمتان [صلّ معجن] ساقطتان من ب، ج.

(٨٢) بزق: بصقَ.

(٨٣) السِّقاء: وعاء من جلد للماء واللبن ونحوهما.

(٨٤) الرماك: الفَرس أو البرذونة التي تُتّخذ للنسل.

دفعه فيه دفعاً أكثر من ذلك قليلاً حتى قاربت الكمَرة أن تغيب فيه، ثم أخرجه فأعاد البزاق على الراس ولطّخ به بدنه ثم بزق على بدنه وغرّقه بالبزاق وهو يلمع ضياء وبريقاً وحمرة وتوريداً، مستعملاً في كثرة تنديته له بريقه وتمريخه[٨٥] إيّاه ببصاقه، البالي[٨٦] والمصابر وترْك الخُرْق وحسن الدفق، وحذقاً بالمداراة والعلل، بمنزلة الطبيب الحاذق بصناعته، المشفق على مريضه، اللطيف في تدبيره، المحبّ لعليله، المخفّف عنه بشاعة الدواء وأذاء الداء. ثم دفعَ فغابت الكمرة، ثم دفعَ فغابت الرقبة، ثم دفع فدخل المنكب، ثم ابتـدأ يُدخـل البدن، وكلّ ذلك على ترتيب وتقسيم وتدريج. فلعهدي بالصبيّ يصيح صياحاً مؤلماً ويتعرّك تعرّكاً موجعاً، وكان صياحه في ذلك مشبهاً بصهيل الخيل في حمحمتها مع رعدة وصوت. فلما دخل النصف في جوفـه أقبل حينئذٍ الدمُ يسيل مقطعاً للشرجة، وهو مع ذلك يغيب فيه ويوسع لنفسه فضاءً يعمّه وموضعاً يحويه ومقداراً يشتمل على كبره، والدم يزيد سيلاناً ويزداد صبّاً، والعَصَبُ ينضمّ دخولاً حتى غاب كلّه فيه ودخل بأسره في معاه واحتوت بطنه عليه واستملأت أحشاؤه به.

فلمّا رأيته قد أدخله، وسرمه قد ابتلعه، وأصله قد غيّبه، والغَشْي قد ارتكبه، والموت قد أحاط به، ناديته حينئذٍ بإسلاله من غمراته، مسرّاً له بما يسرّه ويبهجه: (اشددْ يا بني قلبك، فقد بلغتَ محبوبك ومحبوبنا فيكَ، وسرورك وسرورنا فيك. فإنك قد أدخلتَه كلّه، واحتويتَ عليه بأسره، وها هوذا في بطنك كلّه، فأبشرْ وطبْ نفساً وقرّ عيناً فقد أُعطيتَ ما تمنّيتَ وما كنّا نتمنّاه لك).

فلمّـا سمع منّي هذا الكلام دارت الروح فيه بعد جمودها، ورجعت نفسه إليه بعد نفورها، ونظر إليَّ نظر إفاقةٍ وقال لي: (يا استاذي، أنا ميّت بلا شك)، فقلتُ له: (يا بُني، الآن عشتَ وطابت حياتك إذا فكرتَ قدرتَك على ما في بطنك).

---

(٨٥) تمريخه: دهنه.

(٨٦) البالي: المهتمّ المكترث.

ثم إن فاتن أخذ في إدخاله كلّه فيه مستوياً واخراجه منه مستوياً ورهزَ بغير عنف ودفعَ بغير ضرر، والغلام إذ ذاك قد عقل حاله وعلم ما يعطعطُ في بطنه ويلعب في جوفه، فقوي قلبه قليلاً فرحاً بقدرته عليه. لكنّ أنينه وصهيله بحاله والدم يفور منه فوراناً دائماً لا يرقأ ولا يكفّ بل يهرق على ساقيه ويبلي ثيابه، وهو لا يعلم به وانا فلا أُعلمه بذلك لئلّا تنفر نفسه ويسوء ظنّه. فلم يزل ذلك دأبه حتى صبّه فيه، فلمّا أحسّ بصبّه واندفاقه في بطنـه، تنهّد وتنفّس الصعداء، فسلّه عنه وأخرجه منه فما لحق أن يخـرجه حتى انصبّ الخراءُ أيضاً مع الدم انصباباً لا مانع يمنعه ولا ضابط يضبطه، والدم على أثره يجري جرياً ويسيل سيلاً. ومضى فاتن إلى المستراح يتغسّل مما تمّ عليه من النوائب وجرى على أيره من المصائب، وحملنا الغلامَ على أثره إلى المستراح فغسلناه بماء حار كان هناك في غلّاية وكمّدنا سرمه بالزيت الحارّ وحشوناه بالصوف وسددناه وكبسناه وسألنا فاتن أن يقوّي قلبه ويسكّنه من حرقة ألمه بجلوسه عنده ساعة ووقوفه معه لحظة، فقال: (قد أبطأتُ عن مولاي وإنما انسللتُ من فراشه انسلالاً وتركته نائماً، وأخشى أن ينتبه فلا يجدني فينالني منه مكروه)، فدخلنا عليـه وســألناه حتى فعل وقلنا: (يا سيّد النائكين وفاضل المستفحلين ورئيس المـربّين، هذا ولدُك الذي فتحته، وسدُّك الذي هدمته)، فجلس لحظة فقال له الغلام بصوت خافت ونَفَس خفيّ: (مَنْ يرَ وجهك لا يموت، ولو لزق بكَ ميّت لعاش. يا سيدَ الأنس ومنية النفس، أسألكَ ان تقدّم إليَّ قاتـلي لأفـرح بحصـوله لي وتمكّنني من النظر إليه ليبتهج قلبي وتسرّ جوانحي بما استودعتْه منه).

فكشف فاتن عن شيء يملؤ العين ويُفرح القلب فأخرجتُ غاليةً[٨٧] كانت معي فضمّختُه، ومسْكاً كان في جيبي فلطّخته، وقدّمه إلى الغلام فتلقّاه بيديه كلتيهما وقال: (أمّا إذ قويتُ على ما أرى من عِظَمه واقتدرتُ على المسّ من كبره فإني أنا الفائز بكل خير، والحاصل له كل نعمة، والمدرك كلّ

---

(٨٧) الغالية: أخلاط من الطيْب.

أمنية. فالآن لا أبالي عشتُ أو متُّ وقد أدركتُ مثل هذه اللذة، وكملت فيَّ هذه الغبطة، وتمّت عليَّ هذه النعمة، فقرِّبْه مني)، فقدمه فاتن إليه فباسه ولثمه وترشفه والتزمه وتركه على عينيه وبكى على فراقه، فقال له فاتن: (هو لكَ متى شئتَ، وموقوف عليك. فإذا وهبَ اللهُ لكَ العافية فجئني فإني أبلغكَ منه محبوبك وأعطيك مرغوبك فقد سهلت لك الطريق لسلوك هذا وغيره فيك)، فقال له الغلام: (نعمْ، فجزيتَ عن إحسانك إليَّ خيراً، وبلغتَ الرتبة المناسبة لقدرك، وأُعنت على بلوغ شكرك).

فقام فاتن ودخل إلى مولاه، فأما أصحاباتي الذين كانوا عندنا هناك وسائر مَنْ كنتُ أخذته معي، فعندما رأوا هذه الأشياء تودّقوا تودّقاً لم يمكنهم الصبر معه حتى مضوا إلى فرّاشي الدار وفحولها، فهدئوا من ولعهم وسكنوا من حرقهم. فلم يزل الغلام طول ليلته في ألم وحرقة وضَرَبان وغشْيٍ حتى أصبحنا فحملته إلى منزلي وداويته بما يُداوى به أمثاله، وألبسته المصبّغات وأقعدته على المنصّة بالمعصفرات وعملتُ له الصنيع لحداثته وكمال إدخاله، وجمعتُ له من المخنّثين من أصحابنا وأقام الصنيع والدعوى حتى برأ، فحذقَ الادخال بعد ذلك وصار فيه أوحداً، حتى لو ورد على سرمه أيور الخلائق كلّهم لم يُبال.

وإنّما حدّثتك، يا سيّدي، بحديث هذا الغلام على الاستقصاء، لتعلم أن الغُلمة والوداق والشهوة أجلّ من كل دهنٍ يُستعمل، وكلّ لزوجةٍ تُحمل، والتمكّن من الادخال أسهل على كل مدخل). فقلتُ له: (علمتَ الخير، ودفع عنك الضير، فقد شرحتَ لي ما كان عليَّ مخفيّاً، وأوضحتَ لي ما كان عن فهمي مستوراً قصيّاً، وعلّمتَني ما كنتُ فيه غبيّاً، وبجوابه إنْ سُئلتُ عييّاً)، ومضى.

وقد كتبتُ عنه ذلك بنفس ألفاظه وفاحش كلامه وفضائح عبارته، إذ كانت أبسط للنفس وأجلب للأنس.

* * *

النوع السادس
في نوادر المخنّثين ومُلَحهم

غمزَ عبادةُ المخنّثُ رجلاً في درب ووقف له على باب دار وجعل الرجل يفعل به، فأشرفتْ عليهم امرأة من طاق فصاحت: (اللصوص)، فرفع إليها عبادة رأسه وقال: (انظري يا فاجرة، النقب في حائطكِ أو في حائطي؟)

* * *

وسأل مخنّث رجلاً، فوجده صغير الأير فقال له: (ما أصغر زبّك)، فقال الرجل: (لم يتهيأ لي بسبيل أن أجعل نفسي حماراً)، فقال المخنّث: (فحين لم تجعل نفسك حماراً، كنتَ جعلتها جحشاً).

* * *

قالت امرأة لمخنّث: (قبّحكم الله، لأنكم معدن كل بلاء)، فقال لها: (اسكتي يا رعناء، فما أعرف لكُنّ فضيلة إلّا انّكن تلدن الرجال الكبار الأيور).

* * *

وكان مخنّث له أير كبير عظيم، فقال: (ما أحوجني إلى من ينيكني بأيري هذا).

* * *

وعُوتِبَ مخنّث على نتف لحيته، فقال: (شيء لا ترضاه أنتَ لأسْتكَ حتى تحلقه بالموسى أو بالنورة، فكيف اتركه انا على وجهي؟)

* * *

وقيل لمخنّث: (ما أقبح إسْتك)، فقال: (تراها لا تصلح إلّا للخراء).

* * *

وضربَ عاملُ المدينة مخنّثاً عشر درر[88] فضرط إحدى عشر ضرطة، فقال

---

(٨٨) درر: جمع دِرّة، وهو السوط الذي يُضرب به.

له: (ويحكَ، ضربتُك عشرة وتضرط أحد عشر؟) فقال: (أصلح الله الأمير، كان المبتدأ منّي)، فضحك وخلّى سبيله.

* * *

وحجّ عبادةُ المخنّث مع رفيق له، فطبخا في بعض الطريق أرزاً، فلما غرفاه خطّ رفيقه في وسط القصعة خطّاً وقسمه نصفين ثم أخرج سكّراً فجعله على النصف الذي له، فقال له عبادة: (ما هذا؟) قال: (إني أريد أكْل نصيبي بسكّر)، فقام عبادة وحلّ سراويله فقال له رفيقه: (ما تصنع؟) قال: (أريد أبول على نصيبي) قال: (اللّه، الله. تفسد نصيبي ونصيبك؟) قال: (لا بدّ). فما زال حتى رضي رفيقه بأن يخلط الأرز كله بالسكّر ويأكلان جميعاً.

* * *

وقال إنسان لدُبيس المخنّث: (لأن قمتُ إليكَ لأدخلنّكَ من حيث خرجتَ)، فنظر في نفسه، وكان عظيم الجثّة، ثم قال: (يا أخي، إن فعلتَ انّكَ لرفيق).

* * *

وكان مخنّث في قافلة وسلكوا طريقاً مخوّفاً، فقال لنفر من رفاقه: (أعطوني نفقاتكم حتى أخبّئها لكم)، فأخذها وخبأها في جحره. وسمع بعض أهل القافلة قوله لرفاقه فأتاه برزمة ثياب وقال: (تفضّل واخبىء لي هذه الرزمة أيضاً) ولم يكن الرجل يعرف في أين يخبّىء ذلك، فقال له المخنّث: (يا أخي، هذه جحر فلان المخنّث، ما هي دكّان فلان البزّاز).

* * *

ودخل مخنّث حمّاماً فرأى فيه رجلاً كبير الأير، طويل الشعر، وقد غطّت شعرته نصفَ زبّه، فجعل المخنّث يبكي ويقول: (أنا الخليفةُ، نائم في قطيفةْ)[٨٩].

* * *

(٨٩) القطيفة: دثار مخمل يلقيه الرجل على نفسه. وفي ب، ج: [أرى الخليفة نائم في قطيفة].

وقال مخنّث لآخر: (أنا في الليلة التي أتنوّر فيها، لو وصل الزبّ خمسمائة دينار لم أتركْ ذلك لو اشتريته).

* * *

ورفق جماعةُ من العيّارين غلاماً واجتمعوا عليه، على سور المدينة بسجستان، وفسقوا به واتصل الخبر بأمّ الغلام فخرجتْ تصيح وتصرخ ولقيها مخنّث فقال لها: (ما لكِ؟)، فقالت: (أخذوا إبني وربقوه[٩٠]، إثنان وعشرون رجلاً)، فقال المخنث: (بَخٍ بَخٍ، وأين هذا الموضع الذي تغير فيه الأزْباب حتى أمضي إليه؟)

* * *

وكان بهوازن مخنّث له رفيق ليس بمخنّث، يأويان جميعاً غرفة، فنزلا ليلة يبولان فرمى المخنّث ما أراد دفعة واحدة، لسعة المجرى، ورجع إلى الغرفة. وبقي صاحبه يتزحّر[٩١] حتى أتوا عليه رجال الطّوف[٩٢] فأخذوه إلى الحبس وضربوه خمسين مقرعة، ظنّاً به انه من جُملة اللصوص. فلما أصبحوا صار المخنّث إلى الحبس لصاحبه وقال له: (أنت تعيّرني بالجحْر الواسع، ولو كان ضيّقاً مثل جحركَ كنتُ الساعةَ محبوساً معك).

* * *

وقال محمد بن الصباح لهيلانة المخنّث بسجستان: (إنّي لأجد مغصاً في خاصرتي)، قال له: (كُلْ زبّاً واحداً)، قال: (كيف آكله؟) قال: (سبحان الله، ما أعجب أمرك. لا تدري كيف يُلتقم الزبّ، ترى يُقلى أو يُشوى أو يُدقّ أو يُسحق؟)

* * *

(٩٠) ربقوه: اوقعوه، شدّوه. وفي ب، ج: وناكوه.

(٩١) الزحير (الزحار): طبيّاً هو حركة من المعي المستقيم تدعو الى دفع البراز اضطراراً فيقوم صاحبه ولا يخرج منه إلّا شيء يسير، والتزحّر: هو اجهاد النفس بهذا الفعل. وفي ب، ج: قاعداً.

(٩٢) رجال الطوف: العسس، الذين يطوفون بالليل للحراسة.

وشكى مخنّث لمخنّث أنه استدخل أيراً عظيماً جداً فأوجعه، فقال له صاحبه: (حبّذا الموت من هذه التخمة).

* * *

وكان بسجستان شيخ يعرف بأبي عنان بن اليَسَع، فانصرف ليلة إلى منزله فمشى وكان في دار في زقاق لا ينفذ، وإذا بواحد قد إتّكأ على مخنّث عند باب داره، فلما أحسّا بأبي عنان انقبض الرجل الذي على ظهر المخنّث وأراد أن ينسلّ ويهرب، فقام المخنّث وصاح: (أيش الخبر؟) في بلدكم لا يُناك الناس؟ قامت القيامة بسبب هذا الزّب الواحد، سقطت المنائر من فوق إلى أسفل. أيش أنكرتَ على النيك؟ أي عجب رأيتَ؟) فقال أبو عنان: (يا هذا، ما اعترضتُ عليكَ في شأنك، وإنما جئتُ أدخل إلى منزلي وقد أمسيت، وباركَ الله في نيكِكَ وفيمن ينيككَ)، ثم تركه ومضى.

* * *

وكان مخنّث لا يطلب أن ينيكه إلاّ مخنّث، فقيل له في ذلك وسُئل عن العلّة، قال: (إن المخنّث يعرف الجهة التي منها يُؤتى، فيقصد تلك الجهة. وغير المخنّث لا يعرف إلاّ الادخال، فلا يطيب).

* * *

وجلس مخنّث إلى جانب ماجنٍ، فقال له الماجن: (لا تجلس إلى جنبي لأن لي عيباً وبي علّة ربما تتعدّى إليك)، قال: (وما هي؟) قال: (زبّي كبير ولا ينام)، قال المخنّث: (فإنك من أوّلِكَ إلى آخرك منفعة وفضيلة وأنتَ لا تشعر).

* * *

ودخل مخنّث الحمّام فرأى فيه رجلاً منعظاً فقال: (فديتُك، ما بال هذا قائم على ساق؟)، قال: (ذكرَ صديقاً له بالعراق)، قال المخنّث: (فتأذن لي أن أدنو لأقبّله؟ فقد عُدمَ الوفاء إلاّ منه).

* * *

وكان بالمدينة مخنّث يضع الشيء بين فخذيه ويضمّهما عليه فلا يقدر أحد على استخراجه وما زال بذلك حتى جاءه رجل وراهنه على ذلك، فلما ضمّ فخذيه على ما ضمّ أقام الرجل أيره، وكان أيراً كبيراً، وهوى به إليه، فلما رآه المخنّث استرخى وسقط[٩٣] ما كان بين فخذيه، فقيل له في ذلك فقال: (يا مجانين، أرأيتم القفل الوثيق لو ضُرب بألف مطرقة، أكان يفتح؟) قالوا: (لا)، قال[٩٤]: (أفإذا جاء المفتاح، أليس ينفتح؟) قالوا: (نعم)، قال: (فإني لما رأيت المفتاح لم أملك نفسي).

* * *

وتعشّق رجل غلاماً مخنّثاً فدعى عشرة من رفاقه يوماً وأسكرهم ثم سألهم القيام إليه فامتنعوا لعلمهم أنه يهواه، وتقديرهم أن السّكر يحمله على ذلك، وعساه يندم إذا صحا. وإذا الغلام قد تناوم بغير نوم ينتظر أن يقوموا إليه ويودّ ذلك، فلما أبوا ويئس من ذلك استوى جالساً وقال: (لو قُضيَ شيء لكان)، فضحكوا منه ثم صالحوا بينه وبين عشيقه.

حكى السجستانيّ قال:

كنتُ سكنتُ بجوار تركيّ عجميّ جداً، فقال لي يوماً: (أحتاجُ أن تولف لي قحبة)، فقلتُ: (لا أعرف من أسباب القحاب شيئاً ولا أعرفهن ولا عاملتهنّ)، فألحّ عليَّ فخرجتُ متحيراً لا أدري كيف أصنع وإذا بمخنّث معرفة لي فقلتُ له: (ويحك، إن من حالي وقصتي كَيْتَ وكيتَ)، فقال المخنث: (إحملْني إليه، فإني أعطيه عشرين لوناً، كل لون أطيب من الآخر).

فحملته إليه، وكان التركي شبقاً بمرة[٩٥] فأدخله البيت واستلقى على قفاه وهو متزيّء بزيّ النساء، وأعطى إسْته. فلما طاب التركيّ تحرّك زبّ

---

(٩٣) ا: وسقط وسقط.
(٩٤) ا: قالوا.
(٩٥) هكذا في ا، ولا وجود لها في ب، ج.

المخنّث للين بطن التركيّ، فقال له التركيّ: (ما هذا؟) قال: (كسّ زنكي[٩٦] بمقبض، لم ترَ عمركَ مثله)، فحسب أنه كما يقول وجاز عليه، وتخلّصتُ أنا من التركيّ).

* * *

وكان أبو الحسن عند قوم يشربون فأقام عندهم سبعة أيام يقصفون ويشربون ثم انصرف فلقيه صديق له فقال له: (كيف حالكَ يا أبا الحسن؟ وكيف رضاكَ عن أصحابك؟) فقال: (شرّ أصحاب في الدنيا، أنا معهم منذ سبعة أيام وما وخزني أحد منهم وخزة، فأي خير عند هؤلاء؟)

* * *

ودخل على أبي الحسن لصّ فكوّر جميع ما في الدار، وأبو الحسن ينظر إليـه ولا يجسر يكلّمـه، فلما أراد اللص أن يخرج قال له: (فديتُك، ما اسمك؟) قال: (نافع)، قال أبو الحسن: (لنفسِك، والله، لا ليَ).

* * *

وجاء بعض المخنّثين إلى نخّاس فقال له: (ابتعْ لي غلاماً حسن الوجه، كبير الأير).

فقال النخّاس: (من أين أعرف كبر أيره؟)

قال: (من كبرْ أنفه).

قال: (فإن كان متلثّماً؟)

قال: (مِنْ غلْظ كعبه).

قال: (فإن كان في رجله خُفّ؟)

قال: (فهذا لم يخرج ليُعرض، إنما خرج على الطلائع)[٩٧].

* * *

وتـزوج مغنّ بنـائحـة فقال بعضُ مَنْ حضر: (أوسعَ الله عليكما)،

---

(٩٦) ربما كان يعني (زنكين) وهي عاميّة تركية معناها: الغنيّ جدّاً، والزانكيّ: الشاطر.

(٩٧) الطلائع: مقدمة الجيش التي تُبعث لتطّلع على أحوال العدو.

فسمعه مخنّث فقال: (قد فعل، إنما الدنيا فرح وغمّ، وقد أخذا الحبلَ بطرفيه. فإن كان فرح دُعي هو، وان كان غمّ دُعيتْ هي، فأي شيء بقي من التوسعة؟)

* * *

وأُتي إبن أبي عاداد، والي خراسـان، بمخنّث قالوا إنه يقود ويفجر بالنسـاء ويأوي اللصوص، ورموه بكل فاحشة، فقال القاضي: (يُقتل)، وقال صاحب الشرطة: (تُقطع يداه ورجلاه)، وقال الأمير: (أنا لي سبعمائة سائس وشاكريّ[٩٨]، أحملهم عليه كلّهم)، فأعجبَ المخنّثَ ذلك وقال: (لم يزل الأمير يعدل ويعرف وجوه الأحكام في هذا وغيره)، فضحك الأمير وأمر بتخليته.

* * *

ونظر مخنّث إلى رجل كثير شعر الوجه فقال له: (خندقْ على وجهِكَ قبل ان يجري الماء في العود، فيصير وجهُك كلّه رأساً).

* * *

ونظر رجل إلى مخنّث ينتف لحيته فقال: (لِمَ تنتفها؟) فقال: (لأن دواب البريد[٩٩] لا تُعرف إلّا بأذنابها).

* * *

وخرج جماعة من المخنّثين من عرس ومعهم قفّة كبيرة ملآنة ما بين دجاج وأرزّ وحلواء وغير ذلك، فاستقبلهم الطائف[١٠٠] فقال للرجال: (كلوا الذي معهم واحبسوهم، حتى إذا كان غداً ضحكنا منهم)، فطرحوهم في الحبس وهم سكارى حتى إذا كان وقت السحر أفاقوا من سكرهم فقعد

---

(٩٨) الشاكريّ: الأجير والمستخدَم.

(٩٩) البريد كلمة فارسية أصلها «بريده دم» اي محذوف الذَنَب، لان بغال البريد كانت محذوفة الاذناب علامةً لها، ومن هنا التشبيه (م).

(١٠٠) الطائف: العَسَس.

واحد منهم فأبصر حوله جماعةً مقيّدين فغطّى وجهه وقال: (لا إله إلاّ الله)، ونادى: (يا صحبونة يا مجنونة، قومي فقد دهينا)، فانتبه الآخر وهو يقول: (إن كنّا قد أصبحنا فقومي حتى ندخل الحمّام)، وقال أحدهم: (ويلكِ، قد متْنا وأُدخلنا جهنم. إن لم تصدّقيني فقومي ابصري الكفّار حولنا مقيّدين)، وقال آخر: (إن كنا في جهنم فما لنا لا نحسّ بحرارة النار؟) قال آخر: (يا مسكينة، جُعلتْ علينا برداً وسلاماً لضعفنا وقلّة احتمالنا له).

فسمعت الجنادرة[101] كلام المخنّثين فخرجوا وقالوا لصاحبهم: (أعزّ الله القائد، إن المخنّثين قد طارت عقولهم وهم يقولون كذا وكذا)، قال: (اخرجوهم إليّ)، فدخلوا إليهم الرَجّالة بسيوف مجرّدة فحملوهم حملاً عنيفاً وأوقفوهم بين يدي القائد فالتفتوا يمنةً ويسرةً فرأوا الجنادرة والرجّالة بأيديهم السيوف والأعمدة، فقال أحدهم للآخر: (ألمْ أقل لكَ إن القيامة قد قامت، وهؤلاء الزّبانية؟) فأُقيم أحدهم وصُفع بالدرّة صفعة فصاح الآخر: (آه)، فقال القائد: (صُفع هذا، فأنتَ لِمَ تصيح؟) قال: (أليس كذا تريد تفعل بي؟) فصفعه أخرى فقال: (وَيلي من احتراق فؤادي)، فقال الآخر: (كيف تحسّين بها يا أختي؟) فقال: (ما أشكّ أنها تقع على قفاي ميّت عِرْقة، أحمدك يا رب وأشكرك)، فقال الآخر: (ويلكَ، الساعة يزيدنا، أليس قال: (لئن شكرتم لأزيدنّكم)[102]؟ فضحك القائد وقال: (نحّوا هذا وقدّموا الآخر)، فأول ما صفعوه قال: (يا أمير، بحياة أمّكَ)، فصفعوه أخرى فقال: (بحياة عينها)، فصُفع أخرى فقال: (بحياة ثديها)، فصُفع أخرى فقال: (بحياة سرّتها)، فقال القائد: (خلّوه إلى لعنة اللهِ[103] لئلاّ ينزل شبراً فيقول: بحياة كسّها).

* * *

---

(١٠١) الجنادرة: حرس الأمير.
(١٠٢) القرآن الكريم، سورة إبراهيم، آية ٧.
(١٠٣) ا، ب، ج: لا ينزل.

وسمع مخنّث رجلاً يضرب زوجته وهي تصيح وتقول له: (اذكرْ صُحبة أربعين سنة)، فقال المخنّث: (يا هذه، لو أنّ حِرَك هاون يُدقّ فيه أربعين سنة كان قد سقط قعره، وما أحسب لكِ ذنْب غير طول عمرِك).

ونظرت امرأة إلى مخنّث شيخ ملتفّ في قطيفة فهزأت به فقال المخنّث: (يا بطراء، لو كان لي مثل الكانون[١٠٤] الذي بين فخذيك[١٠٥] لجلستُ في غلالة شُرب).

* * *

وكان مخنّث عند قوم على سطح فقام لحاجة، فرُفع من السطح إلْى رَوشن[١٠٦]، ومن الروشن إلى غرفة، ومن الغرفة إلى الدار، ومن الدار إلى سرداب، ومن السرداب إلى بئر، فصاح: (يا أهل الدار، يا أولاد الزنا، ليس لداركم أرض؟)

* * *

ذكر ألقاب اصطلح عليها المخنّثون

النهد: عندهم هو الذكَر.

والزِّق: هو الرجل الفحل الذي يصحب أحدهم ليسقيه[١٠٧]، وهو الشاطر أيضاً. يقولون «فلان زقُّ فلان» في اصطلاح مخنّثي المغرب[١٠٨]. و «شاطره» في اصطلاح مخنّثي المشرق.

والنّوم: نتفُ شَعر الوجه.

والسَّلْخ: حلق شعر الفخذين والساقين بالموسى أو بالنورة، ويسمون الموسى: الرصيف. والقنفوة: نتف باطن شعر الأست بالملقاط، وهذه اللفظة جاءت في شعر ابن الحجّاج:

---

(١٠٤) الكانون: الموقد.

(١٠٥) هكذا في ج. وفي أ: فخذيك في غلاء شرب.

(١٠٦) الروشن: الكوّة.

(١٠٧) ب، ج: ليشفيه.

(١٠٨) أ: العرب. ب، ج: المغرب.

لمثلِ هذا فانتفي او احلقي بالقنفوهْ

وقد تقنفو، أيضاً، العلوق. وصفة القنفوة أن تُصنع أُكرة[١٠٩] من شمع محكمة الاستدارة، حسب ما يدخل في الأست على قدر ضيقته أو سعته، وتكون قد جُمعت على خيط قويّ، ثم يبرك المخنّث أو العلق على أربعة، ويأتي رفيق المخنّث أو قوّاد العلق فيولج الأكرة في إسْته حتى تغيب. ثم يجذبها قليلاً قليلاً فإنها إذا همّت بالخروج قلبتْ حواشي الأست الباطنة وأبرزتها إلى خارج، فينتف ما هنالك بالملقاط.

فلا يزال يجذبها وينتف ما يبرز منها إلى أن لا يبقى في داخل الاسْت شيء من الشعر، فعند ذلك يخرجها.

فهذه صفة القنفوة، وأكثر ما يستعملها مخنّثو العرب.

* * *

النوع السابع
في مُلَح ما جاء في المخنّثين من الأشعار والاحتجاج بها، لهم وعليهم

حدّث بعضهم قال:

كان بعض أصحاب هذه العلّة يطلب كبار الأيور، فخرج ذات يوم سحراً يطلب شرطَه فرأى غلاماً كبير الأنف يدلّ على كبر الأير، فأعجبه ولم يزل به حتى أطاعه فأعطاه دراهم وأتى به إلى منزله. فلما أراد ان يفعل به كشف الغلامُ عن أير صغير مثل الأرز، فداخل الرجل ندامة شديدة وأنشد:

لمّا رأيتُك تمشي تختالُ في خير وقت
عليك انفٌ كبيرٌ كانهُ ساق تخْتِ[١١٠]
فقلتُ اقبلَ بخْتي إذ كنتَ غايةَ نفْتي
حتى ظهرتَ بايرٍ ممقّتٍ كلُّ مقْتِ

---

(١٠٩) الاكرة: الكُرة.

(١١٠) ا: تختي.

فليتَ أيركَ انفٌ وليتَ انفكَ في استي

* * *

ولغيره:

ابصرتُ بعد انصرافي عن سفرتي وطوافي
مهفهفاً بدويّاً من الظباء الظراف[١١١]
كأنّما بين رجـ ـليه حربةٌ في غلافِ
فقلتُ لما علاني في بعض تلك الفيافي
يا أعظم الناس ايراً كافاكَ عنّي المكافي

* * *

حدّث ابن طاهر قال: دخل أبو نؤاس ديوان الجند بالرصافة، مجلس سَلَمة[١١٢] بن عمرو الكاتب الأنباري، وإذا غلامه زيدان جالس عنده، وكان يهيم به، فكتب أبو نؤاس رقعةً فيها:

سلَمْهُ يا ربُّ ممّا يخافُ يومَ القيامهْ
واللّهِ ما بيْ ندامهْ ولا اخافُ الملامهْ
بغى عليَّ ولكنْ ادعو له بالسّلامهْ

ورماها إليه وإلى غلامه وقال: (اقرأوها معاً)، ففهم سلَمة ما أراد في شعره لأنه أخذ من أول كلّ بيت كلمةً وكان «سلَمة، والله، بَغى» فشتم أبا نؤاس، فخرج من عنده وهو يقول[١١٣]:

إن باركَ اللّهُ في العبادِ فلا باركَ ربُّ العبادِ في سلَمَهْ
ينكّب المُردَ حين يبصرهمْ على حصانٍ كأنّه حُمَمَهْ
فاين خلّفتَ، عند طبعهمُ في دبرِكَ، الكِبرياءَ والعظمَهْ؟

* * *

(١١١) ا: الطراني.

(١١٢) ا: ابي سلمة.

(١١٣) في «الفكاهة والائتناس» ترد الأبيات هكذا:

إن بارك اللّهُ في الانام فلا بارك ربُّ العباد في سَلَمة
يتعب ضوء النهار من الغيـ ـبة، والدير فاسق العتمةْ
فالناس من كويته تعب فمُ بذيء وفقحة غلمَة
ينكّب المرء حين يبصرهمْ على خضاب كأنه عتمة
فاين خلّفتَ عند طعنهمُ في دبرك، الكبر والعظمة

ومن الكناية عن هذا الداء: «فلان تحباه العصا» و «فلان عصا موسى تلقف ما يأفكون»[114]. قال أبو منصور الثعالبي:

أنشدني الاستاذ أبو منصور الطبري، لنفسه، في رعود اللحّام:

رايتُ للّحّام في نفسهِ ... لا الشعر تطبيقاً وتجنيسا
نخوة فرعون ولكنّه ... جانسَ في حُبِّ العصا موسى
وعين إبليسَ ولكنّه ... خالفَ في السجدةِ إبليسا

* * *

ويقولون: «هو أسجد من هُدهُد».

أنشد بعضهم:

ارسلتُ في وصفِ صديقٍ لنا ... ما حقّه يُكتب بالعسجدِ
في الحُسنِ طاووس ولكنّه ... اسجَدُ في الخلوةِ من هُدهُدِ

* * *

ويقولون: «أكلأ[115] من غراب»، لأنه يواري سوأة أخيه.

أنشد أبو منصور الفقيه[116]:

إنّ في امر احمد بن الطحاويّ ... وفي امر عرسه لعجابا
طلقتْ نفسَها عشيّةَ زُفّتْ ... وابـاحتْهُ مهرَهَا والكتابا
قيل: ما بالـه؟ فقالت[117]: غرابٌ ... هل شرطتمْ عليَّ زوجاً غرابا؟

* * *

آخر:

إنّ في الديوان شيخاً ... يشتهي في البطنِ داخلْ

= واللّهِ لو نيكَ في استهِ اسدٌ ... ما جرّ صيداً إلى اجمة
(المصدر السابق ذكره، ص ١٦)

(١١٤) إشارةً إلى سورة الشعراء ـ آية ٤٥: (فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون).

(١١٥) كلأ: حرس وحفظ.

(١١٦) ابو: ناقصة من أ. وهي في ب، ج.

(١١٧) أ: فقال.

يـا سليمان بـن وهـبٍ، فـي حـرّهِ الـمتقابـلْ

* * *

غيـره:

رفعتُ الـى قاسمٍ قصّتـي فاطرقَ ينظرُ فـي قصّتـي
فقلتُ له: باركَ اللّهُ فيكَ واعظـمَ اجرَكَ فـي فيشتي
فقال: وماتتْ، واذرى الدموعَ ووقّع تُدفنُ فـي فَقْحَتـي

* * *

ابـن الروميّ:

قـد حضرَ الجامعَ معْ رقّةٍ يعرفهـا العالمُ فـي دينه
واللّـه ما يحضره دائمـاً إلّا ارتياحـاً لاساطينـهِ[118]

* * *

غيـره:

واللّه ما اتّخذَ الكتابةَ صنعةً إلّا لحـبِّ الدرَجِ والاقـلامِ

* * *

دعبـل:

يا مَـنْ يقلّب طوماراً[119] وينشره مـاذا بقلبكَ من حبّ الطواميرِ؟
فيها مشابه من شيءٍ كلفتَ بهِ طولاً بطولٍ، وتدويراً بتدويـرِ

* * *

الطبـري:

فلِمْ تضحي علـى الأسلام سيفاً وانتَ كمـا علمتَ من العمودِ؟
وتزهدُ فـي الصلاةِ وتزدريهـا ولكنْ ليس تزهدُ فـي السجـودِ

* * *

---

(١١٨) الأساطين: جمع أُسطوانة.

(١١٩) الطومار: الصحيفة.

ولـه:

ابصرتُ ايراً مـا لَهُ خصيةٌ　　يسـال عـن دار ابي القيـضِ
فقلتُ: لِمْ تطلبُه؟ قـال لي:　　نسيـتُ فـي فَقْحتهِ بيضـي

* * *

أبـو العينـاء:

إشتكى دقّةَ الأيـور إلينـا　　فاجبناه، والجـواب عتيـدُ
لـم تدقّ الأيورُ يـا إبنَ لولو　　إنّمـا إسْتكَ اتّساعاً يزيـدُ

* * *

آخـر:

اللّهُ قـد يقبح شيخاً لـه[120]　　من اهلِ بيتِ الحسنِ الحاجب
فقلتُ: مـا هذا؟ امـا تستحي　　تاخـذ مـولاكَ علـىَ جانـب؟
فقـال: هـذا رجـل فـاسق　　سـبّ علي بـن اب ي طـالبَ

* * *

ولـه:

إنّ ابـا احمد مـن تيهـهِ　　يهتزّ فـي المشية كالخُـوطِ[121]
امـا ترى رستـمَ من فوقـهِ　　يولـجُ فيـه مثل شبّـوط؟
افديكَ يا رستمُ مِـن شادنٍ　　يصلـح للمابـون واللوطي[122]

* * *

آخـر:

إنّ ابـا احمد مـن تيههِ　　يبـذل للنائـك إدراكَـهْ
تراه مـن تيهِ ومن نخوةٍ　　كانّهُ قـد نـاكَ مَـنْ ناكَهْ

* * *

---

(١٢٠) هكذا في ب، ج. وفي ا: والله يعقح شيخا له.

(١٢١) الخوط: الغصن الناعم.

(١٢٢) ا: اللوط.

آخـر:

ما شئت مـن نيلٍ ومـن [...][١٢٣] لكنّـه يلحظُ ايـرَ الحمـاز
يقـول إذْ ابصَره قائمـاً يـا ليتَ ذا يُوهب او يُستعاز
او ليتني، إذْ لم أنلْ ذا وذا، يُكتبُ انْ امسحَ عنهُ الغباز

* * *

البحتـري:

ولـو اعطاك ربُّك مـا تمنّى عليه، لزدتَ فـي غلظ الأيورِ

* * *

ابـن الرومـي:

إبنُ سريجٍ قـال لي مـرّةً وقـد راى رمحيَ فـي ترسِهِ:
ايـرُك هـذاً ناحلٌ جسمـهُ كانّه الميّـت في رمسِـهِ
فغـاظنـي ذاكَ واخرجتـهُ منـه، وطعم النّيكِ فـي ضرسِهِ
فقال مـن همٍّ ومـن حسرةٍ وقـد راى الماتمَ فـي عرسِهِ:
ما يبلغ الأعداءُ مـن جاهلٍ مـا يبلغ الجاهلُ من نفسهِ

* * *

ولـه:

يقـال الأديب ابـو حامدٍ يلـوطُ جهاراً ولكنّـه
يحبّ الغـلام إذا مـا التحى وذاك دلـيـل علـى انّـه

* * *

مصنّف الكتاب:

رايتَ النـاسَ قد هاموا بمُردٍ وهمتَ بملتحيـن ذوي جفـاءِ
اظنّـكَ، بـل اراكَ بغير ظنٍّ تغالـط باللّواطِ عـن البغـاءِ

* * *

(١٢٣) الكلمة غير واضحة في ا، ولا وجود للمقطع كلّه في ب، ج.

ولـه:

يدري من النحو باباً لا يجاوزهُ الجمع ما بين منصوب وممدودِ
ومن مسائلِ علمِ الفقهِ مسالةً وهْيَ جواز الاستجمار[124] بالعودِ

* * *

محمد بن شعيب في أقرع مأبون[125] يزني به غلامه، وهو عبد يسمّى: سعيد:

زرت عبدالحميد، زورةَ مشتاقٍ إليه، فصدَّ عنّي صدودا
وكـانّي اتيتُـهُ انزع العمّةَ عـَن راسِهِ، وأُخصي سعيدا

* * *

جعيفـران:

غلمان عيسى إنْ كنتَ تسالني عنهُ وعنهمْ تحظى بمـا تردِ
عفّـوا بمولاهـمْ وعـفّ بهمْ فمـا بهمْ حاجـةُ إلـى احـدِ

* * *

ومن أشعارهم التي يحتجّون بها لأنفسهم

ما العيش إلّا انْ ابيتُ منعّماً ما بين جاريةٍ وظهر غلامِ
فانيكُهـا وانيكُـه وينيـكُني التذُّ مِنْ خلفي ومِـنْ قدّامي

(ومنهـا):

فديتكم كفّوا عن السبّ والثلبِ ولا تعتبوني، لستُ اصغي إلى العتْبِ
إذا كانت اللّذات للقلبِ ترتقيَ فإدخاله فـي البطن اقـرب للقلبِ

(ومنهـا):

مـا الـعيش إلّا انْ تنيـكَ وانْ ينيـكك مَـنْ تنيكـهُ

---

(١٢٤) الاستجمار: التبخّر بالمجمرة. وفي ا، ب، ج: [الجواز للاستجمار] وقد هذبناها لتقويم الوزن.
(١٢٥) المابون: المتّهم بعيب، وهو الأُبنة.

(ومنهـا):

عليك بزبٍّ وافرٍ ذي صلابةٍ ودعْ قولَ أرباب السّفاهة واللغو

فما الفرقُ بين اللّذتين لعاقلٍ وكلتاهما مِنْ حَكِّ عضوٍ على عضوِ؟

النوع الثامن
في سبب الخناث وعلاجه
على رأي محمّد بن زكريّا الرازيّ

قال مصنّف الكتاب: أنا ناقل ههنا مقالةً وجدتها لأبي بكر محمد بن زكريّا الرازيّ في الأبْنة، بنصّها حرفاً بحرف، ليكون هذا الكتاب بها آخذاً بحظّه من الجدّ والهزل، كاملاً في الاحتواء على طرفي الكلام، الرقيق والجزل.

قال أبو بكر محمد بن زكريّا الرازيّ:

يجب على المتأخّر في الزمان، كما قلنا في صدر غير واحد من كتبنا، أن يطلب ما أغفلته الأوائل أو طوّلته أو أغمضت الكلام فيه، فيذكر ما أغفلوه ويجمع ما فرّقوه ويشرح ما أجملوه ويبيّن ما أغمضوه. وممّا أغفلته الأوائل القول في الأُبنة وسببها وعلاجها، فإني لم أجد فيها لأحد كلاماً مستقصى بل لم أجد عند أحد ذكراً لها إلّا رجلاً واحداً، فإنه كتب كتاباً في هذا المعنى وسَمَه بـ (الداء الخفيّ) ثم لم يأت فيه بسبب ولا علّة كافية ولا مداواة ولا علاج نافع، وأنا قائل في ذلك باختصار وبمقدار ما أراه كافياً إن شاء الله تعالى.

فنقول: إنّا نحتاج أن نأخذ ههنا مقدمة قد تقدم بيانها في كتب أُخَر وهي الأنوثة والذكورة، فإنها إنّما تقع بحسب غلبة المنيين أحدهما على الآخر في الكمّ والكيف، حتى يكون أحدهما هو المُحيل. فإذا كان منّي الرجل هو المحيل، كان المولود ذكراً. وإذا كان منيُّ المراة هو المُحيل، كان المولود أنثى. وقد بينّا صحّة هذه القضية في كتب أُخر وقال فيه القدماء أيضاً وأكثروا. وإذا كان الأمر على ما وصفنا وقع في بعض الأحوال ان يكون منيُّ الرجل قاهراً جداً، قويَّ الاحالة لمنيّ الأنثى، فيجب على ذلك أن

يكون المولود من مثل هذا المنيّ قويّ التذكير جداً، أعني أن تكون خواصّ الذكورة فيه ظاهراً لصلابة الأعضاء وتيبّسها وعظمها وكثرة الشّعر وقوّة النبض والنَفَس معاً وظهور المفاصل وغلظ العظام ونحو ذلك مما يختصّ أصحاب الأمزجة الحارّة اليابسة، كالشجاعة وسرعة الكلام والغضب ونحوها. وإذا وقع في بعض الأحوال أيضاً ان يكون منيُّ الأنثى له القهر والغلبة جداً، فيكون في المولود من الخواصّ التي تخصّ الإناث، وهي أضداد ما ذكرنا في الغاية، وتقع في الأكثر إستحالات أُخر لأحد المنيين بين هذين، فيكون المولود، ذكراً كان أو انثى، ليس في الغاية من التذكير ولا في الغاية من التأنيث. وإذا كان الأمر على هذا الذي وصفنا وقعَ في بعض الأحوال مولود أنثى في غاية الضعف من التأنيث.

وقد تجد في النساء مذكّرات كما تجد في الرجال مؤنّثين حتى يبلغ الأمر بالنساء المذكّرات في ذلك إلى ان يقلّ حيضُهن أو لا يحضن، وربما نبتَ لهنّ اللحى، وقد رأيت لحىً وشوارب ضعيفة في كثير من النساء. ورأيت مرة واحدة لحية وافرة على امرأة من النساء الأكراد جيء بها إلى المعتضد إعجوبة.

بل ليس يقع هذا فقط بل قد يقع، في تكافؤ المنيين وقلة ظهور أحدهما على الآخر، الخنثُ. حتى يقع ان يكون المولود له ذَكَر وفَرْج أيضاً.

وقد شهدت الأخبار في ذلك بأشياء عجيبة، شنيعة، بديعة، من هذا الباب. تركنا ذكرها لبعد كونها عنّا، مثل ما يُحكى عن بعض أصحاب التشريح انه رأى لبعض الذكور رحماً، وما يحكيه كثير من الناس أن امرأة ولدت أولاداً ثم انه ظهر لها بعد ذلك ذَكَر. فقد جاء هذا الخبر وأمثاله من وجوه كثيرة، وليس يحتاج في غرضنا الذي نقصده إلى صحة ذلك، بل يكفينا الموجود دائماً، وهو: كما انه ليس كل ذَكَر في غاية التذكير ولا كلّ انثى في غاية التأنيث، ووجود النساء المذكّرات والرجال المؤنثين، فإن الوقوف على سبب الأبنة، بعد تصور المعاني التي قدّمناها، يسهل. وهو انه إذا اتّفق ان يكون المولود الذَكَر مؤنثاً، لضعفٍ على منيِّ الذَكر على

منيّ الأنثى، فإنه يكون غالباً مع ذلك الّا يكون الذَكَر والبيضتان ومجاري المنيّ وأوعيته مائلة إلى خارج كلّ الميل ولا هي منسدلة متدلّية، ولا عظيمة قويـة. لكن تكون متعلّقة إلى فوق وصغيرة في أكثر الأمر، ومتعرّشة[١٢٦] منحجـرة في أسفـل تجـويف البطن، منجذبة إلى ناحية العانة لضعف التـذكـير فيهـا. لأن آلات التناسل في الإناث موضوعة في داخل البطن ومجبولة ومطبوعة على الميل إلى هناك، وأما الذَكَر فخارج البطن مجبولة ومـطبوعة على الميل إلى ما هناك. وتحدث عن مثل هذه الحكّة أن تكون الدغدغة والحركة التي تهيج بموج المنيّ، إما بكميته أو بكيفيته، في ناحية المعاء المستقيم وفي خلفٍ لا في ناحية أليته والعانة لأن ميل أوعية المنيّ والبيضتين بالطبع إلى ما هناك، ولذلك قلّما يوجد ما يكون عظيم الخصي منسلّها، بل يوجد بالضدّ من ذلك، فيكون ضعيف البيضتين، منجذبة إلى فوق، عابـرة في الجـانب الأيمن على الأكثـر. وانســلال الخصى وعـظم البيضتين، في الذَكَر المؤنث، في النادر يكون. ويتبع ذلك أيضاً على الأمر العظيم صغر قضيب مَنْ به الأبنة على العادة الجارية بالتجربة.

فإذا اتّفق ان يكـون مولود ذَكَراً مؤنثاً، ووضْع هذه الأعضاء هذا الوضــع، اعتـراه بسبب ذلك شبيـه بحـركـة الدغدغة في ناحية المعاء المستقيم، وذلك عند كثرة المنيّ فيه أو جدّته. كما يعرض للذكور ذلك في ناحية العانة وأصل القضيب، عند كثرة المنيّ. فإن ساعدَ، مَنْ هذه حاله في خلقته، هواه أو اتفق له بعض الاتفاقات التي تقع له في صغره أو كبره حتى برد ذلك الموضع منه ما لامسه وحرّكه وجدَ لذلك لذةً شبيهةً بما يجده مَنْ يحـكّ إذا احتكّ منه الأذن أو الأنف بإدخال الاصبع فيه وتحريكه وحكّه، لأن ذلك يزيل ذلك الخلط اللذّاع ويبدّده ويسكّن دغدغته. وإذا ساعد اللّذة وجرى معها ازداد هذا العارض قوّة وبلغ من ذلك النهاية بمقدار دغدغة المنيّ وتهيّجه في ذلك الانسان، وبمقدار خنثه ومحبّته للتأنيث.

---

(١٢٦) متعرّشة: متعلّقة.

فهـذا هو السبب الفاعل لكون هذه العلّة، قد اختصرناه ولخّصناه جهدنا. فلنذكر الآن من علاج هذه العلّة ما نراه نافعاً كافياً، فنقول:

إن الأُبنة إذا تمادت لم يمكن برء صاحبها، ولا سيما إذا كان ظاهر التأنيث، شديد المحبّة[١٢٧] للتشبّه بالنساء. فأمّا اذا كانت شديدة ولم يكن صاحبها ظاهر التخنيث ولا شديد الميل مع اللّذة، بل يألف[١٢٨] ويحبّ أن يخلو منها، فهذا يمكن ان يُعالَج.

واحد وجوه علاجها:

أنْ يكثـر من دلْكِ القضيب والبيضتـين وجذبهما إلى أسفل، وتُوكل بالعليل وصائف حسان الوجوه مفرطات في محبّة الباه ليكثرنَ من عرْك هذه المواضع منه ودلكِها وطرح انفسهنْ عليه لعلّ يأتي من إحداهنّ ما أمكن. ويُعـالج في وقت غير ذلك بأن يُمـرّخ اليَتـه والعـانـةَ والقضيبَ والبيضتـين بدهن البـان[١٢٩]، وقد فُتِق[١٣٠] فيه بُورق[١٣١] وفُربيون[١٣٢] ومسْك. وفي بعض الأحايين يفتق اليسير من الحليب بالدهن ويدلك به القضيب ويصبّ منه في الاحليل.

وفي أوقات غبّ هذا العلاج يقعد في الماء الحار ويدلك القضيب والخصى ويستعمل طلاء الزّفت في كل أسبوع مرة، فإنه من أقوى علاج يجذب الماء الحار[١٣٣] من هذه الناحية. وإذا أقبل الانعاظ يكون والبيضتان تتدليان، والقضيب يعظم، والشهوة تزيد، فتلك علامة نجاح العلاج. وينبغي أن يثابر على هذا العلاج كلّه ولا يضيّع منه شيئاً البتة، فلا يخلو العليل في

---

(١٢٧) أ: المحنّة. ب، ج: المحبّة.

(١٢٨) ب، ج: يأنف.

(١٢٩) البان: شجر من فصيلة البانيّات ذو اوراق طويلة، يُستخرج منه الزيت.

(١٣٠) الفِتاق: أخلاط من ادوية مخلوطة.

(١٣١) البورق: النطرون، مادة اقوى من الملح لكن ليس له قبض.

(١٣٢) الفُربيون: نبات من فصيلة الفربونيات، متعدّد الأنواع تحوي سيقانه وأوراقه عصارةً سامّة وخطرة إذا مسّت العين.

(١٣٣) الحارّ من هذه: ناقصة (ممحوّة) في أ. وفي ب: من علاج يحدر الماء الحار. ج: من علاج قدر الماء الحار.

أوقات الاتساع له من باب من أبوابه، أوّلها دلك الوصائف له كما وصفنا، ثم المرخ بالأدهان ثم الطلاء بالزّفت. ومع ذلك فيقصد إلى تبريد البطن، فإنه مما ينبغي ان يبرد البطن والفقار والمعاء المستقيم، وذلك يكون بأن يستلقي على الأرض المرشوشة أو يضع تحت بطنه خرَقاً مبلولة بماء الثلج ويتّقي أن يستلقي على شيء حارّ ويلبس مِنْطقةً[١٣٤] عريضة زماناً طويلاً ويُحقن بدهن الورد، الذي قد طُبخ مع الخلّ حتى يبيضّ الخلّ، وبالماوَرْدِ[١٣٥] مع الخلّ.

وبالجملة فإن قدر أن تكون بطنه دائماً تبرد واليته والعانة تسخن فليفعل، فإن ذلك أوفق الأشياء له. ومن البيّن انّه ليس على صاحب العلّة اضرّ من الاّ يجامع، كما انه ليس شيء انفع له من ان يجامع أو يروم المجامعة جهده.

فهذه جملة علاج الأُبنة على القانون والطريق المستقيم. وأنا ذاكر الآن من علاجها فمن ذلك:

أن يُحقن العليل بالشراب المُسْكر القويّ مرات كثيرة، فقد برأ غير واحد من هذه العلّة في حقنة أو حقنتين. ومما يخفّف ذلك، ويوهنه الاستلقاءُ على الورد والتمسّك بمائه والحقن أيضاً بطبيخ الفَنْجَكَشت[١٣٦] والاستلقاء على ورقه، وهذا مشورتي على بعض مَنْ أفشى ليَ سِرَّه في هذا الداء وقدّرتُ انتفاعه بذلك فانتفع به نفعاً عظيماً. وذلك ان هذا الرجل كان إذا تغدّى وآوى إلى مرقده هاجت به تلك العلّة، فأشرتُ عليه يوماً أن يخرط من الجليد أشيافه ويتحملها، ففعلَ ونام نومه ذلك مكفيّاً واستغنى عما كان يضطر إليه في أكثر الأيام وكاد يقارب البُرء، ولو ضبط نفسه ضبطاً شديداً لبريء.

والذي ذكرته من العلاج يصلح للشبّاب والمشرفين، وأمّا غير ذلك من

---

(١٣٤) المِنْطقة: النِطاق.

(١٣٥) الماوَرْد: ماء الورد.

(١٣٦) الفَنْجَكَشْت: القرنفل (فارسية)، وهو البنجكشت أيضاً.

الكهـول والشيوخ فلا ينبغي ان يكون غرضك في علاجهم إلّا اهرامهم وتقليل الدم فيهم، فيؤمرون بالصّوم وترك الشّراب والحلواء ولزوم التأدّم بالخلّ وتبريد البطن ما أمكن.

والأدوية التي تُعرف بتقليل المنيّ ولا سيما البارد فائدة[١٣٧]، والدواء المتّخـذ من أصول النِيلُوفر[١٣٨] والورد والكافور[١٣٩] والطباشير[١٤٠] وكل دواء يقلّل المنيّ ويجمّده، وقد دبّرنا تركيبه في غير ما موضع من كتبنا، ويكثـرون أيضاً من الأغذية، القريض[١٤١] والمَصُوص[١٤٢] والأهلام[١٤٣] بالقَـرْع والفـرفير[١٤٤]ويدعون شرب المُسْكِر ويكثرون التعرّق في الحمّام ووضع الرجْل في الماء البارد ويجتنبون مجالس اللهو والشّراب ويشتغلون بالنُسْك والعلوم الحقيقيّة التي تأخذ القلوب وتشغل النفوس شغلاً شديداً كالهندسة والمنطق وأكثر من ذلك العلم الإلهي، فإن العناية به والتوغّل فيه يوهن جميع الشّهوات.

وإني لـمّا انتهيتُ إلى هذا الموضع أحببتُ أن أذكر صفة تركيب الدواء المقلّل للمنيّ لئلّا يحتاج الناظر في هذه المقالة أن يعنى في ذلك في سائر كتبي وكتب القدماء، وهذه صفته:

يُؤخذ من أصل النِيلُوفر المجفّف عشرة دراهم[١٤٥]، ومن الورد الأحمر

---

(١٣٧) فائدة: ناقصة في ا. وهي في ب، ج.

(١٣٨) النِيلُوفر: ضرب من الرياحين ينبت في المياه الراكدة، أزهاره وأوراقه تعوم على صفحة الماء، ويسمّى (اللوتس).

(١٣٩) الكافور: شجرة اريجيّة من فصيلة الغاريّات، اوراقها دائمة وازهارها بيضاء مائلة الى الصفرة.

(١٤٠) الطباشير: دواء يكون في جوف القنا الهنديّ او هو رماد اصولها.

(١٤١) القريض: المقروض.

(١٤٢) المَصُوص: طعام يُطبخ وينقع في الخلّ أو يكون من لحم الطير خاصّة.

(١٤٣) ا: الاعلام. والهُلام: طعام من لحم عجلٍ بجلدهِ او مرق السِكباج (اللحم بالخلّ) المصفّى من الدهن.

(١٤٤) هكذا في ا، ب، ج. وربما يعني (الفُرفور) وهو ولد النعجة والماعزة والبقرة الوحشيّة.

(١٤٥) الدرهم: Drachme اسم لوحدة وزنية يونانية قديمة، تعادل حالياً نحو ٢,٥٠ غراماً.

المطحون خمسة دراهم، ومن الصندل الأبيض[١٤٦] درهمين ونصف، ومن الكافور خمسة دوانق[١٤٧]، وهي عشر شربات.

ـ صفة أخرى تنفع للمبرودين ومَنْ طعنَ في السنّ:

يؤخذ بزر فَنْجَكَشْت عشرة دراهم، ومن الفُوتَنْج[١٤٨] الروميّ مجفف خمسة دراهم، ورق سَذَاب[١٤٩] مجفّف درهمين ونصف، الشربة ثلاثة دراهم أوقية خلّ. ومَنْ كان يتأذّى بالخلّ فليشربه بالماء البارد وماء الورد (تمّ ذلك).

* * *

قال أبو بكر: قد قلنا في هذا الأمر بما فيه كفاية ونحن معتذرون من القول فيه وإنما اضطررنا إلى ذلك ليكون هذا الكتاب آخذاً لتطرّف معاني ما سبق، ولواهب العقل الحمد والشّكر.

كملتْ مقالة الرازيّ في الأُبنة وكمل بكمالها ما أوردناه في هذا الكتاب، والحمد للّه على كلّ حال.

أنهاه كتابةً الفقير محمّد بن عبدالباقي الراسي في مستهلّ ذي القعدة الحرام سنة ٩٧٢.

حسبنا الله ونعم
الوكيل

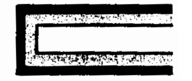
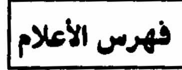
---

(١٤٦) الصندل الابيض: الصندل شجر هندي طيب الرائحة يشبه شجر الجوز ثمراً، خشبه من الاوية واحرّه الاحمر ثم الاصفر وأبرده الابيض.

(١٤٧) الدانق: معرّب دانك بالفارسية بمعنى (الحبّة) اي إنّه بوزن حبّة الحنطة ونحوها، وهو سدس الدرهم.

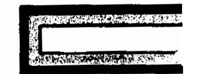
(١٤٨) الفُوتنج (الفودنج): نبات شبيه بالزوفى يتداوى به.

(١٤٩) السذاب (الفيجن): نبات يقارب شجر الرمّان أصفر الأزهار وورقه كالزعتر، كريه الرائحة وله بعض الفوائد الطبيّة، لكنّ استعماله خطر للغاية.

فهرس الأعلام

فهرس الأماكن



فهرس القوافي

القافية	الشاعر	عدد الابيات	الصفحة
	الهمزة		
البيضاءُ	اسحاق بن ابراهيم الموصلي	٢	٩٦
جفاءِ	—	٢	٣٠١
	الباء		
الحَبَابْ	ابو نواس	١	١٥٩
كاللبا	—	٢	١٨٨
لعجابا	ابو منصور الفقيه	٣	٢٩٧ ـ ٢٩٨
زينبُ	محمد بن هانيء المغربي	٣	١٧٠ ـ ١٧١
المطربُ	ابو نواس	١	١٧٢
قلوبُ	مكرم بن ابي الحسن الانصاري	٣	٢٣١
شاربُهُ	ابو تمام	٣	١٨٩
عائبُهُ	ابو تمام	٤	١٨٩
أدب	ابو نواس	٥	٨٤
الخَواضبِ	اسحق الموصلي	٢	٩٧
اتراب	ابو نواس	٢	١٣٣
الترابَ	ابو نواس	١٠	١٦٩
كذَّابَ	علي بن محمد بن بسام	٣	٢١٩ ـ ٢٢٠
الحاجِب	—	٣	٢٩٩
العُتْبِ	—	٢	٣٠٢
بي	ابو الطيب المتنبي	١	٨١
	التاء		
البرياتِ	ابن الرومي	٢	٩١
وقتِ	—	٥	٢٩٥ ـ ٢٩٦
المهاةِ	ابو نواس	٤	١٦٩

(يتبع)

(تابع)

(يتبع)

(تابع)

(يتبع)

(تابع)

القافية	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
السين			
العسسْ	أبو تمام	٥	٢١٩
تجنيسا	أبو منصور الطبري	٣	٢٩٧
إدريسْ	السري الموصلي	٣	٨٥
المجلسِ	—	٣	٤٨
الأنسِ	—	٢	٢٤٦
ترسيهِ	ابن الرومي	٥	٣٠٠
نفسي	الأصمعي	٣	٤٨
الصاد			
حرْصا	—	٢	١٧٠
جصُّ	أبو نواس	٣	١٥٩
الضاد			
القيضِ	الطبري	٢	٢٩٩
الطاء			
كالخوطِ	—	٣	٢٩٩ ـ ٣٠٠
العين			
جمعا	أبو نواس	٢	١٣٤
يطلعُ	همام	٥	٢٣١

(يتبع)

(تابع)

القافية	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
	الفاء		
اضعافُ	—	٢	١٢٥
نقصفُ	مليح	٤	١٦٠ ـ ١٦١
طوافي	—	٥	٢٩٦
	القاف		
السحقِ	—	٧	٢٤٦ ـ ٢٤٧
الساقي	ابو اسحاق الكوفي	٣	٢١٨
	الكاف		
النَيْكا	—	٢	٩٠ ـ ٩١
المساويكِ	بشار بن بُرد	٣	١٣٠
فابكه	أبو نواس	٢	١٩٠
ادراكَهْ	—	٢	٣٠٠
تنيكه	—	١	٣٠٢
	اللام		
الحبلْ	—	٣	٢٤٤
داخلْ	—	٢	٢٩٨
الجملا	—	٢	١٨٨
مجدولا	—	٢	١٨٨
العليلا	جلال الدين مكرم ابن أبي الحسن الانصاري	٩	٢١٩
أحلى	الغزالي	٣	٤٨
طائلَهْ	ابن الحجاج	٢	٢٣١

(يتبع)

(تابع)

(يتبع)

(تابع)

(يتبع)

(تابع)

القافية	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
ولكنّه	ابن الرومي	٢	٣٠١
ربين	—	٩	١٢٥
عثمانِ	أبو نواس	١	١٥٩
إنسانِ	أبو نواس	١	١٥٩
الهاء			
يسيرها	خالد بن زهير	٢	٨٧
قوادها	أبو نواس	٣	١٢٤ـ ١٢٥
أعطاها	أبو نواس	٣	١٧١
تنشرُهُ	—	٣	١٦٠
منظرُهُ	مصعب	٢	١٦٠
مالِهِ	ابن الرومي	٢	١٥٣
الواو			
اللغوِ	—	٢	٣٠٢
الياء			
كاسيا	والبة بن الحباب	٣	١٧٢